

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد :

فإن التوحيد هو قاعدة الإسلام التي عليه يبنى ، وشرطه الذي به يقبل ، وبه تقبل الحسنات وبه تغفر السيئات ، وبه يدخل العبد الجنة ، وبه ينجو من النار ، ومن أجله وقعت الخصومة بين الرسل ومشركي العباد ، ومن أجله جردت سيوف الجهاد ، ومن أجله خلقت الجنة والنار .

وينقيضه وهو الشرك تحبط الأعمال ؛ قال الله تعالى : [ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين & بل الله فاعبد وكن من الشاكرين] [الزمر : ٦٥ - ٦٦] وكل ذنب من الذنوب مغفور إلا الشرك ؛ قال تعالى : [إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً] [النساء : ١١٦] وبالشرك يحرم العبد من الجنة ، ويتحتم عليه الخلود في النار .

لذلك فإن العناية بالتوحيد أهم المهمات ، وأوجب الواجبات ، وتركه والإعراض عنه ، وعن تعلمه أعظم البليات ، ومن أجل ذلك ؛ فإن الواجب على كل عبد أن يتعلمه ، و يتعلم ما يناقضه ، وينافيه أو ينقصه ، ويقدر فيه .

ولما كان من أحسن ما ألف فيه كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ؛ الذي جدد الله به عقيدة التوحيد في نجد في القرن الثاني عشر الهجري ؛ وهو يحتوي على ستة وستين باباً ، وقد شرح من قبل بعض أبنائه ، وأحفاده ، وتلامذته ، وغيرهم .

وقد طلب مني بعض طلاب العلم الحريصين أن أشرحه له ، ولم يقنع بقراءة الشروح القديمة بل أصر عليّ أن أملئ عليه شرحاً من عندي ، فاستعنت بالله تعالى ، وأملت عليه ما حضرنى فكتب ، وكان يعطي بعض المشائخ الراغبين في الخير ، والحريصين على نشر العلم ؛ ليكتبه له على الكمبيوتر ، وحين انقطع الأول لغيب طويلاً ، واصل معي الثاني على الطريقة الأولى والحمد لله على التمام .

والمهم أنه قد جاء شرحاً مفيداً مختصراً في بابيه ، وافياً بالمقصود إن شاء الله ، وسميته " الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجّد الذي ألفه شيخ الإسلام محمد " .

والحمد لله على ذلك ، ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص لما نأتي ، ونذر ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبها

أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النّجمي

في ٢١ / ٧ / ١٤٢٥ هـ

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى : [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] [الذاريات : ٥٦] وقوله : [ولقد بعثنا في كل أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] [النحل : ٣٦] وقوله : [وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا] [الإسراء : ٢٣] وقوله : [واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا] [النساء : ٣٦] وقوله : [قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا] [الأنعام ١٥١ - ١٥٢] قال ابن مسعود Ⓣ : " من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] إلى قوله : [وأنّ هذا صراطي مستقيما] [الأنعام : ١٥٣] وعن معاذ بن جبل Ⓣ قال : « كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال حق الله على العباد : أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله : ألاّ يعذب من لا يشرك به شيئا . فقلت يا رسول الله : أفلا أبشر الناس قال : لا تبشرهم فيتكلموا » أخرجاه في الصحيحين .

الشرح : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : -

اللهم يا معلم إبراهيم علمني ، ويا مفهم سليمان فهمني ؛ اللهم علمنا ما ينفعنا ، وارزقنا العمل بما علمنا :

كتاب التوحيد

التوحيد مصدر وحّد يوحد توحيداً ، والمقصود به توحيد الله عز وجل أي تخصيصه بالعبادة وحده دون سواه ، وذلك يكون نتيجة اعتقاد العبد بوحداً لله عز وجل في ذاته ، وصفاته وأسمائه ، ونوعوت جلاله ؛ المتضمن لاتصافه بالألوهية المطلقة لهذا الكون ، والتصرف المطلق فيه

(١) حديث ابن مسعود Ⓣ أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنعام بلفظ : " من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ... " الحديث وقال عنه الترمذي حديث حسن غريب ، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع وقال عنه ضعيف الإسناد .

(٢) وأما حديث معاذ بن جبل Ⓣ فقد أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار ، وأخرجه الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

وأنَّه هو المستحق لأن يوحده العباد بأفعالهم ؛ قال تعالى : [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه] علماً بأنَّ العبادة هي الحكمة التي خلق الله الجن والإنس من أجلها ، فقال جلَّ من قائل : [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] فالعوالم العاقلة ثلاثة :

١ (عالم كله خير لا شر فيه ، وهم الملائكة .

٢ (وعالم كله شر لا خير فيه ، وهم الشياطين .

٣ (وعالم جبله الله على الخير والشر ، والخير فيه أغلب ، وعالم آخر جبله الله على الخير والشر والشر فيه أغلب ، فعالم الجن والإنس هم الذين جبلهم الله على الخير والشر خلقهم لعبادته والشياطين نوع من الجن ، ولكنهم تمردوا ، وصاروا كلهم شر ، ولهذا قال تعالى : [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] فالشياطين هم من جنس الجن ، فالله خلق عالمي الإنس والجن خلقهم للعبادة كما أخبر في هذه الآية ، فمنهم من تحققت فيه العبادة وهم المؤمنون ، ومنهم من لم تتحقق فيه بل كانوا معاندين ومكابرين وهم الكفار بجميع أنواعهم ، وحسبنا أن نعلم أن الله خلقنا للعبادة وأنَّ الواجب علينا أن نحقق ما خلقنا الله من أجله ، والعبادة هي طاعة مع خضوع وذلة لله الواحد القهار ؛ يشعر العابد بأنَّه محتاج إلى الإله الذي عبده ، فيعبده مستشعراً حاجته إليه ولما كانت الأمم يغلب عليها الجهل ، والخمول ، والنسيان ، والاشتغال بالدنيا الحاضرة والغفلة عن الدار الآخرة بعث الله الرسل في كل أمة ليبينوا لهم ما خلقوا له ، وما أوجدوا من أجله ؛ قال جلَّ من قائل : [ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] فأخبر سبحانه وتعالى أنَّه بعث الرسل إلى العباد يأمرهم بعبادة الله وحده ، واجتناب الطاغوت والطاغوت : هو مشتق من الطغيان ، وقد قال ابن القيم رحمه الله : " الطاغوت : هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع " فمن عبد مع الله ؛ فقد عبد بغير حق ، ومن اتبع بأن قَدَّم الناس متابعتهم على متابعة أوامر الله فقد اتبع بغير حق ، ومن أطيع بأن ترك طاعة الله لطاعته فقد أطيع بغير حق وهذا هو المقصود من قول ابن القيم : " الطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع " .

وقوله جلَّ وعلا : [وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه] المراد بقضى : حكم أي حكم حكماً شرعياً بالألّا يعبد الناس إلا إياه . أمَّا القضاء الكوني فتقع فيه المخالفة لهذا القضاء أي للقضاء

الشرعي فالله سبحانه وتعالى قضى وجود الكفر والشرك كوناً ومنعه شرعاً ، فهذا القضاء الذي أخبر الله عنه في هذه الآية المراد به الأمر ، وهو يوافق قوله سبحانه وتعالى : [إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه] [يوسف : ٤٠] أي بأنه أمر أمراً شرعياً بعبادته وحده دون سواه ، وهو التوحيد الذي بعث به الرسل .

ثم قال : [وبالوالدين إحساناً] أي إحساناً إليهما لأتھما أحسنا إليك أيها العبد ، والكلام على بر الوالدين وطاعتهم يأتي بعد الأمر بتوحيد الله سبحانه وتعالى لأنه هو المنعم المتفضل وأعظم الناس عليك نعمة بعد الله هما والدك اللذان ربيك ، وأنعمما عليك بالراحة ، والسكن في حنئھما ، وتعباً من أجلك ، وسهراً لراحتك ، وفي الآية الأخرى وهي آية النساء : [واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً] فهنا اقترن الأمر بالعبادة بالنهي عن الشرك حتى ولو شيئاً يسيراً فقوله : [ولا تشركوا به شيئاً] نهي عن الشرك كله قليله وكثيره ؛ صغيره وكبيره ؛ لأنه نكره في سياق النهي فهي تعم .

وقوله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] إلى قوله : [وأن هذا صراطي مستقيماً] فهذه الآيات وغيرها قد تواردت على الأمر بالتوحيد ، والنهي عن الشرك ، وهذا هو ما بعث به جميع الرسل من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ فالمناهي العشر التي وردت في آخر سورة الأنعام أولها الشرك بالله ، والشرك عظيم ؛ لأنه محرم على صاحبه دخول الجنة ، ومحمّم عليه دخول النار والخلود فيها .

أمّا قول ابن مسعود ؓ : " من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : [قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] إلى قوله : [وأن هذا صراطي مستقيماً] [الأنعام : ١٥٣] . فأخبر أن تلك الوصية التي أمره الله سبحانه وتعالى بأن يتلوها على أمته المبتدأة بالنهي عن الشرك ، والمنتھية بالاستقامة على الصراط المستقيم يجب أن نعيها اهتماماً عظيماً ، ونعرفها حق المعرفة ؛ لأن الله عز وجل صدّرها بقوله قل يا محمد : [تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم] فذكر المناهي العشر ، وأولها ، وأعظمها الشرك بالله .

أما حديث معاذ بن جبل ٢ قال : « كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال حق الله على العباد : أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً . وحق العباد على الله : ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً . فقلت يا رسول الله : أفلا أبشر الناس . قال : لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه في الصحيحين .

الخلاصة أنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ؛ يفردوه بالعبادة ، ويتبعوا عن الشرك به ، ثمَّ إذا هم حَقَّقوا هذا الأمر ، وتركوا الشرك صغيره وكبيره ، فإنَّ حقَّهم عليه - سبحانه - ألاَّ يعذبهم ، فمن مات وهو لا يشرك بالله شيئاً فقد وعده الله بأنَّه لا يعذبه أي لا يعذبه بنار الكفار والمشركين التي يخلد أصحابها فيها .

أمَّا إن مات على التوحيد ، ولكن عنده كبائر اقتضت حكمة الله أن يعذب بها ، فإنَّه يعذب بنار غير نار المشركين ؛ بل يعذب بنار الموحدين ، ثمَّ يخرج منها ، ويدخل الجنة ، والأمر في ذلك إلى الله عز وجل فهو المالك للعباد ، والمتصرف فيهم ، علماً بأنَّ هذا الحق الذي وعد الله به عباده إن هم عبدوه هو حقُّ التزمه على نفسه ، ووعد به عباده ، ولم يلزمه به أحدٌ سواه ، ولذلك نقول إنَّ هذا الحق حقُّ أوجهه الله على نفسه هو ؛ ولم يوجهه عليه غيره ، ووعد به عباده إن هم عبدوه ووحدوه دون سواه ، وبالله التوفيق .

(١) باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] [الأنعام : ٨٢].

وعن عبادة بن الصامت ت قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أخرجاه .
ولهما في حديث عتيان : « فإنّ الله حرم على النار من قال لا إله إلاّ الله الله يبتغي بذلك وجه الله » .

وعن أبي سعيد الخدري ت عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال يا موسى : قل لا إله إلاّ الله . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا . قال يا موسى : لو أنّ السماوات السبع وعامرهنّ غيري ، والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلاّ الله في كفة مالت بهنّ لا إله إلاّ الله » رواه ابن حبان ، والحاكم ، وصححه .

وللترمذي ، وحسنه عن أنس ت سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثمّ لقيتني لاتشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » .

الشرح : للتوحيد فضلٌ عظيم من فضله أنّه لا يقبل عملٌ واحدٌ إلاّ به ، ولا يكون العبد مؤمناً إلاّ

(١) متفق عليه ، فالحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : [يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم] ولفظ الحديث للبخاري وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب الإيمان باب الدليل على أنّ مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت ، وفي كتاب الجمعة باب صلاة النوافل جماعة وفي كتاب الأطعمة باب الخزيرة ، وفي كتاب الرقاق باب العمل الذي يبتغي به وجه الله فيه سغداً ، وفي كتاب استتابة المرتدين باب ما جاء في المتأولين ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الدليل على أنّ مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، وفي كتاب المساجد باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر .

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه في ج ١٤ / ١٠٢ برقم الحديث ٦٢١٨ وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين في ج ١ / ٧١٠ برقم الحديث ١٩٣٦ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده في ج ٢ / ٥٢٨ برقم الحديث ١٣٩٣ وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري في ج ١١ / ٢٠٨ .

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله من حديث أبي ذر ت وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده من حديث أنس بن مالك ت وأخرج الحديث ابن ماجة في كتاب الأدب باب فضل العمل وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب الرقاق باب إذا تقرب العبد إلى الله وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في كتاب الأنصار بترقيم إحياء التراث رقم ٢٠٨٠٨ و ٢٠٨١٤ و ٢٠٨٦٠ و ٢٠٨٦٩ و ٢٠٩٦١ و ٢٠٩٩٤ و ٢١٠٥٥ كلها من طريق أبي ذر ت .

به ، ومن فضله أن الله عز وجل يكفر الذنوب لمن تجنّب الشرك بالله ؛ لقوله تعالى : [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] ومن فضائله أنه هو الذي يحصل به الأمن للعبد يوم القيامة ، ومن فضائله أن الله يهدي أصحابه إلى الحق ، ومعرفة طريق الهدى لقوله تعالى : [أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] .

ثم أورد الآية : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] هذه الآية فيها الإخبار بأن أهل التوحيد الذين حققوه ، ولم يخلطوه بشرك هم الذين يجمع الله لهم بين الأمن من مخاوف الدنيا والآخرة ، والاهتداء للحق ، وكل ما كان العبد محققاً لذلك كلما كان أوفر للأمن والاهتداء بسبب تحقيقه للتوحيد ، وتجنبه للشرك كله كبيره وصغيره ، فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه فسّر الظلم هنا بما جاء في آية لقمان : [يا بني لا تشرك بالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] [لقمان : ١٣] إذا فالظلم المقصود به هنا هو الشرك ، وليس المعاصي ، فالكل للكل والحصة للحصة فإذا نقص توحيد العبد بتعاطيه شيئاً من الشرك فإنه ينقص أمنه واهتداؤه .

وعن عبادة بن الصامت ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أخرجاه .
عبادة بن الصامت الأنصاري ؓ هو أحد النقباء ليلة العقبة ، وأحد أصحاب رسول الله ﷺ المشهورين ، وأحد أصحاب بدرٍ مات بالرملة سنة ٣٤ هـ وله ٧٢ سنة .

قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله »
يشترط في شهادة أن لا إله إلا الله شروطاً لابد من توفرها فيمن ينطق بها : -

- ١- بأن يكون عارفاً بمعناها ، وهو النفي والإثبات .
- ٢- ومن شروطها العلم المنافي للجهل ، وهو مقتضى ما ذكرته من العلم بها ؛ لأن الله تعالى يقول : [إلا من شهد بالحق وهم يعلمون] [الزخرف : ٨٦] .
- ٣- ومن شروطها اليقين المنافي للشك بأن لا يشك في ذلك أي في وحدانية الله بالألوهية .
- ٤- ومن شروطها القبول المنافي للرد بأن يكون قابلاً لمعناها ، وما تقتضيه .
- ٥- ومن شروطها الانقياد المنافي للترك بأن يكون منقاداً لما تقتضيه .

٦- ومن شروطها الإخلاص المنافي للشرك .

٧- ومن شروطها الحب المنافي للبغض .

٨- والصدق المنافي للكذب . إذاً يشترط في قائلها أن تتوفر فيه هذه الشروط بأن يكون على علم بما تقتضيه ، وهي تقتضي وحدانية الله بالألوهية ، وأنه لا يشاركه فيها أحد قال تعالى : [لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا] [الأنبياء : ٢٢] وقوله : [قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا] [الإسراء : ٤٢] فمن نطق بهذه الشهادة عارفاً بمعناها عاملاً بمقتضاها نافياً لما نفت ميثباً لما أثبتت ؛ مؤكداً وحدانية الله ، وعدم الشريك له بقوله : « وحده لا شريك له » . ونطق بشهادة أن محمداً رسول الله ؛ موقناً بأن محمداً عبد الله ورسوله لا يقبل الله من أحد ديناً ولا عبادة لم تكن من طريقه صلوات الله وسلامه عليه ، فمن نطق بهاتين الشهادتين على نحو ما ذكر ، فذلك هو الناجي من عذاب الله الحاصل على ثوابه وجنته .

ومن مكملات هذا الاعتقاد : « وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه » وتلك الكلمة هي قوله تعالى لعيسى : [كن] كما يقول سبحانه وتعالى : [إن مثلي عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون] [آل عمران : ٥٩] وبهذه الشهادة تنفى عقيدة النصارى فيه التي هي عقيدة البنوة ، والتثليث حيث اعتقدوا في عيسى أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، فغلو فيه ، ووضعوه في غير موضعه ، وتنفى بذلك أيضاً عقيدة اليهود الذين زعموا أنه ولد زناً ، وعلى الجميع من اليهود والنصارى عليهم من الله ما يستحقون من الغضب والمقت ، والمسلم يبرأ إلى الله من هذه العقائد ، ويعترف بعقيدة التوحيد لله وبأنه ليس له ولد ولا صاحبة ، وأن الجنة حق ؛ وهي جزاء الموحدين المتقين ، والنار حق ؛ وهي جزاء للمشركين الكافرين ؛ من اعتقد هذه العقيدة عاش بخير ، ومات بخير وأدخله الله الجنة على ما كان منه من العمل علماً بأن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل إلا بالكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله .

معنى قوله p : « أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أي أنه سيكون مآله إلى الجنة سواء كان قبل عذاب أو بعد عذاب ، المهم أن نهايته أي نهاية من يموت على التوحيد والإيمان

تكون إلى الجنة ، وهو تحت المشيئة ، فإن مات مصراً على الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ما يستحق من العذاب ، ثم أخرج من النار ، وأدخله الجنة ؛ أمّا إذا مات ولم يكن عنده كبائر مصّر عليها حتى ولو كان قد تعاطى شيئاً من الكبائر ، ثم تاب ، ومات على التوبة ، فإنه يرجى له أن يدخله الله الجنة بدون عذاب ؛ لقوله تعالى : [إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً] [النساء : ٣١] .

قوله : ولهما في حديث عتبان **ط** : « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » على أن المراد بالنار هنا نار الكفار التي يخلد من دخلها فلا يخرج منها أبداً ، وإما أن يحمل قوله : « حرم على النار » أي حرم على قائل ذلك الخلود في النار وأن كل موحد نهايته الجنة .

قوله : وعن أبي سعيد الخدري **ط** عن رسول الله **ﷺ** قال : « قال موسى يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به ... » الحديث . يؤخذ من هذا عظم كلمة التوحيد ، وأنها تعدل كل الأجرام العظام ؛ وهي السماوات السبع ، والأرضين السبع ، ومن فيهنّ ، وما بينهما ؛ تعدلها في الوزن بل ، وتزيد عليها ، وما ذلك إلا لعظمة من شهد له بوحدانية الألوهية جل وعز من إله .

قوله : وللترمذي ، وحسنه عن أنس **ط** سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لاتشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » قراب الأرض أي ما يقارب ملأها ، وهذا الحديث يتضمن أن من لقي الله عز وجل بالتوحيد ؛ فإنه يرجو من الله عز وجل المغفرة ، وبالله التوفيق .

(٢) باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى : [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] [النحل : ١٢٠] وقال :

[والذين هم بربهم لايشركون] [المؤمنون : ٥٩] .

وعن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أياكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة فقلت : أنا ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت . قال فما صنعت ؟ قال : ارتقيت قال فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية إلا من عيني أو حُمة قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع . ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « عرضت عليّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ؛ إذ رفع لي سوادّ عظيم ، فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه . فنظرت فإذا سوادّ عظيم ، فقيل لي هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلّهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم : فلعلّهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله شيئا . وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؟ قال : أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة » يعني يدخلها قبل أن يحاسب .^(١)

الشرح : وقوله تعالى : [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] أقول : تحقيق

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري مختصراً في كتاب الطب باب من لم يرق ، وفي كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وكذلك أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه رحمه الله في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة أواني الحوض ، وأخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ في مسند بني هاشم برقم ٢٤٤٤ بترقيم إحياء التراث ، ومختصراً في مسند البصريين برقم ١٩٤١٢ وفي مسند المكثرين من الصحابة برقم ٣٢٧٤ وبرقم ٣٨٠٩ وبرقم ٣٧٩٦ .

التوحيد قد يستدل له من قول الله تعالى : [الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون] [الأنعام : ٨٢] قوله : [ولم يلبسوا إيمانهم بظلم] يعني لم يخلطوه بشرك والذي لم يخلط إيمانه بشرك لا صغير ، ولا كبير هذا يرجى أنه حقق التوحيد ، فإذا كان حقق التوحيد فإن له الأمن المطلق ، والهداية المطلقة يعني أن من حقق التوحيد ينال الدرجة العليا في الأمن والاهتداء .

فيؤخذ من تلك الآية التي سبقت في فضل التوحيد دليل في هذا الباب فيقال : أن من حقق التوحيد بحيث أنه لم يخلط إيمانه بشرك ، فإنه يدخل الجنة بغير حساب ، ومن خلط إيمانه بشرك أصغر أو نوع من المعاصي الكبائر أو من البدع غير المكفرة فهو تحت المشيئة .

استدلال المؤلف رحمه الله بقول الله تعالى : [إن إبراهيم كان أمّةً قانتاً لله] ما معنى [قانتاً لله أي خاضعاً لله] حنيفاً [مائلاً عن الشرك إلى التوحيد] ولم يك من المشركين [باعتبار أن إبراهيم قد مدحه الله بأنه وفي ما أمره به ربه حيث يقول الله سبحانه وتعالى : [وإبراهيم الذي وفى] [النجم : ٣٧] ويقول : [وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً] [البقرة : ١٢٤] فأعطاه حق الإمامة ، وهذا دليل على إمامة إبراهيم عليه السلام ، ومن هنا يؤخذ أن إبراهيم قد وفى ما أمر به ، وخاف على نفسه ، وعلى بنيه من الشرك ، فلذلك جعله الله إماماً في التوحيد ، وغيره [قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه] [الممتحنة : ٤] .

ثم أورد الآية الأخرى : [والذين هم بربهم لايشركون] هذا وصف للمؤمنين الكامل القائمين بحق التوحيد خير قيام ، فهؤلاء هم النماذج العليا الذين حققوا التوحيد ، فتبوؤا أعلا المقامات عند الله سبحانه وتعالى .

ثم أورد الحديث : عن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة فقلت : أنا ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت ...» الحديث .

قوله : « كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة » انقضاء الكوكب الرمي به وإنارته .

قوله : « فقلت : أنا » ولكنه خاف على نفسه من الرياء فقال : « أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت » ولكن الذي أسهرني هو أنني لدغت فأخبر بالواقع دفعاً للرياء ، فقال له سعيد بن جبير : « فما صنعت ؟ » قال : « ارتقيت » يعني ماذا فعلت بعد أن لدغت قال : « ارتقيت » يعني أني رقيت نفسي قال : « ما حملك على ذلك » فيه أن السلف رحمهم الله تعالى كانوا إذا فعل واحد منهم شيئاً سأله صاحبه عن الدليل فقوله : « ما حملك على ذلك » يعني ما هو دليلك ، ومن هو أسوتك : قلت : « حديث حدثناه الشعبي قال وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة » لرقية نفي للرقية إلا أن تكون من عين ، والعين هي عين العائن ، وقد قال النبي **ﷺ** : « العين حق » « أو حمة » لدغ ذوات السموم كالحية ، والعقرب قال : « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع » يعني أن من انتهى إلى ما سمع ، وعمل به فهو قد أحسن .

قوله : « ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي **ﷺ** أنه قال : عرضت عليّ الأمم » وفيهم الذين لا يسترقون ، ولا يكتون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .
يؤخذ من هذا الحديث أن من تحقيق التوحيد ترك الأسباب المباحة ، وهو الكي ، والرقية .
وأقول : الرقية قد ورد الأمر بها ، وتقريره **ﷺ** عليها ، فهل كل رقية يكون فيها قدح في التوحيد أو أن الذي يقدر في التوحيد هو طلب الرقية من الغير ؟!!! وهذا يشعر به قوله : « هم الذين لا يسترقون » أي لا يطلبون الرقية من غيرهم ، أمّا رواية : « لا يرقون » فلعلها كانت وهماً من الراوي ؛ إذ أن من يرقى لغيره لا يكون فعله للرقية لغيره نقصاً في توحيدده ، وتوكله .

أمّا كونهم يرقون أنفسهم أو يرقى عليهم بغير طلب ، فهذا لآمانع منه ، وليس فيه قدح في —

(١) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة **ﷺ** فقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب العين حق ، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى ، وزاد مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الباب السابق : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » .

(٢) جاء في فتح الباري ١١ / ٤٠٨ ما ملخصه : وقع في رواية سعيد بن منصور عند مسلم : « لا يرقون » بدل : « ولا يكتون » وقد أنكر الشيخ ابن تيمية هذه

الرواية ، وزعم أنها غلط من راويها ، واعتل بأن الراقي يحسن إلى الذي يرقيه فكيف يكون ذلك مطلوب الترك " اهـ بتصرف

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

كمال التوحيد ، ولكن يتمحض القدح في كمال التوحيد فيما إذا طلب الرقية من غيره .

قوله : « ولا يكتون » قد ورد فعل الكي من النبي **ﷺ** فقد كوى أسعد بن زرارة **ﷺ** وقال : « إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل

أو لدعة بنار توافق الداء ، وما أحب أن أكتوي » إذاً ففعل الكي جائز ، وتركه من كمال التوحيد

قوله : « ولايتطيرون » أي لا يجدون الطيرة في نفوسهم ، وذلك من كمال توحيدهم .
قوله : « وعلى ربهم يتوكلون » أي أنهم يتركون الأسباب المباحة توكلًا على الله ، وهذا من كمال التوحيد « فقام عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؟ قال : أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة » .
وقد تبين من هذا الحديث أن السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب إنما نالوا هذه الدرجة بكمال توحيدهم ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الطب باب ما جاء في كراهية التدوي بالكي ، ومنه باب الرخصة في ذلك من حديث أنس **ر** وقد صحح هذا الحديث الإمام محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي في ج ٢ / ٤٠١ وقال انظر المشكاة برقم (٤٥٣٤ التحقيق الثاني) وأورد نحوه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٦٧٨٧ وفيه : « حدثنا روح حدثنا زمعة بن صالح قال سمعت ابن شهاب يحدث أن أبا أمامة بن سهل بن حنيف أخبره عن أبي أمامة أسعد بن زرارة وكان أحد النقباء يوم العقبة أنه أخذته الشوكة فجاءه رسول الله **ﷺ** يعوده فقال بنس الميت اليهود مرتين يقولون لولا دفع عن صاحبه ، ولا أملك له ضرا ولا نفعا ، ولأتمحلن له ، فأمر به وكوي بخطين فوق رأسه فمات » .
٢ (الحديث متفق عليه من حديث جابر **ر** فقد أورده البخاري في كتاب الطب باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى : [فيه شفاء للناس] وفي باب الحجامة من الشقيقة في الرأس ، وفي باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ، وأورده مسلم في كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التدوي بلفظ : « حدثني نصر بن علي الجهضمي حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن عاصم بن عمر بن قتادة قال جاءنا جابر بن عبد الله في أهلنا ورجل يشتكي خراجا به أو جراحا فقال ما تشتكي قال خرج بي قد شق علي فقال يا غلام انتني بحجام فقال له ما تصنع بالحجام يا أبا عبد الله قال أريد أن أعلق فيه محجما قال والله إن الذباب ليصيبني أو يصيبني الثوب فيؤذيني ويشق علي فلما رأى تبرمه من ذلك قال إني سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة من عسل أو لدعة بنار قال رسول الله **ﷺ** وما أحب أن أكتوي قال فجاء بحجام فشرطه فذهب عنه ما يجد » .

(٣) باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] [النساء : ٤٨] . وقال الخليل عليه السلام : [واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام] [إبراهيم : ٣٥] .

وفي الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال : الرياء » .

وعن ابن مسعود **Ⓣ** أنّ رسول الله **Ⓜ** قال : « من مات وهو يدعو من دون الله نداءً دخل النار » رواه البخاري .

ولمسلم عن جابر **Ⓣ** أنّ رسول الله **Ⓜ** قال : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » .

الشرح : مناسبتة للترجمة : أنّ الشرك لا يغفر نعوذ بالله من الشرك ، وحقيقة الشرك أن تدعو الله ندا تعتقد فيه جلب النفع أو دفع الضر ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل لذلك فإنّه يخاف منه ، ويحذر لما له من العواقب الوخيمة السيئة . أمّا في الشرك الأكبر فليس فيه

خلاف أنّه لا يغفر ، وأنّ صاحبه لا يخرج من النار ، ولكن الخلاف في الشرك الأصغر ، فالحلف بغير الله والرياء العارض في العمل هل هو داخل تحت الآية ؟ !! وإن كان يدخل تحت هذه الآية فإنّه يكون حكمه حكم الكبائر بأنّ صاحبه يعاقب ، ثم يخرج من النار ، ويدخل الجنة ، ولكنّه يخالف الكبائر في أنّه لا يغفر ؛ بل لا بدّ أن يعاقب صاحبه في النار هذا رأي جماعة من أهل العلم وقال قوم آخرون إنّ الشرك الأصغر حكمه حكم الكبائر مطلقاً ، ولعلّ حديث جابر يرجح الرأي الأول وهو أنّ الشرك الأصغر لا يغفر بل أنّ الله يعاقب صاحبه ، ثم يخرج من النار —

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند باقي الأنصار برقم الحديث ٢٧٧٤٢ وجاء فيه بلفظ : « قال عبد الله وجدت هذا الحديث في كتاب أبي بخطه حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله **Ⓜ** : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم ترءون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » قال الشيخ الألباني في صحيح الجامع في ج ١ / ٣٢٣ برقم الحديث ١٥٥٥ حديث صحيح وأحال إلى السلسلة الصحيحة برقم ٩٥١ وصحيح الترغيب برقم ٢٩ وحسنه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ٤ / ٢٥٣ برقم الحديث ٤٣٠١ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : [ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا] وفي كتاب الإيمان والنذور باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلي أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار .

ويدخل الجنة لإطلاق قوله : « ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » .

قوله وقال الخليل عليه السلام : [واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام] إذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كسر أصنام قومه ، ورمي في النار بأسباب ذلك ؛ يخاف على نفسه ، وعلى أبنائه من عبادة الأصنام ، ويدعو الله أن يجنبه ذلك ، فغيره من باب أولى .

وفي الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال : الرياء » وأقول : إنّ الرياء خطير قلّ أن يسلم منه العبد ، وبالأخص العارض في العمل ؛ علماً بأنّ الرياء ينقسم إلى قسمين :

الأول : وهو يعد من الشرك الأكبر ، وهو الباعث على العمل ، وهو رياء المنافقين ؛ قال تعالى : **[وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا]** [النساء : ١٤٢] فإذا كان الرياء هو الباعث على العمل بأن المرئي لا يعمل العمل إلا من أجل الرياء ، فهذا من الشرك الأكبر الموجب للخلود في النار ؛ كأن يكون شخص يصلي إذا كان مع الناس ، ويترك الصلاة إذا خلا ، وفي الخل الذي لا يراه فيه أحد ، فهذا هو الباعث على العمل وهذا من الشرك الأكبر كما قلت .

الثاني : لكن إذا كان الباعث على العمل هو الإيمان ، وفي أثناء العمل عرض للإنسان حب الذكر أي حب الشئ ؛ كأن يقوم يصلي لله ، فإذا كان هناك شخص ينظر إليه حسن صلواته أكثر فهذا التحسين في الصلاة يكون من الرياء العارض في العمل ، وهذا بحسب الحالات تارة يستمر فيه صاحبه فيحبط العمل ، وتارة يستعيد العبد فيه بالله من الشيطان ويخلص نيته لله فيكون الخل في العمل بمقدار ما فيه من قصد الرياء ، والعياذ بالله .

ومن الشرك الأصغر شرك الإسناد الذي يجري على اللسان من غير اعتقاد ؛ كقولهم لولا الكلب لأتانا اللصوص ؛ لولا كذا لكان كذا ، وقولهم مطرنا بنوء كذا ، وأن هذا النجم جاد من الجود ، وهو الكرم لما أنه حصل فيه مطر كثير ، ونحو ذلك ، فهذا الشرك الأصغر لا يخرج من الإسلام ، ولا ينقل صاحبه إلى الكفر ؛ لكن هل كونه معرض للغفران أم لا ؟ هذا محل نظر كما سبق ، ولأهل العلم فيه مذهبان كما سبق أن بينت ذلك .

وعن ابن مسعود **Ⓣ** أن رسول الله **ﷺ** قال : **« من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار »** أي يدعو مخلوقاً جعله نداً لله يغفر الذنوب ، ويفرج الكرب ، ويحصل المطلوب ، فلكونه جعله

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

مساوياً لله لذلك استحق صاحبه أن يخلد في النار ، والمشرك حابط العمل أي أن أعماله الخيرة كلها حابطة ، فلا يقبل منه عمل خيري ؛ لاتقبل منه حسنة ، ولا تغفر له سيئة ؛ قال الله تعالى : **[ولقد أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين]** [الزمر : ٦٥] وقال عن الأنبياء الذين ذكرهم في سورة الأنعام : **[ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون]** [الأنعام : ٨٨] .

وقد أفاد حديث جابر عند مسلم أن رسول الله **ﷺ** قال : **« من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار »** أن هاتان الشئتين

الخلصيتين موجبتان لمن مات لا يشرك بالله شيئاً وجب له دخول الجنة سواء كان ذلك بدون سابق عذاب أو مع سابق عذاب ، ثم تكون نهايته إلى الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً وجبت له النار ، وكتب عليه الخلود فيها وحرمت عليه الجنة إذا كان الشرك أكبر ؛ أمّا الأصغر فقد سبق الكلام عليه ، ودليل الشرك الأكبر قول الله عز وجل عن عيسى بن مريم : [وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار] [المائدة : ٧٢] وبالله التوفيق .

(٤) باب الدعاء إلى همدادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : [قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني] [يوسف : ١٠٨] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : « إئتني قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » وفي رواية : « إلى أن يوحدوا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم

أطاعوك لذلك ، فأياك وكرائم أموالهم ، واتباع دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد **٢** أنّ رسول الله **ﷺ** قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله **ﷺ** كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمز التّعم » **(٢)** يدوكون يخوضون .

١) أخرج الرواية الأولى الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، والرواية الثانية أخرجها الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي **ﷺ** أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وهناك رواية أخرى جاءت بلفظ : « فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله » فقد جاءت في صحيح البخاري في كتاب الزكاة باب زكاة البقر .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في لواء النبي **ﷺ** وفي باب فضل من أسلم على يديه رجل ، وفي كتاب المناقب باب مناقب علي **عليه السلام** وهو لفظ حديث الباب ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها ، وفي كتاب فضائل الصحابة باب فضل علي بن أبي طالب **عليه السلام** وفيه أيضاً لفظ حديث الباب .

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

الشرح : يقول الله عز وجل لنبيه **ﷺ** قل لهم يا محمد [هذه سبيلي] أي هذه طريقي ، وهذا دأبي [أدعو إلى الله] أي إلى توحيدهِ جلّ وعلا بالعبادة ، ونبتذ كل ما يدعى من دونه سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو أحجاراً أو أصناماً أو غير ذلك ؛ لأنّ الله عز وجل هو الذي خلقنا وهو الذي يرزقنا ، ويدبر أمورنا ، وهو الذي نفوسنا في يده ، وقلوبنا بين أصابعه فلا يجوز أن تصرف العبادة لأحدٍ سواه ، ولا يجوز أن يدعى أحدٌ غيره أو يدعى إلى عبادة غيره ؛ كل ذلك محرم لا يجوز فعله .

إذن فاعلموا أيها الناس إنّ هذا دأبي ، وهذه طريقي أدعو إلى الله [على بصيرة] من كتاب ربي أو ما أوحاه إليّ من السنة أنا ومن اتبعني أي اقتدى بي في هذا الطريق .

وعن ابن عباس **رضي الله عنهما** أنّ رسول الله **ﷺ** لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : « إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلاّ الله » وفي رواية : « إلى أن يوحدوا الله وهذه الشهادة هي مقتضى التوحيد إذ أنّها تحتوي على نفْيٍ وإثبات ، فلا إله إلاّ الله لا معبود

بحق غير الله عز وجل «إلا الله» تثبت العبادة لله ، وأنه المنفرد بالألوهية دون سواه وفي رواية : «إلى أن يوحدوا الله» أي يفرده بالعبادة «فإن هم أطاعوك لذلك» وفي رواية : «فإن هم أطاعوا لك بذلك» أي وافقوك عليه ، وقبلوه منك ، وعملوا به «فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة» وأقول إن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل إلا مع قربيتها شهادة أن محمداً رسول الله ، فمن لم يأت بهما فإنه لا يعد مسلماً إلا إذا جمع إلى وحدانية الله وتفرده بها إذا جمع إلى ذلك شهادة أن محمداً رسول الله ، فإن هو فعل الشهادتين بأن اعتقدهما في قلبه ونطقهما بلسانه ، فهو الموحد المنقاد ، ويتبع ذلك العمل بالجوارح للأعمال المقتضية لهاتين الشهادتين ، والتي لاتتم الشهادتان إلا بهما ، ومن ذلك أداء الصلاة ؛ لهذا قال : «فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة» وأقول الخمس

(١) أخرجها الإمام النسائي في سننه في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ، وهي رواية صحيحة صحيحها الألباني في صحيح سنن النسائي ج ٢ / ١٧٣ وفي سنن صحيح ابن ماجه برقم ١٧٨٣ وقال انظر إرواء الغليل برقم ٧٨٢ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

الصلوات هي الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والفجر ؛ وقد أمر الله بالمحافظة عليها فقال : «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين» [البقرة : ٢٣٨] والإشارة بالوسطى إلى أنها خمس ، والوسطى هي العصر ؛ لأنها توسطت بين صلاتي الفجر والظهر في النهار والمغرب والعشاء في الليل ، والأمر بهذه الخمس الصلوات أمرٌ بكل ما يلزم لها من شرائط وفرائض ، وواجبات .

ثم قال : «فإن هم أطاعوك لذلك» أو «أطاعوك بذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» هذه حقُّ الله في المال كما أنَّ الصلاة حقُّ الله في البدن ، وقد أخبرهم أنَّ هذه تؤخذ من أغنيائهم ، وترد على فقرائهم ، فنفعها يعود إليهم أي إخوانهم الذين يعايشونهم ، وذلك حق جعله الله في أموال الأغنياء ليواسي به الفقراء وفي ذلك من النفع ما فيه لأنه سبب في رضى الله عز وجل ، وثانياً دفع لشر هؤلاء الفقراء حتى لا يتهموا الأغنياء بالاستئثار وسبب في بركة الله عز وجل لهم في تلك الأموال التي أبقوها كما قال عز وجل : «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» [سبا : ٣٩] .

ثمَّ قال : « فإن هم أطاعوك لذلك ، فأياك وكرائم أموالهم » أي لاتأخذها في الزكاة فتظلمهم بأخذ الكرائم التي هي أعلى من الواجب عليهم ، فلايجوز للمُصدِّق أي الذي يأخذ الزكاة أن يأخذ الكريمة ، ولايجوز للمعطي أن يبذل اللئيمة ؛ بل يجب عليهما أن يكون الأخذ من الوسط ما بين الكريمة واللئيمة إلا في حالة أن يبذل المعطي الكريمة طوعاً من نفسه ، ومن هذا يؤخذ أنَّه لما أمرهم بالزكاة أوضح لهم ما يجب أخذه حتى لايتعرضوا لدعوة المظلوم ؛ لقوله **پ** : « واتق دعوة المظلوم ، فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب » .
ويؤخذ من هذا الحديث البدء بالعقيدة في الدعوة .

ويؤخذ منه أيضاً التدرج في الدعوة بحيث يبدأ الداعي بالأهم ، ثمَّ ينتقل إلى المهم .
ويؤخذ منه أنَّ الدين شامل للحقوق البدنية والمالية .

ويؤخذ منه هُي المصدِّق عن أخذ الكرائم .

ويؤخذ منه أنَّ زكاة كل قوم توزع على فقرائهم .

ويؤخذ منه أنَّ أموال الناس محترمة لايجوز أخذها بغير حق .

الشرع الموجز الممجد لتوحيد الخالق الممجد

ويؤخذ منه أنَّ أخذ الكرائم ظلم .

ويؤخذ منه أنَّ دعوة المظلوم مستجابة .

ويؤخذ منه دليلٌ على تحريم الاشتراكية نظراً لأنَّ أموال الناس حرام على بعضهم بعض ؛ لقوله **پ** في خطبة حجة الوداع : « أتدرون أي يوم هذا ؟ ! قالوا : الله ورسوله أعلم قال : حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال : أليس بيوم النحر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : أي بلد هذا أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : فإن دمائكم وأموالكم ، وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ؛ في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت ؟ !! قلنا : نعم . قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلِّغ يبلغه لمن هو أوعى منه » رواه البخاري ومسلم .

يقول المؤلف رحمه الله تعالى : « ولهما عن سهل بن سعد **٢** أنَّ رسول الله **پ** قال يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه » الحديث .

أولاً : ترجمة الراوي : سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري صحابي شهير وأبوه صحابي أيضاً ذكر سهل أنه مات النبي **ﷺ** وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة مات سنة ٨٨ وقيل ٩١ هـ وقد جاوز المائة .

ثانياً : يؤخذ من قوله : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » ما كان من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من المبادرة إلى محبة الله ورسوله ، والأخذ بالأسباب التي توجب حب الله ورسوله للعبد .

ثالثاً : إنَّ الحرص على ما يوجب حبَّ الله ورسوله للعبد دليل على قوة الإيمان وزيادته عند من حرص على ذلك .

رابعاً : في هذا منقبة للصحابة بحرصهم على محبة الله ورسوله ، ومنقبة لعلي بن أبي طالب **عليه السلام** لأنه كان هو المقصود .

١ (الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ، وفي كتاب الفتن باب قول النبي **ﷺ** : " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال من حديث أبي بكر **رضي الله عنه** .

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

خامساً : يؤخذ من قوله : « يفتح الله على يديه » منقبة أيضاً لعلي بن أبي طالب ، وفضيلة له حيث فتح الله خيراً على يديه ، وكان قبل ذلك قد حصل في فتحه شيء من الصعوبة .
سادساً : يؤخذ من قوله : « فبات الناس يدوكون ليلتهم » معنى يدوكون يخوضون ويتكلمون فيمن يتوقع أنه سيعطاها .

سابعاً : يؤخذ منه تسابق الصحابة على الخير ، وحبهم له ، وحرصهم عليه في قوله : « كلهم يرجو أن يعطاها » حتى أثر عن عمر بن الخطاب **رضي الله عنه** أنه قال : " ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ " .

ثامناً : يؤخذ من قوله : « فقل : هو يشتكى عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع » يؤخذ منه معجزة للنبي **ﷺ** حيث برأ علي بن أبي طالب **رضي الله عنه** من الرمد في الحال رغم ما يكون في الرمد من الصديد ، والرطوبة ، وكل شيء في قدرة الله سهل .

تاسعاً : في قوله : « فأعطاها الراية » يؤخذ من هذه منقبة لعلي بن أبي طالب **رضي الله عنه** .

عاشراً : يؤخذ من قوله : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه » يؤخذ منه الدعوة إلى الإسلام ، وأنَّ قتال النبي **ﷺ** وجهاده إنما كان لنشر الإسلام في ربوع الأرض .

الحادي عشر : يؤخذ منه ردُّ على من زعموا أنَّ الجهاد شرع للدفع ، ولم يشرع لنشر الدعوة وهذه دعوة باطلة مبطللة ؛ بل أنَّ الجهاد شرع لنشر الإسلام في ربوع الأرض ، وإنقاذ البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

الثاني عشر : يؤخذ من قوله : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم » والنعم هي الإبل ، والحمر منها أفضل من غيرها ، وكانت أنفس الأموال عند العرب .

الثالث عشر : يؤخذ من هذه الجملة أنَّ ثواب الدعوة إلى الله يادخال رجل واحد في الإسلام خيرٌ من أنفس الأموال ، وأحسنها ، وبالله التوفيق .

(١) الأثر أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضل علي بن أبي طالب **ﷺ** .
الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

(٥) باب تفسير التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : [أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب] [الإسراء : ٥٧] وقوله : [وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون & إلا الذي فطرني] [الزخرف : ٢٦ - ٢٧] وقوله : [اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله] [التوبة : ٣١] وقوله : [ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله] [البقرة : ١٦٥] وفي الصحيح عن النبي **ﷺ** أنه قال : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ، ودمه ، وحسابه على الله » . (١)

الشرح : يقول هنا عبد الرحمن بن محمد بن قاسم : " عطف الشهادة على التوحيد من عطف الدال على المدلول فإنَّ التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ، ومدلولها مطابقةً يعني باب إيضاح التوحيد توحيد الألوهية والعبادة ؛ لأنَّه هو المقصود بالذات من تصنيف الكتاب ، وبيان مدلول شهادة أن لا إله إلا الله من النفي والإثبات ، وما تضمنته من إخلاص العبادة لله وحده دونما سواه فالتفسير تارة يكون بذكر ما تحت اللفظ من معنى ، وتارة بذكر الضد والمنافي " انتهى .

وأقول : إنَّ تفسير شهادة أن لا إله إلاَّ الله الذي هو النفي والإثبات ، وهو نفي الألوهية عمَّا سوى الله ، وإثبات الألوهية له وحده ، فهذا هو ما تضمنته هذه الكلمة نفي الألوهية عمَّا سوى الله ، وإثبات الألوهية له وحده دون سواه ، وهذا هو حقيقة التوحيد ، وهو تفسيره .

وقول الله تعالى : [أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب] أيَّ إنَّ أولئك المدعويين الذين تدعونهم أنتم أيها المشركون هم كانوا يدعون ربهم ، ويتسابقون إلى مرضاته كلَّ منهم يريد أن يتقرب إليه بالوسيلة التي شرعها على ألسنة رسله راجياً من الله أن يجعله من المقربين لديه ، فكيف أنتم تدعونهم الآن ، وتطلبون منهم جلب النفع ، ودفع الضرر ؟!!! وكان ينبغي لكم أن تدعو الله عز وجل الذي كانوا يدعونه ، وتتقربوا إليه بدعوته وحده كما كانوا يتقربون إليه ، وكذلك أنَّ هؤلاء المدعويين عاجزون عن أن يجلبوا لكم نفعاً أو يدفعوا عنكم ضراً كما أنهم كانوا عاجزين عن جلب النفع لأنفسهم أو دفع الضرر عنها ، وإنَّما كانوا يطلبون

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ... من حديث أبي مالك الأشعري عن أبيه رضي الله عنهما .

الشرح الموجز للممهد لتوحيد الخالق الممجد

ذلك من الله جلَّ وعلا ، وقد قال جلَّ من قائل : [قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً] [الإسراء : ٥٦] أي لا يملكون دفع الضر عنكم ، ولا تحويله إلى غيركم ، فالذي يقدر عليه هو الله وحده .

ثمَّ ذكر المؤلف الآية : [وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون & إلا الذي فطرني] ففي هذه الآية أخبر الله عز وجل أنَّ إبراهيم عليه السلام أعلن لأبيه وقومه براءته من عباداتهم ولما كانت عبادتهم مخلوطة ، فهم تارةً يعبدون الله ، وتارةً يعبدون غيره ؛ تبرأ إبراهيم من عبادتهم لغير الله ، واستثنى من ذلك عبادة الله الذي فطرهم ، وفطر غيرهم أي خلق جميع المخلوقين فأثبتها ، ونفى سواها حيث قال : [إنني براء مما تعبدون & إلا الذي فطرني] فإنَّ عبادته وحده هي دأبي ، وعقيدي ، وقرّة عيني الذي تقر عيني به ، وأطمئنُّ إليه ، وإلى عبادته ، وتسكن نفسي إلى عبادته وحده [إلا الذي فطرني] ابتداء خلقي ، وكلمة فطر معناها ذلك ، وقد قال ابن عباس : " ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى احتكم إليَّ أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما أنا فطرتهما " أي أنا الذي ابتدأت إنشاءها ، فمعنى فطرني ابتداء إنشاء خلقي ؛ لذلك فهو المستحق أن تصرف إليه عبادتي ، ثمَّ قال :

وقوله : [اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله] الأحبار هم العلماء ، والرهبان هم العباد ، ومن عادة الناس أن يرجعوا إلى هذين الصنفين ، وأن يأخذوا بكلامهم ، فقد عاب الله عز وجل على الكفار اتخاذ الأحبار ، والرهبان أربابا من دون الله ؛ حيث جعلوهم مشرعين يحلون لهم ما حرم الله فيحلونه ، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه ، وليس هذا بإطلاقه يوجب الخروج من الإسلام ، ولكن في ذلك تفصيل : -

فتارةً يبلغ بفاعله الخروج من الإسلام ، وذلك فيما إن اتخذوهم مشرعين ، وأخذوا تشريعاتهم وقدموها على ما شرع الله في كتابه ، وما شرع رسوله ﷺ معتقدين أن تلك التشريعات مساوية لشرع الله أو زائدة عليه .

أما إن استفتوهم ، فأفتوهم بتحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، فأطاعوهم بذلك معتقدين صدقهم فيما أفتوا به لكونهم أهل علم ، وظنوا أن الصواب معهم ، فهذا لا يبلغ بمن فعله الكفر المخرج

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر في ج ١٨ / ٧٨ والإستذكار في ج ٣ / ١٠٥ والنهاية في غريب الحديث في ج ٣ ، ٤٥٧ عند لفظة : " فطرتها " .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

من الملة ، ولكنه معصية كبيرة .

وقوله تعالى : [ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله] الأنداد هم النظراء

فمن اتخذ معبوداً سوى الله عز وجل يعبد ، ويطلب منه جلب النفع ، ودفع الضر ؛ معتقداً فيه القدرة على ذلك ، فهو قد اتخذ نداءً لله عز وجل ؛ أي مساوياً له ، ونظيراً ، وهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة ؛ لأن من أحب غير الله عز وجل كحب الله ، فإنه قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة ؛ حتى ولو تسمى بالإسلام ، وزعم أنه مسلم ، فالله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ﷺ : [ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] [الزمر : ٦٥] ويقول بعد ذكر الرسل الذين ذكرهم في سورة الأنعام آية ٩٨ : [ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون] وفي الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » في هذا الحديث دليل على أن القول يعني قول " لا إله إلا الله " لا بد له من عمل يؤيده ، وهو الكفر بما يعبد من

دون الله ، وفي هذا تصديقٌ لقول لا إله إلا الله الذي هو النفي والإثبات ، فنفي الآلهة سوى الله عز وجل حاصلٌ بـ " لا إله " وإثبات العبودية لله حاصلةٌ بقوله : " إلا الله " فمن نفى الآلهة مع الله يلزمه أن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ، وأن يعتقد أن العباداة لاتصح ، ولاتقبل إلا بهذين الشرطين يوقن بهما بقلبه عقداً ؛ بأن يعتقد أن الألوهية أمرٌ يختص به الله عز وجل ، وأن كل مألوه سواه فهو قد أله بغير حق ، فلذلك هو يكفر بكل معبودٍ سوى الله ، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت لقوله **ρ** : « وكفر بما يعبد من دون الله » فمن اعتقد الألوهية لله ، وكفر بما يعبد من دونه ، فإنه يكون قد استكمل الإيمان ، وبذلك يحرم ماله ودمه ، فيعصم دمه فلا يراق إلا بحق ، ويعصم ماله فلا يؤخذ إلا بحق .

وما أكثر المخالفين في الأزمنة الأخيرة لهذا الشرط ، فتجد الواحد منهم يقول لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله معتقداً فيه جلب النفع ودفع الضر ، ومع ذلك يصلي ، ويزعم أنه مسلم ؛ بل

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله من حديث أبي هريرة **ر** .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

من تكلم في التوحيد ، ونهى عن عبادة القبور ، والأضرحة ، والسادة ، والأولياء ؛ قالوا هذا يبغض الأولياء ؛ بل تجد بعضهم داعيةً للشرك بالله عز وجل ، وهو مع ذلك يصلي ، ويصوم ويزعم أنه مسلم ، ولكنه يقبض النذور ؛ التي نذر بها للولي الفلاني ، ويجير من استجاره فيما لا يقدر عليه إلا الله ؛ بل يأتي الواحد من العامة الذين استعبدوا هؤلاء السدنة ، فيدخل تحت سريره ، ويسجد لذلك السادن ، ويطلب منه شفاء مريضه أو رد ضالته أو هداية زوجته أو النصر على عدوه ، فيتعهد له ذلك السادن بأن الله عز وجل سيفعل له ذلك الشيء المطلوب وكأنما يتعهد على ابنه أو قريبه ؛ الذي يمون عليه ؛ ألا فليتنق الله هؤلاء الذين مسختهم الصوفية فجعلوا مع الله آلهةً أخرى ليتقوا الله عز وجل ، ويتركوا ما هم عليه من الشرك بالله ، وعبادة الطواغيت ، وإلا فإنهم قد أنذروا بالنار الحامية ، والله سبحانه وتعالى يقول : [فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا] [النبا : ٣٠] فمن آمن بالله ، وكفر بما يعبد من دونه عصم دمه ، وماله ويكون حسابه على ربه سبحانه وتعالى إلا أنه موعودٌ بخير ؛ قال الله تعالى : [وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم] [يونس : ٢] وبالله التوفيق .

(٦) **باب من الشرك ليس الحلقة والخيوط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**

وقول الله تعالى : [قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍ هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمةٍ هل هنَّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون] [الزمر : ٣٨] .

وعن عمران بن حصين **ط** أنَّ النبي **ﷺ** رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر ، فقال : « ما هذه ؟ قال : من الواهنة : قال : انزعها ، فإنَّها لاتزيدك إلّا وهناً ، فإنَّك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً » رواه أحمد بسندٍ لا بأس به ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ورواه بنحوه أيضاً عن أبي عامر الخراز عن الحسن .

وله عن عُقبة بن عامر **ط** : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنَّه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله : [وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون] [يوسف : ١٠٦] .

الشرح : الرفع يكون بعد وجود البلاء ، والدفع يكون قبل وجوده ؛ كما يعتقد بعض الناس أنَّ هناك أشياء تدفع العين أو تدفع الجن ، وما أشبه ذلك ، وهذا أمرٌ خطير ، فمن بنى بيتاً وقيل له

(١) قال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي في كتابه مختار الصحاح ص ١٧٧ : " الصُّفْرُ بالضم نحاسٌ يعمل منه الأواني وأبو عبيدة يقوله بالكسر " اهـ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند في ج ٤ / ٤٤٥ برقم الحديث ٢٠٠١٤ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج ١٣ / ٤٤٩ برقم الحديث ٦٠٥٨ في كتاب الرقى وأخرجه الحاكم في المستدرك في ج ٤ / ٢١٦ وأخرجه ابن ماجة في السنن في ج ٢ / ١١٦٧ برقم ٣٥٣١ باب تعليق التمانم والطبراني في المعجم الكبير ج ٨ / ٦٧ برقم ٧٧٠٠ وفي ج ١٨ / ١٧٩ برقم ٣٩١ وابن أبي شيبة في ج ٥ / ٣٥٠ برقم الحديث ٢٣٤٦٠ وفي مصنف عبد الرزاق في ج ١١ / ٢٠٩ برقم الحديث ٢٠٣٤٤ .

(٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج ١٣ / ٤٥٠ برقم الحديث ٦٠٨٦ وفي المستدرك للحاكم في ج ٤ / ٢٤٠ برقم الحديث ٧٥٠١ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه قال الذهبي في التلخيص صحيح وفي المستدرك أيضاً في ج ٤ / ٤٦٣ برقم الحديث ٨٢٨٩ وأخرجه البيهقي في السنن في ج ٩ / ٣٥٠ برقم الحديث ١٩٣٨٩ وأخرج في شرح معاني الآثار في ج ٤ / ٣٢٥ برقم الحديث ٦٦٦٠ وأخرجه الإمام أحمد في ج ٤ / ١٥٤ برقم الحديث ١٧٤٤٠ قال الهيثمي في مجمع الزوائد في ج ٥ / ١٠٣ : " رجال أحمد ثقات " وأخرجه أبو يعلى في مسنده في ج ٣ / ٢٩٥ برقم الحديث ١٧٥٩ وفي مسند الشاميين في ج ١ / ١٤٦ برقم الحديث ٢٣٤ والطبراني في المعجم الكبير في ج ٧ / ٢٩٧ برقم الحديث ٨٢٠ .

(٤) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره في ج ٤ / ٣٤٢ وفي النهج السديد ص ٥٧ وقال : " ضعيف رواه ابن أبي حاتم وقد أورده بسنده في تفسير العزيز الحميد من طريق عروة بن الزبير عن حذيفة ولا يعرف لعروة سماع من حذيفة " وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٥ / ٣٥٠ برقم الحديث ٢٣٢٦٢ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

إذا كنت تريد أن الجن ما تؤذيك في بيتك هذا فأهرق فيه دماً أي أرق دماً للجن حتى ما تؤذيك فإن صدق هذا الكلام ، وأراق دماً للجن ولو كان دم عصفور أو ديك أراقه لاسترضاء الجن أو الناس ؛ كما حصل أن قوماً ممن قبلنا كان لهم صنمٌ ، وكانوا على طريق الناس ، فقرروا أنهم لا يمرُّ بهم شخصٌ إلاً ويقرب لصنمهم هذا شيئاً ، ويمنعون المارة من المرور إلاً بعد أن يقربوا لصنمهم هذا ، فمن قرب له ولو ذبابةً خلوا سبيله ، ومن لم يقرب له شيئاً قتلوه ، فمر بهم رجلان فأحدهما قرب ونجا من القتل ؛ لكنّه استوجب النار جزاءً له على ما فعل ، والآخر قال لم أكن لأقرب لأحدٍ دون الله شيئاً ، فضربوا عنقه فدخل الجنة ؛ فيا عبد الله كن موحداً ، ومت على التوحيد لتنجو من عذاب ربك .

وقول الله تعالى : [قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضربٍ هل هنّ كاشفات ضربه أو أرادني برحمةٍ هل هنّ ممسكات رحمته] معنى هذه الآية قل لهم يا محمد [أفرايتم] يا مشركون [ما تدعون من دون الله] أي الذين تدعون من دون الله من معبودات كاللات ، والعزى ومناة وغيرها [إن أرادني الله بضربٍ] أي بضربٍ يصيبني هل هذه الآلهة تقدر على كشفه ؟ الجواب : أمّا لا تقدر على كشف الضر الذي يريد به الله عز وجل ، ولا تقدر على منع الرحمة التي يريدني بها ربي [أو أرادني برحمةٍ هل هنّ ممسكات رحمته] وهذا يستفاد منه عدم قدرتها لا في النفي ، ولا في الإثبات ، فهي لا تقدر على كشف الضر الذي يريد به الله بي ، ولا تقدر على منع الرحمة التي يريد بها الله بي ، وهذا إخبارٌ عن عجز الآلهة كلها

كقوله سبحانه وتعالى : [يا أيها الناس ضرب مثلٌ فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب] [الحج : ٧٣] .

ثمَّ أورد حديث عمران بن حصين **٢** أنَّ النبي **ﷺ** رأى رجلاً في يده حلقةً من صفر فقال : « ما هذه ؟ قال : من الواهنة : قال : انزعها ، فإنَّها لاتزيدك إلّا وهناً ، فإنَّك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً » مضمون هذا الحديث أنَّ من تعلق شيئاً أنَّه يوكل إلى الشيء الذي تعلقه سواءً كان من صفر أو من حديد أو من خيوط أو من سيور أو غير ذلك ؛ كل هذه الأشياء لاتفيد من تعلقها شيئاً ، والمؤمن متوكل على الله ، فيبقى المؤمن مرتبطاً بربه سبحانه وتعالى غير ملتفتٍ لأحدٍ سواه وهذا هو التوحيد الذي لايقبل الله من الخلق عبادةً بدونه ؛ سواء كانت صلاةً أو صوماً أو صدقةً

الشرع الموجز الممجد لتوحيد الخالق الممجد

أو غير ذلك لاتقبل إلّا بالتوحيد ؛ لأنَّه أساسها ، وقاعدتها .

وله عن عقبة بن عامر **٢** : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له »

وفي رواية : « من تعلق تميمةً فقد أشرك » .

عقبة بن عامر بن عمرو الجهني **٢** صحابي مشهورٌ فاضل ؛ روى عنه جماعةٌ من الصحابة والتابعين ؛ أحد من جمع القرآن .

قوله : " من تعلق تميمة " أي علقها عليه أو على غيره من طفل ، ودابة متعلقاً بها قلبه في طلب خير أو دفع شر " فلا أتمَّ الله له " أي لا أتمَّ الله له ما قصده ؛ دعاءً عليه بنقيض قصده ، وأنَّ الله لا يتم له أمره ، ودعائه **ﷺ** على متعلقها يفيد أنَّه محرم ، وتحريمه يفيد أنَّه من المحرمات الشركية وإنَّما كان شركاً لما يقوم بقلب المتعلق من الاعتماد على غير الله في جلب النفع أو دفع الضرر وكمال التوحيد لا يحصل إلّا بترك ذلك .

وأقول : لقد عرفنا فيما سبق أن بعض الناس يعلق على نفسه أو على ولده تميمة ، فيتعلق قلبه بتلك التميمة بأنَّها تدفع عنه الشر والأذى ، وكم رأينا من أناس يكون متعلقاً لتميمة ، فإذا حاولت إزالتها عنه ظنَّ بأنَّك ألقيتها إلى الموت ، وقد يكون أنَّ بعض الناس يعلق على دابته شيئاً يزعم أنَّه يصرف عنها العين أو يصرف عنها الجن ، فقد كنَّا في الأزمنة السابقة الحتين يحمل شفرة أي سكيناً يزعمون أنَّ هذه الحديدية التي يحملها تدفع عنه الشياطين ، وكذلك أيضاً النفساء تحمل شربة تزعم بأنَّها تمنع ولدها من الشياطين ، وكان بعض الناس يتعلق عظم نسر ، وبعضهم يتعلق شيئاً من

الصَّبْع ، وبعضهم يتعلق عين الذئب ، وكذلك أيضاً كانوا يعلقون على الجمال الجمل الكبير يعلقون عليه سبعةً من أعواد السداد ، وهكذا وهكذا أشياء كثيرة جعلها الشيطان للناس فيكون قلب المتعلق متعلقاً بها يظنُّ أنها تحميه ، ومن ذلك أيضاً تعلق الودع وتعلق الخيوط ؛ كل هذا لا يجوز للمسلم أن يفعله ؛ لأنه تعلق بغير الله .

وبالجملة فمن تعلق شيئاً يزعم بأنه يجلب له نفعاً أو يدفع عنه ضرراً فإنه في هذه الحالة يعتبر قد أشرك بالله شركاً أكبر أو شركاً أصغر على الأقل ، ولهذا فإنه لا يخلو من إحدى العقيدتين ، فإن اعتقد أنَّ صحته ، وسلامته متوقفة على هذا الشيء المتعلق ، فإن قطع منه أو أزيل عنه اعتقد بأنه

(١) باللهجة الدارجة في منطقة جازان يسمى المحش المقطوع أي سكين من نوع خاص يقطع به النبات ؛ قال شيخنا النجدي : " الشرمة المحش إذا انكسر وبقي أصله يقال له شرمة ، فالمرأة تجعل لها شرمة ، ويجعلون حديدة تحت سرير المولود ، ويقولون يدفع عنه الجن ، والختمين ، لا يخرج إلا والشفرة في يده " قال شيخنا النجدي : " وهو شجر لا ورق فيه تبنى عليه أشجار أخرى ، واللعن عليه العزيم الممجد لتوحيد الخالق الممجد

قد تعرض للهلاك ، فإنَّ هذا يعدُّ من الشرك الأكبر ، وإن اعتقده سبباً مع علمه بأنَّ الله هو الشافي ، والواقى ، فإنه يكون في حقه شركاً أصغر ، والله تعالى أعلم .
الودع : هو صدفٌ يخرج من البحر يتخذه بعض الناس الفقراء للزينة ، ويلعب به الأطفال ويكون شركاً إذا كان يعلقه معتقداً فيه أنه يدفع العين أو الشياطين .
أمَّا من تعلق الودع كزينة كما يفعله النساء من سكان الجبال ، فهذا لا يعتبر من الشرك ولا يدخل في الشرك .

قوله : « فلا ودع الله له » أي فلا تركه ؛ بل يعاجله بالعقوبة هكذا فيما يظهر .
ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنَّه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحمى فقطعه وتلا قوله : [وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون] [يوسف : ١٠٦] .

قوله : « في يده خيطٌ من الحمى » كان الناس في الأزمنة القديمة يتخذ أحدهم خيطاً يرقى فيه ويعقد يقرأون شيئاً من القرآن ، وأحياناً من غيره ، ويربط بسبع ربطات ، ثم يقولون هذا يدفع عنه المرض أو الحمى أو ما أشبه ذلك ، وقد كان الناس في الزمن السابق يفعلون ذلك ، علماً بأن قطع العزيمة أو الخيط أو الشيء المتعلق من دون نصيحة صاحبه واقناعه بأنه لا يغني عنه شيئاً ولا يدفع عنه ضرراً ، ولا يجلب له نفعاً ؛ هذا إنما يكون ممن له سلطة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم حين قطع تلك الحلقة عن الرجل من دون رضاه ؛ لأنه ولي الأمر ، وحذيفة كان هو أمير المدائن في ذلك الوقت ، فالحكم أن ما حصل من حذيفة رضي الله عنه لأنه كان من ولاة الأمر كما أنَّ النبي صلى

الله عليه وسلم هو ولي الأمر ، والمشرّع ؛ فلا يجوز أن نأخذ بهاتين القصتين ، ونقطع كل من رأينا عليه شيئاً من ذلك رضي أو لم يرض ، فهذا خطأ ؛ بل يجب أن يكون الإنكار باليد لولادة الأمر ، وللرجل في أهل بيته ؛ أمّا من عدا ذلك فينبغي أن يكون إنكاره بالتوجيه والإقناع فإن اقتنع قطعه عنه بعد قناعته ، وإلا فلا ، وبالله التوفيق .

(٧) باب ما جاء في الرقى والتمايم

وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري **ط** : « **أ**نه كان مع رسول الله **ﷺ** في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً ألاّ يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلاّ قطعت » .

وعن ابن مسعود **ط** قال سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : « **إ**نّ الرقى ، والتمايم ، والتولة شرك » رواه أحمد ، وأبو داود .
وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : « **م**ن تعلق شيئاً و**ك**ل إليه » رواه أحمد ، والترمذي .

التمايم شيء يعلق على الأولاد من العين ؛ لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخّص فيه ، ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود **ط** .

والرقى : وهي التي تسمى العزائم ، وخصّ منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله **ﷺ** من العين ، والحمة .
التولة : شيء يصنعونه يزعمون أنّه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله **ﷺ** : « **ي**ا رويفع لعلّ الحياة ستطول بك فأخبر الناس أنّ من عقد لحيته أو تقلّد وترّاً أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإنّ محمداً

(١) الحديث متفق عليه ، فقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير .
 (٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم الحديث ٣٦٠٤ ترقيم إحياء التراث ، وورد في سنن أبي داود في ج ٤ / ٩ برقم الحديث ٣٨٨٣ وكذا ورد عند ابن حبان في صحيحه في ج ١٣ / ٥٦٦ برقم الحديث ٦٠٩٠ وورد في المستدرک على الصحيحين في ج ٤ / ٤٦٣ برقم الحديث ٨٢٩٠ وقال الحاكم : " حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وأورده البيهقي في السنن الكبرى في ج ٩ / ٣٥٠ برقم الحديث ١٩٣٨٧ ، وأورده أبو يعلى في مسنده في ج ٩ / ١٣٣ برقم الحديث ٥٢٠٨ ، وفي المعجم الكبير للطبراني في ج ١٠ / ٢١٣ برقم ١٥٠٠٣ وفي الأوسط له في ج ٢ / ١١٩ برقم الحديث ١٤٤٢ وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج ١ / ٣٣٦ برقم الحديث ١٦٣٣ وقد أشار رحمه الله إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٣٣١ .
 (٣) الحديث أخرجه الإمام النسائي (المجتبى) في حكم السحرة في ج ٧ / ١١٢ برقم الحديث ٤٠٧٩ وفي السنن الكبرى له في ج ٢ / ٣٠٧ برقم الحديث ٣٥٤٢ وأورده البيهقي في السنن الكبرى في ج ٩ / ٣٥١ برقم الحديث ١٩٣٩٥ وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل في ج ٤ / ٣١٠ برقم الحديث ١٨٨٠٣ وأورده ابن أبي شيبه في مصنفه باب في تعليق التمانم في ج ٥ / ٣٦ برقم الحديث ٢٣٤٧٤ وأورده الإمام الترمذي في كتاب الطب باب ما جاء في كراهية التعليق برقم الحديث ٢٠٧٢ وقد أشار الإمام الألباني إلى صحة هذا الحديث وذلك في صحيح الترمذي ج ٢ / ٤١٠ وقال صحيح انظر غاية المرام ٢٩٧ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

برئ منه .»

وعن سعيد بن جبیر **ط** قال : « من قطع تميمةً من إنسان ، كان كعدل رقبة » رواه وكيع .
 وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمانم كلها من القرآن ، وغير القرآن .

الشرح : الرقى : جمع رقية ، والرقية هي العوذة يعوذ بها المريض ؛ وهو أن يقرأ شيئاً من القرآن وينفث على المريض ، وكذلك ما ورد من التعوذات في السنة فقد ورد أن النبي **ﷺ** كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » يفعل ذلك ثلاث مرات ، ويمسح على رأس الصبي ، وقال لقد كان إبراهيم الخليل يعوذ بها إسماعيل وإسحاق .

وورد في الرقية حديث أبي سعيد الخدري **ط** : « أن ناساً من أصحاب النبي **ﷺ** أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك القوم ، فقالوا هل معكم من دواء أو راق فقالوا إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء فجعل يقرأ بأمر القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبراً فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي **ﷺ** فسألوه فضحك وقال وما أدراك أنما رقية خذوها واضربوا لي بسهم » .

فهذه الأحاديث دالة على جواز الرقية ؛ لكن بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن تكون من الكتاب أو السنة .

الشرط الثاني : أن تكون باللفظ العربي .

الشرط الثالث : ألا يعتقد فيها أنما التي تشفي بل يعتقد أنها سبب .

- ١ (الحديث أخرجه الإمام النسائي في كتاب الزينة باب عقد اللحية ، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب ما ينهى عنه أن يستنجد به وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند الشاميين برقم إحياء التراث : ١٦٥٤٧ و ١٦٥٤٨ و ١٦٥٥٢ وقد صحح الإمام الألباني هذا الحديث في صحيح الجامع ج ٢ / ١٣١٠ برقم الحديث ٧٩١٠ وقال انظر صحيح أبو داود رقم ٢٦ والمشكاة رقم ٣٥١ .
- ٢ (الأثر أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف في ج ٥ / ٣٦ برقم الحديث ٢٣٤٧٣ .
- ٣ (والأثر أيضاً أخرجه ابن أبي شيبه برقم الحديث ٢٣٤٦٧ .
- ٤ (الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الطب باب ما جاء في الرقية من العين ، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب السنة باب في القرآن وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بترقيم إحياء التراث رقم ٢١١٣ و ٢٤٣٠ وذلك في مسند بني هاشم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .
- ٥ (الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد ، واللفظ الوارد في الشرح من صحيح الإمام البخاري في كتاب الطب باب الرقى بفتاحة الكتاب ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ وأورده الإمام مسلم في كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار .

أما التمايم : فهي جمع قيمة ، والمراد به الشيء المتعلق الذي يتعلقه الإنسان ليجلب به نفعا أو يدفع به ضرراً ، وقد اختلف السلف في المتعلق إذا كان من القرآن هل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟ والصحيح أنه لا يجوز ذلك :

- ١ - لأنّ تعلق الآيات القرآنية يعرضها للامتهان ، فيحملها الرجل عند قضاء حاجته ، والمرأة عند حاجتها ، وأثناء حيضها ، والرجل والمرأة معاً عند جماعهما ، وهذا أمرٌ لا يجوز .
- ٢ - أنه لم يرد عن النبي ﷺ هذا ، وإنما ورد عنه الرقية ، وما عدا الرقية من كتابة الآيات ومحوها أو غير ذلك فإنه غير مشروع ، ولا ينبغي مزاولته ؛ والنحو هو أن تكتب الآيات في إناء ثم تمحى الكتابة بالماء ، ويشربه المريض ؛ وهذا غير مأثور عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ، وما ورد عن ابن مسعود في قوله ﷺ : « إنَّ الرقى ، والتمايم ، والتولة شرك » فهو محمول على الرقية الممنوعة التي يكون فيها تعاويد بأسماء غير معلومة ؛ أما التمايم ، فالمعروف أنَّ الناس عندما يتعلقون التمايم تتعلق قلوبهم بها فيكون الواحد منهم معتقداً بأنَّ تلك التهمة هي التي تدفع عنه الأخطار وتؤمنه من المخاوف وهذا هو الشرك بعينه .

أما التولة : فهي ما يصنع لتحبيب الرجل إلى امرأته أو المرأة إلى زوجها ، وهذا كله لا يجوز بل أنَّ من يفعلون ذلك إنما يفعلونه بنوع من السحر ، والسحر حرام ، ولا يقدر على فعله إلا كافر .

أما حديث أبي بشير الأنصاري ﷺ : « أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً ألاَّ يبقين في رقبة بغير قلادة من وتر أو قلادة إلاَّ قطعت » .

الوتر : هي السيور التي يشد بها القوس ، فإذا بلي وأرادوا إبداله أخذوه وقلدوه الدابة زعماء منهم أنه يدفع عنها العين أو يدفع عنها الشياطين ، وهذا هو الشرك بعينه .

أمّا قوله : « أو قلادة » يعني أي قلادة تكون ، فإنّه لا يجوز تعلقها من أجل الاعتقاد ، وغالباً أنّ الذين يقلدون الدابة أهمّ إنّما يقلدونها لاعتقادهم في ذلك .

قوله هنا : " والرقى : وهي التي تسمّى العزائم ، وخصّ منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين ، والحمة " وأقول : فرق بين الرقية والعزيمة : - فالعزيمة هي ما يكتب لحمله . والرقية هي أن يقرأ الراقي ، وينفث بدون كتابة .

والرقية جائزة ؛ أمّا العزائم ، والتمايم ، فهي ممنوعة كما تقدم ، وتجوز بشروطها ، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال : « كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا يا رسول الله : كيف ترى في ذلك ؟ فقال : اعرضوا علي رقاكم ؛ لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك » قال في فتح المجيد قال الخطابي : " وكان عليه السلام قد رقى ، ورقى ، وأمر بها ، وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن ، وبأسماء الله ، فهي مباحة أو مأمور بها ، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فإنّه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك " وقال شيخ الإسلام : " كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلاً عن أن يدعو به ولو عرف معناه " وقال السيوطي : " أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط أن تكون من كلام الله ، وبأسمائه وصفاته وباللسان العربي ، وأن يعتقد أنّ الرقية لا تؤثر بذاتها ؛ بل بتقدير الله تعالى " اهـ .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وگل إليه » رواه أحمد ، والترمذي .

ترجمة الراوي عبد الله بن عكيم : " بالتصغير الجهني أبو معبد الكوفي مخضرم من الثانية ، وقد سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينة مات في إمرة الحجاج . التقريب ٣٥٠٦ " اهـ . المخضرم يعتبر درجة ثانية بعد الصحابة ، وهو فوق التابعين ، والمخضرم هو من كان في عهد النبي ﷺ رجلاً وأسلم ، ولم يلقه مثل عبد الله بن عسيلة ، وأبو عثمان النهدي ، وأبو مسلم الخولاني ، وكميل بن زياد . وأبو رجاء العطاردي ، وغيرهم كثير يبلغون حوالي أربعين رجلاً .

يؤخذ من هذا : أنّ من تعلق شيئاً معتقداً فيه أنّه يجلب نفعاً أو يدفع عنه ضراً ، فإنّه بهذا يكون قد جعل عقيدته في الشيء الذي تعلقه ، ومن أجل ذلك ، وكله الله إليه ، وهذا تهديد ، ووعيد لمن أشرك بالله شيئاً من المتعلقات معتقداً في ذلك . قال في التعليق المفيد لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله : " فنبغي للإنسان أن يعتمد ، ويتوكل على الله وحده فهذا هو الذي

ينفعه مع الأخذ بالأسباب ؛ كما في حديث : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله » فالأخذ بالأسباب أمرٌ لازم من الأدوية ، والاستقامة على شرعه ، وتعاطي أسباب العافية وطلب الرزق ، فالأسباب ما بين الواجب ، والجائز ، فعليه أن يتعاطى الأسباب الجائزة والواجبة ، والأخذ بذلك لا يقدر في التوحيد ؛ بل تركها يقدر في العقل والتوحيد جميعاً " اهـ .

ثم ذكر ما رواه أحمد عن رويغ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا رويغ لعل الحياة ستطول بك

فأخبر الناس أنّ من عقد لحيته أو تقلّد وترّاً أو استنجدى برجميع دابةٍ أو عظم ، فإنّ محمداً برئ منه .» ترجمة رويغ : " رويغ بالفاء بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري المدني صحابي سكن مصر ، ولي أمانة بُرقة ، ومات بها سنة ٥٦ هـ . وأقول : عقد اللحية أو تعقيدها هو ضمها أو تصفيفها للتكبر ، والتعاضم . أمّا العناية بها تسريحاً ، وتكريماً ، فهذا ليس بمنهي عنه ؛ أفاد ذلك الشيخ عبد العزيز في تعليقه رحمه الله على هذا الموضع .

المسألة الثانية : تقلّد الوتر ، والوتر هي السيور التي تجمع بين طرفي القوس ، ويوضع فيها السهم وكانوا إذا رمّ الوتر القديم أخذوا بدلاً عنه ، وعلقوه في عنق البعير أو غيره ؛ يزعمون أنّه يدفع العين ، ويدفع الشياطين ، والله سبحانه وتعالى هو الذي يدفع الضر ، ويجلب النفع ، وكذلك النهي عن الاستنجاء برجميع الدابة وهو روئها ، وكذلك الاستنجاء بالعظام ؛ كل ذلك تبرأ النبي ﷺ من فاعله .

الحديث فيه لين ، وصححه الألباني ، وفيه علمٌ من أعلام النبوة ، وهو قوله لرويغ : « لعل الحياة ستطول بك » وفعلاً فقد طال عمره **ت** .

وعن سعيد بن جبير **ت** قال : « من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع بن الجراح .

معنى : « كعدل رقبة » بمعنى أنّه يساوي العتق في الأجر . قال الشيخ عبد العزيز في تعليقه على هذه الفقرة قال : " لأنّه سيخلص هذه الرقبة من النار ، ومن الشرك فيكون أفضل من عتق الرقبة " اهـ . قلت ولا شك أنّ إنقاذ الإنسان المسلم من الشرك ، وإفهامه بالتوحيد فيه أجرٌ عظيم يفوق أجر العتق فيما نرجو .

ثم أورد الأثر عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمايم كلها من القرآن ،
وغير القرآن .

وإبراهيم هذا هو : إبراهيم بن يزيد النخعي من التابعين من أصحاب ابن مسعود " كانوا يكرهون
التمايم كلها من القرآن وغير القرآن " وكذلك ابن مسعود **ط** يكره ذلك لسببين :
١- السبب الأول : لعموم الأحاديث الناهية .

٢- السبب الثاني : سداً للذرائع الموصلة للشرك ، فلا يعلق مصحف ، ولا آيات منه
ولا أحاديث ، ولا طلاس ، ولا عظام ، فكله شرك ، وبالله التوفيق .

(٨) باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : [أفرايتم اللات والعزى] [التجم : ١٩] .
وعن أبي واقد الليثي **ط** قال : « خرجنا مع رسول الله **ﷺ** إلى حنين ،
ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدره يعكفون عندها ، وينوطون
بها أسلحتهم ؛ يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدره فقلنا يا رسول الله
: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله **ﷺ** : الله
أكبر ؛ إنها السنن ؛ قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل
لموسى : [اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة] قال إنكم قوم تجهلون [الأعراف :
١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذي ، وصححه .

الشرح : التبرك هو التماس البركة من الشيء ، فمن تبرك بشيء كان على حد زعمه أن ذلك
الشيء فيه بركة ، والبركة هي مكاثرة الشيء ، وجعله كثيراً أكثر من العادة ، وكون الإنسان يعلم
أن هذا الشيء فيه بركة أمر مرفوض ، وغير مقبول إلا أن يكون هذا العلم ، وارداً من الله عز وجل
كما قال النبي **ﷺ** : « كلوا في القصعة من جوانبها ، ولا تأكلوا من وسطها ، فإن البركة تنزل في
وسطها » ومعنى ذلك أن البركة تنزل فيها ، فيكسر الطعام أو الماء ، وذلك إذا سمي عليه ، وقد كان
تكثير الطعام في زمن النبي **ﷺ** أمراً محسوساً كعناق جابر ، وصاعه من الشعير ، ولقد أتى بأهل
الحنديق أرسالاً وكانوا ما بين ألف وأربع مائة وألف وخمسمائة فأكلوا جميعاً من تلك العناق ، وذلك
الصاع من الشعير ، والمهم أن التبرك لا يجوز ، ولا يتصور إلا بخبر

١ (الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم الحديث ٣٧٣٧٥ قلت : وقد صحح
الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي في ج ٢ / ٤٦٥ وقال : انظر ظلال السنة ٧٦ والمشكاة رقم ٥٣٦٩
وأخرجه أحمد في مسند الانصار رقم الحديث ٢١٣٩٠ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج ٥ / ٩٤ برقم الحديث ٦٧٠٢ وفي السنن

الكبرى للبيهقي في ج ٦ / ٣٤٦ برقم ١١١٨٥ وفي مسند أبي يعلى في ج ٣ / ٣٠ برقم ١٤٤١ وفي مسند الطيالسي في ج ١ / ١٩١ برقم ١٣٤٦ وفي المعجم الكبير في ج ٣ / ٢٤٣ برقم ٣٢٩٠ وفي ج ٧ / ٢١ رقم ٢٧ وفي مصنف عبد الرزاق في ج ١١ / ٣٦٩ برقم ٢٠٧٦٣ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج ٧ / ٤٧٩ رقم الحديث .

٢) بهذا اللفظ جاء عند الإمام أحمد في مسند بني هاشم برقم الحديث ٢٤٣٥ وأخرج الحديث الإمام الترمذي في كتاب الأطعمة باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام ، وأخرجه الإمام أبي داود في كتاب الأطعمة باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة ، وأخرج الحديث ابن ماجة في كتاب الأطعمة باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد ، وأخرجه الدارمي في كتاب الأطعمة باب النهي عن أكل وسط الثريد حتى يأكل جوانبه ، والحديث صحيح كما ذكر ذلك الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج ١ / ٢٠٤ برقم الحديث ٨٢٩ عن ابن عباس وأشار رحمه الله إلى المختارة ٢ / ٢٣٧ / ٦٠ .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع وقد جاء فيه عن جابر بن عبد الله **ط** بلفظ قال : **»** لما حفر الخندق رأيت بالنبي **پ** خمسا شديدا ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ، فإني رأيت برسول الله **پ** خمسا =

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

من الله بواسطة رسوله **پ** .

وقول الله تعالى : **[أفرايتم اللات والعزى]** أي أرايتم هذه الآلهة التي تتألهون لها ، وتنسبونها إلى الله عز وجل ، فأعطيتموه الإناث ، وأخذتم لأنفسكم الذكور ، ومعلوم فضل الذكر على الأنثى فكيف تجعلون لربكم القسم الديني الذي تأنفون منه ، وقد قال سبحانه وتعالى : **[وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم & يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون]** [النحل : ٥٩] .

فكيف أنتم تأنفون منه ، وتجعلونه لربكم ، وتزعمون أن الملائكة بنات الله ، فإن هذه القسمة لو وقعت بين شخصين لكانت قسمة جائزة موصوفة بأنها ضيزى ، فكيف إذا نسبتم ذلك إلى الله فإن نسبة ذلك إليه أمر عظيم ، وفضيع : **[تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا & أن دعوا للرحمن ولدا & وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا & إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا & لقد أحصاهم وعدهم عدا]** [مريم : ٩٠ - ٩٤] .

والخلاصة أن الله يقول لهم كيف تنسبون إلى الله الإناث ، وتجعلون لأنفسكم الذكور ، وأنتم تأنفون من نسبة الإناث إليكم ؛ ما هذه إلا قسمة جائزة .

أمّا مناسبة الآية للباب : فإن العزى كانت على ثلاث سموات ، واللات كانت على حجرة بيضاء ، وهم يتبركون بتلك الأشجار ، والأحجار ، والله قد عابهم بذلك ، وذمهم كيف يتركون الإله الحق الذي هم يعترفون بأنه هو الذي خلقهم ، ويتألهون لغيره .

قوله : **» يقال لها ذات أنواط «** النوط هو التعليق بمعنى : أنهم يعلقون سيوفهم في تلك الشجرة ويزعمون أنها تباركها ، فينتصرون على الأعداء بسبب البركة التي حازوها في السلاح الذي

= الله **پ** فقالت : لا تفضحني برسول الله **پ** ويمن معه فجنته ، فساررتة ، فقلت يا رسول الله : ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ، ونفر معك ، فصاح النبي **پ** فقال يا أهل الخندق : إن جابرا قد صنع سورا فحي هلا بكم ، فقال رسول الله **پ** لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينة حتى آجي ، فجنت ، وجاء رسول الله **پ** يقدم الناس حتى جنت امرأتي ، فقالت : بك ، وبك ، فقلت : قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينا ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق ، وبارك ، ثم قال : ادع

خابزة فلتخبز معي ، واقدحي من برمتكم ، ولا تنزلوها ، وهم ألف فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو)) وأخرج نحوه الإمام مسلم في كتاب الأشربة باب استحباب الاجتماع على الطعام . وأخرج الإمام البخاري قصة أخرى في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، وذلك عن جابر بلفظ : ((قال عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي P بين يديه ركوة ، فتوضأ ، فجهش الناس نحوه ، فقال : ما لكم قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا ، وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ !! قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ؛ كنا خمس عشرة مائة)) اهـ .

علقوه ، وهذا كله أمرٌ وهمي ، وادعاءٌ باطل ، وقد قال النبي P : ((الله أكبر ؛ إنها السنن ؛ قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : [اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون [الأعراف : ١٣٨] لتركبَنَّ سنن من كان قبلكم .

يؤخذ من هذا الحديث : -

١- نفي ما زعمه المشركون من أن تلك الشجرة تبارك في أسلحتهم ، فيكون بها النصر على الأعداء .

٢- أن التعليق هو تعليقٌ للقلوب بالشجرة قبل أن يعلقوا السيوف بها ؛ وهذا لاشك قدحٌ في التوحيد ؛ لذلك قال النبي P : ((قلتُم ، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : [اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة] .

٣- يؤخذ منه تحريم مشابجة الكفار والمشركين ، والبعد عن عقائدهم الفاسدة .

٤- تعليم النبي P لهم أن ذلك نوع من التأله للأشجار والأحجار التي لا تنفع ولا تضر .

٥- أن الصحابة إذا طلبوا هذا الأمر ، وكادوا أن يقعوا فيه ، فغيرهم من باب أولى .

٦- أن النبي P لم يعذرهم بالجهل ؛ بل أخبر أنهم قد وقع منهم ما وقع لبني إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة كآلهة المشركين .

٧- أخبر النبي P بأن هذه الأمة ستبعب من كان قبلها ؛ أي ستبعب طرائقهم في بعدهم عن توحيد الله سبحانه وتعالى .

٨- يؤخذ منه الحلف على الفتوى .

٩- يؤخذ منه أن العبادات مبناه على الوحي ، وأن العقول لا تدخل لها في عبادة الله .

١٠- سد الذرائع الموصلة إلى الشرك ، وبالله التوفيق .

(٩) باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : [قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له] [الأنعام : ١٦٣ - ١٦٣] .

وقوله : [فصلٍ لربك وانحر] [الكوثر : ٢] .

وعن علي بن أبي طالب **ع** قال : « حدّثني رسول الله **ص** بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه ؛ لعن الله من آوى محدثاً ؛ لعن الله من غيّر منار الأرض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب أنّ رسول الله **ص** قال : « دخل الجنة رجلٌ في ذباب ، ودخل النار رجلٌ في ذباب ؛ قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرّ رجلان على قومٍ لهم صنم ؛ لايجوزه أحدٌ حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما قرب ؛ قال : ليس عندي شيءٌ ^(١) أقربه . قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً ، فخلّوا سبيله ، فدخل النار . وقالوا للآخر : قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة » رواه أحمد . ^(٢)

الشرح : قوله : " باب ما جاء في الذبح لغير الله " أي من التّهي والتحريم ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة .

أورد قول الله تعالى في آخر سورة الأنعام : [قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له] أي قل يا محمد للمشركين إنّ صلاتي لله عز وجل ، فلا أصلي لغيره ؛ والصلاة هي أقوالٌ وأفعالٌ مفتحةٌ بالتكبير ومختمةٌ بالتسليم ، وهذه الأقوال والأفعال تشتمل على أذكارٍ من قراءة قرآن ، وتسبيح ، وتمجيد لله عز وجل ، وركوع ، وسجود ، وقيام ، وقعود ، وتكبير

يدخل في الصلاة ، وبتسليمٍ يخرج منها ، وفيما بين ذلك أدعية ، وهذه كلها لايجوز صرف

١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله .

٢) وفي نسخة الوليد آل فريان بلفظ : " ليس شيءٌ عندي أقرب " .

٣ (الحديث أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٦ / ٤٧٣ برقم الحديث ٣٣٠٣٨ وقال محققا القول المفيد : " الحديث أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص ١٥ - ١٦ وأبو نعيم في الحلية ج ١ / ٢٠٣ عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً بسند صحيح ، وانظر النهج السديد ص ٦٨ " اهـ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

٤٠

شيء منها لغير الله عز وجل .

أمّا قوله [ونسكي] معنى ذلك ذبحي الذي انسكه لله رب العالمين ، والنسك هو ذبح الدابة وينقسم إلى أقسام : -

منها ما هو واجب كذبح الهدي ، ودم الجزاء .

ومنها ما هو مسنون سنة مؤكدة كالأضحية في حق القادر عليها .

ومنها ما هو مسنون سنة مستحبة كالذبح للضيف .

ومنها ما هو مباح كذبح الإنسان لنفسه وأهل بيته .

ومنها ما هو محرم كالذبح في المآتم ، ولكنه لا يكون شركاً بل يكون بدعة .

ومنها ما هو شرك بالله شركاً أكبر كالذبح لغير الله عز وجل بأن يريق دم الدابة التي خلقها الله عز وجل يريقه لغير الله ، فهذا شرك أكبر سواء كان لقبرٍ أو وليٍّ أو جنٍّ أو غير ذلك من المعبودات بغير حق .

قوله : [ومحياي ، ومماتي] أي حياتي لله فهي من الله موهوبة للعبد ليعبد الله فيها ، ويجب أن تكون لله ، وكذلك الموت الذي هو سلب الحياة ، وانتقالاً للبرزخ كل ذلك لله .

[لا شريك له] أي ليس له شريك في إحياء العبد بعد موته أي بعد أن يكون ميتاً ، ولا إمامته بعد الحياة ، ولا رزقه في حال الحياة ، ولا التصرف فيه في هذه الأوقات كلها .

[وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين] أمرٌ من ربي عليّ بأن أكون موحداً ، وأدعوا إلى التوحيد وأنبد الشرك ، ويؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل : [قل إني نهيْتُ أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين] [غافر : ٦٦] .

وقوله سبحانه وتعالى : [فصليْ لربك وانحر] أي اجعل صلاتك لربك أي ركوعك ، وسجودك وقيامك ، وقعودك ، وذكرك ، وأفعالك اجعلها لربك سبحانه وتعالى دون غيره ، وفي ضمن هذا نهي عن الشرك الأكبر ، والشرك الأصغر الذي هو الرياء .

قوله : [وانحر] أي اجعل نحرك لله سبحانه وتعالى بمعنى أن يكون نحرُك في طاعته ألا تنحر إلا له ، وفيما أباح لك أو أوجب عليك أو سنّه لك كما تقدم في شرح النسك ، ومن أهل العلم من جعل هذه الآية نازلة في صلاة العيد ، ونحر الأضاحي ، والقول بأنها عامة هو الأولى .

ثمَّ أورد حديث علي بن أبي طالب **ط** قال : « حدَّثني رسول الله **ﷺ** بأربع كلمات لعن الله من

الفرع الموجز الممجد لتوحيد الخالق الممجد

ذبح لغير الله ؛ لعن الله من لعن والديه ؛ لعن الله من آوى محدثاً ؛ لعن الله من غيّر منار الأرض » وقد حوى هذا الحديث أربعة أمور محرمة : -
١- أولها : وأعظمها جرماً ، وأكبرها أثاراً على العبد إن فعله الذبح لغير الله فقد لعن الله من ذبح لغيره ، ومن الأمور البديهيّة أنّ الله هو الذي خلق الدابة ، وغذاها بما تنغذى به ، وأوجد فيها هذا الدم ، فإذا أرقته لغيره ، فإنّك تكون قد اعتديت اعتداءً عظيماً ، وظلمت ظلماً كثيراً بإزهاقك روح الدابة لغير خالقها ، وإراقتك لدمها لغير من خلقه فيها ، فلذلك استحق اللعنة من فعل ذلك ، ووجب عليه الخلود في النار لقوله جلّ من قائل على لسان عبده ورسوله عيسى بن مريم حين قال : [يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنّ من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار] [المائدة : ٧٢] .

٢- ثمَّ بعد الشرك في القبح ، والحرمة ، والبشاعة ، والفضاعة أن يلعن العبد والديه ؛ واللعنة دعوة على الملعون بالبعد من رحمة الله ، وحلول الغضب عليه ، ونزوله به لأنّه تناسى ما قدّمه والداه له من رافةٍ ، ورحمةٍ ، وحنانٍ ، وعطفٍ ، وتربيةٍ ، وحرص على ما ينفع ابنيهما ، فمن لعن والديه فإنّه قد تعرض لغضب والديه ؛ لتكرهه للمعروف ، ومعاملته لوالديه بما لا يجوز أن يعاملا به وقد يستغرب أن يلعن الرجل والديه ، ولقد استغرب الصحابة ذلك ، فسألوا رسول الله **ﷺ** كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمّه » فتسببه في لعن والديه كان كمن لعنهما ، وهذا موجب لغضب الله .

٣- الخصلة الثالثة قوله **ﷺ** : « لعن الله من آوى محدثاً » المحدث هو الذي عمل عملاً منكراً في الشرع كالزنا إذا تظاهر به ، وعمل الفواحش إذا أظهرها ، وما أشبه ذلك من الأمور ، فمن أعانه على هذا المنكر أو آواه ، وساعده ، ونصره ، وأراد أن يدفع عنه ما يحكم عليه به من حدٍّ أو تعزيرٍ ، والتماس الحيل لإسقاط ذلك ، فإنّه يعتبر مؤيماً للمحدثين ، ومستحقاً للعنة ؛ لأنّ الإيواء معناه النصرة .

ويدخل في الإحداث ابتداءً لبدع ، وجعلها شرعاً في دين الله ، وقد قال النبي **ﷺ** : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » فالبدع إحداثٌ وأي إحداث ، والعمل بالبدع ، ونشرها —

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب لا يسب الرجل والديه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص **ﷺ** .
(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في باب الصلاة والخطبة بدون لفظة : " وكل ضلالة في النار " وكذا أخرجه بنحو ذلك ابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٦ / ٤٧٣ =

وإيواء أهلها ، وإعانتهم ، ونصرتهم كل ذلك إحداثٌ في دين الله عز وجل ، وموجبٌ لسخط الله على من فعله ، ومن ذلك بدعة الخوارج الإرهابيين ؛ الذين يسفكون الدماء ، ويزهقون الأرواح ويتلفون الأموال ، ويخيفون الآمنين ، ويعصون الدولة ، فمن أعان هؤلاء أو تستر عليهم أو التمس لهم العذر ؛ فإنه قد آوى المحدثين ، واستحق هذا الوعيد .

٤ - الخصلة الرابعة تغيير منار الأرض أي نقله من مكانٍ إلى مكانٍ زاعماً أنَّ هذا هو حدُّ الجار مضيفاً إلى ملكه ما أخذه من حقِّ جاره ؛ مؤثراً للدنيا على الآخرة ؛ نسأل الله أن يصلح الأحوال وأن يرزقنا مخافته ، والعمل بطاعته ، واجتناب ما يغضبه ؛ إنه جوادٌ كريم ؛ برُّ رؤوفٌ رحيم وبالله التوفيق .

= برقم ٣٣٠٣٨ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٣ / ٢١٤ برقم الحديث ٥٥٩١ و ٢٠١٢٥ وابن خزيمة في صحيحه في ج ٣ / ١٤٣ وابن حبان في صحيحه في ج ١ / ١٧٨ باب ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق رقم الحديث (٥) وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب العلم في ج ١ / ١٧٤ برقم ٣٢٩ - ٣٣٣ والدارمي في باب اتباع السنة رقم الحديث ٩٥ وابن ماجه في ج ١ / ١٥ برقم الحديث ٤٢ وأبو داود ج ٤ / ٢٠٠ برقم الحديث ٤٦٠٧ والنسائي (المجتبى) في ج ٣ / ١٨٨ برقم ١٥٧٨ ، وأما رواية : " وكل ضلالة في النار " فقد أخرجها البيهقي في السنن الكبرى في باب كيف الخطبة في ج ١ / ٥٥٠ برقم الحديث ١٧٨٦ ورقم ٥٨٩٢ والحديث قد صححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج ١ / ٤٩٩ برقم ٢٥٤٩ وأحال إلى الإرواء برقم ٢٤٥٥ وشرح الطحاوية ٥٠١ و ٧١٥ والسنة ٣١ و ٥٤ وقال محقق الإبانة الكبرى الشيخ رضا بن نعتان في الكتاب الأول الإيمان ج ١ / ٣٠٥ الحديث صحيح صححه كما تبين جماعة من أكابر المحدثين وحسنه بعضهم ، ولم يطعن فيه طاعن ، وإن حصل ذلك في بعض طرقه .

(١٠) **باب لا يذبح الله بمكان يذبح فيه لغير الله**

وقول الله تعالى : [لاتقم فيه أبدا] [التوبة : ١٠٨] .
وعن ثابت بن الضحاك **ط** قال : « نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً يثوانة ، فسأل النبي **ﷺ** فقال : هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا . قال : هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟ قالوا : لا . قال رسول الله **ﷺ** : أوف بنذرِك ، فإنَّه لاوفاء لنذرٍ في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود وإسناده على شرطهما .

الشرح : قول الله تعالى : [لاتقم فيه أبدا] [التوبة : ١٠٨] الكلام على هذه الآية : فيها نهيٌ من الله عز وجل لرسوله **ﷺ** أن يقوم في مسجد الضرار الذي بناه أهله إرساداً لمحاربة الله ورسوله وإحياءاً لذكر وفكر ذلكم الخبيث الذي حارب الله ورسوله ، وفرَّ من الإسلام حين انتشر في المدينة ؛ وهو أبو عامر الفاسق ؛ الذي يقال له الراهب ، فالمنافقون قصدوا به محاربة الله ورسوله وأن يتجمعوا في هذا المسجد الذي زعموا أنه مسجدٌ للعبادة ؛ لينشروا فيه أفكارهم ، ويبيتوا فيه المكائد للإسلام ، ونبي الإسلام ، وللمسلمين ، فجاءوا إلى النبي **ﷺ** يطلبون منه أن يصلي فيه كعادة المسلمين ، فقال لهم نحن الآن على سفر ، وكان في ذلك الوقت متأهباً للسفر إلى تبوك فوعدهم عند رجوعه ، فلما رجع ، وقارب المدينة أنزل الله عليه هذه الآيات : [والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون & لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين] [التوبة : ١٠٧ - ١٠٨] والتي بُيِّن فيها حيث أولئك القوم ، ومكيدتهم للإسلام والمسلمين ، فلما قدم النبي **ﷺ** أرسل من أحرق ذلك المسجد بعد نزول الآيات فيه .

ومن هذا يؤخذ أنَّ أماكن العبادة لغير الله عز وجل لا ينبغي أن تجعل فيها عبادة إسلامية ؛ لأنها بذلك تكون إحياءاً للأماكن الشركية أو البدعية أو الأماكن المحرمة ؛ التي حورب فيها الله ورسوله وهذه مناسبة الآية للترجمة .

(١) المراد بالقيام في مسجد الضرار أي الصلاة فيه كما قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ج ٢ / ٤٠٣ : " [لاتقم فيه أبداً] نهى له **ﷺ** والأمة تبع له في ذلك عن أن يقوم فيه أي يصلي أبداً " اهـ .

وعن ثابت بن الضحاك **ط** قال : « نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي **ﷺ** فقال : هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا . قال : هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟ قالوا : لا . قال رسول الله **ﷺ** : أوف بنذكرك ، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود وإسناده على شرطهما .

لما جاء الذي أخبر أنه نذر أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي **ﷺ** هل في ذلك المكان وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد أو عيدٌ من أعياد أهلها ؟ فحدث أنه لم يكن فيه شيءٌ من ذلك ، فقال النبي **ﷺ** : « أوف بنذكرك » ذلك أنه لو كان فيها إحياء وثن من أوثان الجاهلية أو عيدٌ من أعياد الجاهلية التي كان يعبد فيها غير الله عز وجل لما أمره النبي **ﷺ** بل لنهاه عن الوفاء في ذلك المكان .

ثم هناك مسألة : وهو أنه إذا التزم العبد بنذرٍ قصد به العبادة لله عز وجل ، ولكن أراد أن يكون في مكانٍ كان فيه عيدٌ من أعياد الجاهلية أو وثنٌ من أوثانها فهل يسقط عنه النذر كلياً أو يسقط الوفاء في ذلك المكان ويجب على الناذر أن يوفي به في مكانٍ آخر سليمٍ من هذه الأمور ؟ هذا محل نظر ، فالوفاء بالنذر واجبٌ ، وإذا منع من أجل كيفيةٍ من كيفية ، فلا يمنع بالكلية فيما يظهر لي بل ينقل إلى مكانٍ سليمٍ من عبادة غير الله ، وبالله التوفيق .

(١١) باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : [يوفون بالنذر] [الإنسان : ٧] .
 وقوله : [وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه] [البقرة : ٢٧٠] .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » .
الشرح : النذر لغير الله عز وجل يعتبر من الشرك الأكبر .

وتعريف النذر هو : التزام العبد بعبادة ليست واجبة عليه بحكم الشرع .
 كأن ينذر أن يصلي كل ليلة بين العشاء والفجر كذا ركعة ؛ أو ينذر أن يصوم من كل شهر كذا من الأيام ، فهذا التزام على نفسه لله عز وجل بعبادة ليست بواجبة عليه بمحض الشرع ، ولكنه هو الذي أوجبها على نفسه .

فيجب عليه أن يوفي هذا النذر الذي التزمه لله تعالى ، فقد مدح الله المؤمنين بالوفاء بالنذر فقال : [يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً] [الإنسان : ٧] والمراد به يوم القيامة فالوفاء بالنذر واجب إلا أنّ الإنسان إذا التزم بشيء لا يستطيع أدائه ، ففي هذه الحالة يفتدي منه بكفارة يمين لقوله ﷺ : « كفارة النذر كفارة يمين » .
 (٢)

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » يؤخذ من هذا الحديث بأن النذر ينقسم إلى قسمين : -

١- نذر الطاعة . ٢- نذر المعصية ، فنذر الطاعة يجب على العبد إذا التزمه أن ينفذه وبالإستقراء نعلم أنّ المنذور به : إمّا أن يكون مستطاعاً للناذر ، وإمّا أن يكون غير مستطاع فلو نذر الإنسان أن يطير في الهواء بنفسه ، فهذا نذر غير مستطاع ، وهذا عليه أن يفتدي منه بكفارة يمين . أمّا إذا كان مستطاعاً على فعله ، فإنّه يجب عليه أن ينفذه ، ثمّ إمّا أن يكون هذا النذر في طاعة أو في معصية ، فإن نذر صلاة أو صدقة ، وجب عليه أن ينفذ ؛ لكن إذا نذر أن يتلطح بنجاسة مثلاً أو يأكل سمّاً ، فهذا النذر لا يجوز ؛ لأنّ التلطح بالنجاسة لا يجوز ، وأكل السم

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأيمان والنذور باب النذر في الطاعة وفي باب النذر فيما لا يملك وفي معصية .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب النذر باب في كفارة اليمين من حديث عقبة بن عامر .

لا يجوز ، فهذا النذر لا يجوز الوفاء به لأنه معصية ، وكذلك لو نذر أن ينحر ناقة فلان ، فهذا نذرٌ فيما لا يملك ؛ أو نذر أن يجعل أرضية فلانٍ مسجداً ، فهذا نذرٌ فيما لا يملك ، فلا يجوز الوفاء به لأنَّ النبي **ﷺ** قال : « وليس على ابن آدم نذرٌ فيما لا يملك »^(١) وهل على الناذر كفارةٌ في ذلك أم لا ؟ هذا محلُّ نظر وخلاف بين أهل العلم ، والأظهر عدم وجوب الكفارة ؛ لأنَّ النبي **ﷺ** لم يذكر ذلك عند ذكره لعدم الوفاء في نذر المعصية ، والنذر فيما لا يملك .

سبب الحديث :

ما رواه مسلم في صحيحه^(٢) عن عمران بن حصين **رضي الله عنه** قال : « كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله **ﷺ** وأسروا أصحاب رسول **ﷺ** رجلاً من بني عقيل وأصابوا معه العضباء ، فأتى عليه رسول الله **ﷺ** وهو في الوثاق . قال يا محمد ، فأتاه فقال : ما شأنك ؟ فقال : بم أخذتني ، وبم أخذت سابقة الحاج ؟ فقال : إعظاماً لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ، ثم انصرف عنه ، فناداه ، فقال : يا محمد ؛ يا محمد ، وكان رسول الله **ﷺ** رحيماً رقيقاً ، فرجع إليه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : إني مسلم . قال لو قتلها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح ، ثم انصرف فناده ، فقال : يا محمد ؛ يا محمد ، فأتاه ، فقال : ما شأنك ؟ قال : إني جائع ، فأطعمني ، وظمآن فأسقني . قال : هذه حاجتك ، ففدي بالرجلين . قال : وأسرت امرأة من الأنصار ، وأصيبت العضباء ؟ فكانت المرأة في الوثاق ، وكان القوم يريحون نَعْمهم بين يدي بيوتهم ، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق ، فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا ، فتركه حتى انتهت إلى العضباء ، فلم تَرُغ . قال : وناقة منوَّقة ، فقعدت في عجزها ، ثم زجرتها فانطلقت ، ونذروا بها ، فطلبوها ، فأعجزتهم . قال : ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتحررها فلما قدمت المدينة رآها الناس ، فقالوا : العضباء ناقة رسول الله **ﷺ** فقالت : إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتحررها ، فأتوا رسول الله **ﷺ** فذكروا ذلك له ، فقال : سبحان الله ؛ بئسما جزتها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتحررها ؛ لا وفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملك العبد » وفي رواية ابن حجر :

« لا نذر في معصية الله » وبالله التوفيق .

١ (الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب ما ينهى من السباب واللعن ، وأخرج نحوه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه من حديث ثابت بن الضحاك **رضي الله عنه** وفي كتاب النذر باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد من حديث عمران بن حصين **رضي الله عنه** .

٢ (الحديث أخرجه مسلم في كتاب النذر باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد من حديث عمران بن حصين **رضي الله عنه** .

(١٢) **باب من الشرك الاستعانة بغير الله**

وقول الله تعالى : **[** وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً **]** [الجن : ٦]

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » رواه مسلم .
الشرح : قوله : " **باب من الشرك** " أي من الشرك الأكبر المخرج من الملة " الاستعانة بغير

الله " معنى الاستعانة : اللجوء إلى غير الله عز وجل يرجوا منه دفع ما يضره يقال عذت بكذا

من كذا ، ولا يجوز أن يستعبد العبد بغير الله جل وعلا ، وقد أخبر الله في سورة الجن بقوله سبحانه :
(٢)

[وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً **]** أي

يستجرون بهم طالين منهم دفع شر بني جنسهم ، وقد جاء في الأثر أن بعض العرب كان إذا

سافر أحدهم فنزل مكاناً في الليل يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه .

المقصود به من الجن ، فأنزل الله عز وجل : **[** وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً **]** أي فزادوهم خوفاً ، وذعرا ، وتكبروا عليهم ، وطفوا ، ثم إن الله سبحانه وتعالى أوحى ذلك إلى رسوله **ﷺ** وأخبر بذلك ، فقال النبي **ﷺ** : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .

خولة بنت حكيم بن أمية السلمية : " يقال لها أم شريك ، ويقال لها خويلة صحابية مشهورة يقال أنها وهبت نفسها للنبي **ﷺ** وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون " انظر التقريب برقم ٨٥٧٥ .

قوله : « من نزل منزلاً » أي نزل في مكان ، فهذا الذكر ضماناً له من اعتداء الشياطين ، وهو أن يقول : « أعوذ بكلمات الله التامات » والمقصود بكلمات الله جمع كلمة .

قوله : « التامات » وصفٌ يناسب كلمات الله عز وجل ، والمقصود بها الكلمات القرآنية أو أعم من ذلك ، وهي كلمات الله عز وجل ، فيشمل القرآن وغيره ، ومثل ذلك ما ثبت في

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الذكر والدعاء باب في التعوذ من سوء القضاء .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج (٢٩ / ٦٨ - ٦٩) وذكره السيوطي في الدر ٦ / ٣٢ ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر ، وأخرج نحوه الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية عن السدي : " كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضُرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي . قال قتادة : فإذا عاذ بهم من دون الله رهمتهم الجن الأذى عند ذلك " اهـ .

صحيح البخاري عن أبي هريرة **ر** قال : « وكلي رسول الله **ر** بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته . وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله **ر** قال : إني محتاج ، وعلي عيال ولي حاجة شديدة . قال : فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي **ر** يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة . قال قلت يا رسول الله : شكاً حاجة شديدة ، وعيلاً فرحمته ، فخليت سبيله . قال أما إنه قد كذبتك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله **ر** إنه سيعود ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله **ر** قال : دعني ، فإني محتاج ، وعلي عيال لا أعود ، فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله **ر** يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك . قلت يا رسول الله : شكاً حاجة شديدة ، وعيلاً ، فرحمته ، فخليت سبيله . قال : أما إنه قد كذبتك وسيعود ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ، وهذا آخر ثلاث مرات ؛ أنك تزعم لا تعود ثم تعود . قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت ما هو ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك ، فاقراً آية الكرسي [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله **ر** ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله : زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله . قال ما هي ؟ قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك ، فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير ، فقال النبي **ر** أما إنه قد صدقك وهو كذوب ؛ تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا قال : ذاك شيطان » .

فقد أبدل الله المسلمين عمّا كان يعمل به أهل الجاهلية أبدلهم بقوله هذا : « من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .
وفي قوله : « التامات » في وقوعها ، وتامات في صدقيتها ، وتامات من حيث أنّ الواجب امتثالها امتثال أمرها إن أمرت ، وامتنال نهيها إن زجرت ، وأنّ من لم يؤمن بها ، فإنّه لا أمان له وسيلقى جزاءه بعد الموت ، وفي البرزخ ، ويوم القيامة ، وقد جاء في الآية الأخرى قوله جل وعلا : [وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم] [الأنعام : ١١٥] —

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازره الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز ، وفي كتاب بدء الخلق باب في صفة إبليس وجنوده .

كلمة الله موصوفة بالتمام ؛ تمام الصدق ، والمصادقية ؛ لقوله : [وتمت كلمة ربك صدقاً] أي أنّها صدق لا كذب فيه ، وعدل لا جور فيه ، وذلك أنّ كلمة أهل الصدق من أتباع الرسل وهم المؤمنون يدخلها قلة الصدق من حيث قلة المعلوماتية ، فالمؤمن قد يقول قولاً فيظن أنّه صادق ولكن يدخل في قوله ما يكون خلاف الواقع فيتخلف الصدق فيه من حيث لا يشعر قائله مع أنّ قائله ممن يتوخون الصدق ، ويحتاطون له ، وكذلك أيضاً يدخل في كلام المؤمنين ؛ الذين هم أهل الصدق ، والمتحليين به ما يظن القائل أنّه عدل كله ، ويدخله شيء من الجور ؛ الذي لا يعلمه القائل بحيث تضعف معلوماته عنه ؛ أمّا كلام الله عز وجل فإنّه يستلزم تمام الصدق وتمام العدل لكمال علمه جل وعلا ، وكمال عدله سبحانه وتعالى ، فهذا معنى قوله : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وقد ذكر الأصفهاني في كتاب الحجة : " أنّ الشياطين تأمرت على النبي **p** وأرادوا أن يمنعوه من صلاته أو يقطعوها عليه ، فنزلت شياطين كثيرة يتقدمهم شيطان مارد معه شعلة من نار أو قال : شهاب من نار فجاء جبريل إلى النبي **p** فعلمه هذه الكلمات الآتية : « أعوذ بكلمات الله التامات ؛ اللاتي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر من شر ما خلق ، وذراً وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل والنهار إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن » فقالها ، فانطفت مشاعل تلك الشياطين ، وشهبهم ، ورجعوا خائبين مدحورين ، فالحمد لله على ما عوض به عباده المؤمنين ، وبينه لهم من الالتجاء إليه والاستعاذة بكلماته التامة .
يؤخذ من هذا الحديث :

١ - دليل على أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقد قال بعض السلف إنّ من قال : " إنّ القرآن مخلوق فقد كفر " .^(٢)

١ (الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند المكيين بترقيم إحياء التراث رقم الحديث ١٥٠٣٥ من حديث عبد الرحمن بن خنبلش ^٢ وأورده الإمام مالك عن يحيى بن سعيد في موطأ الإمام مالك بن أنس في كتاب الجامع باب ما يؤمر به من التعوذ .
٢ (قال الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الحجري المصري الطحاوي نسبة إلى طحا قرية من قرى صعيد مصر في كتابه الجليل العقيدة الطحاوية : " وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً وأنزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر " وقال الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري في كتابه شرح السنة : " والقرآن كلام الله وتنزيله ، ونوره وليس مخلوقاً لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق ، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل ، والفقهاء قبلهما ، وبعدهما والمراء فيه كُفّر " اهـ

- ٢- يؤخذ منه أن الاستعاذة بالجن أو غيرهم محرم ، وأنه شرك أكبر يخرج من الملة ، وذلك أنه إذا زعم أن الشياطين تدفع عنه ما لا يدفعه إلا الله عز وجل أو زعم أن لها قدرة تساوي قدرة الله أو تزيد عليها ، فقد كفر كفراً يخرج من الملة .
 - ٣- أن من استعاذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق أعاده الله ، فلم يضره شيء في منزله الذي قال فيه هذا الكلام عند نزوله حتى يرتحل من منزله ذلك .
 - ٤- أن من قأها في الصباح حفظه الله إلى المساء ، ومن قأها في المساء حفظه الله إلى الصباح ومن قأها عند النوم حفظه الله إلى أن يستيقظ .
 - ٥- يؤخذ منه أن الله عوض المسلمين من التعوذات التي كان يتعوذها أهل الجاهلية بهذه التعوذات الخيرة النافعة ؛ التي تدفع الشيطان عن العبد المسلم ، وتمنعه من شره ، وتحقق توحيده لله عز وجل .
 - ٦- يؤخذ منه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .
- ملحوظة :
- الاستعاذة بالمخلوق ، والاستجارة به جائزة فيما يقدر عليه ؛ لكن قبل ذلك ينبغي للإنسان أن يقول استجرت بالله ثم بك أو استعذت بالله ثم بك أو لجأت إلى الله ثم إليك أن تقضي لي حاجتي أو تدفع عني كذا ؛ فإن فعل ذلك مع اللجوء إلى الله عز وجل ؛ فإنه لا يكون مشركاً ؛ بشرط أن يكون فيما يقدر عليه العبد ، وبالله التوفيق .

(١٣) **باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره**

وقول الله تعالى : [ولاتدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين] [يونس : ١٠٦ - ١٠٧] .

وقوله : [وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلا هو] [الكعنبوت : ١٧] .
وقوله : [إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه] [العنكبوت : ١٧] .

وقوله : [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة] [الأحقاف : ٥] .

وقوله : [أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أئله مع الله] [النمل : ٦٢] .

وروى الطبراني بإسناده أنّه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : « إني لا استغيث بي ، وإنما يستغيث بالله عز وجل » .

الشرح : الاستغاثة هي دعاء المكروب ، والذي يكون في شدة ، وهي تنقسم إلى قسمين : -

- ١ - استغاثة بالمخلوق الحي فيما يقدر عليه ، وهذه استغاثة جائزة .
- ٢ - استغاثة بالحيث أو بالحي فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فهذه استغاثة محرمة ، وهي شرك أكبر مخرج من الملة .

ومن الجائزة قول الله عز وجل : [فاستغيثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقصى عليه] [القصص : ١٥] فقد حكى الله عز وجل هذه الاستغاثة حكاية إقرار لها ؛ لأن ذلك الإسرائيلي استغيث بموسى فيما يقدر عليه ، فضرب القبطي ، فمات .

١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣١٧ برقم ٢٢٧٥٨ بلفظ : " حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا موسى بن داود ثنا بن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح أن رجلا سمع عبادة بن الصامت يقول خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه :

قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ : لا يقيم لي إنما يقيم الله تبارك وتعالى " قال الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان الفريان على تحقيقه لفتح المجيد : " رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد ١٠ / ١٥٩ وقال رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١ / ٣٨٧ عن عبادة بلفظ : "إنه لا يقيم لي بل يقيم الله تبارك وتعالى" قال الحافظ ابن تيمية في كتاب الاستغاثة ١٥٢ وهو صالح للاعتضاد، ودل على معناه الكتاب والسنة " اهـ

ومن هذه القصة التي حكاها الله عز وجل عن موسى ، ومن استغاثه ، والمستغاث عليه نأخذ : أنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه أو يظن أنه يقدر عليه أنَّ هذه الاستغاثة جائزة . أما الاستغاثة المحرمة فهي استغاثة بالميت ، ومن في حكم الميت من الأحجار ، والأخشاب ، والأصنام وكذلك الاستغاثة بالحي فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله كإنزال المطر ، وردِّ الضالة ، وشفاء المرضى وغير ذلك من الأشياء التي لا يقدر عليها إلاَّ الله ، فالاستغاثة بالمخلوق في هذه الأمور شركٌ أكبر والله سبحانه وتعالى هو الذي يستجيب لعباده ، ويكشف عنهم الكرب ، ويسهل لهم الصعوبات وعلى ذلك دلت الآيات القرآنية في استنكارها للاستغاثة بغير الله كقول الله تعالى : [ولاتدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنَّك إذاً من الظالمين] والآية التي بعدها . وكقوله : [إنَّ الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه] .

وقوله : [ومن أظلم ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة] كل هذه الآيات تنهى المشركين عن دعوتهم لغير الله ، واستغاثتهم بمن لا يقدر على أن يغيثهم بشيءٍ مما طلبوه .

لكن الاستغاثة بالله هي الأمر المطلوب ، وهو وحده الذي يقدر على إجابة دعوتك ، وتفريج كربتك ، وإعطائك ما تطلب ، وانجاءك مما ترهب قال تعالى : [إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم] الآية [الأنفال : ٩] .

وقد أنكر الله عز وجل على من زعم أنَّ المدعويين من دون الله يستجيبون لمن دعاهم ، ويجلبون لهم ما يريدون ، ويكشفون عنهم الكربة ، فقال مستنكراً : [أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إلهٌ مع الله] . فكل هذه الآيات تفيد تحريم دعاء غير الله عز وجل ، وأنه شرك أكبر .

أمَّا ما رواه الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : « إنَّه لا يستغاث بي ، وإنَّما يستغاث بالله عز وجل » .

فأولاً أنَّ الحديث في سنده ابن لهيعة ، وقد احترقت كتبه ، فاختلط ؛ لذا فإنَّ نشك في صحة هذا الحديث .

ثانياً : على فرض صحته ، فإنَّ النبي **ﷺ** كره هذا التعبير ، وهو قوله : « قوموا بنا نستغيث برسول الله **ﷺ** » فلو قال نستعين برسول الله **ﷺ** في دفع إيذاء هذا المنافق لكان خيراً لهم من التعبير بنستغيث ؛ علماً بأنَّه قد تقدم بأنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة ، وإنَّما الاستغاثة المحرمة هي الإستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلاَّ الخالق ، ولكن صيغة الإستغاثة بالمخلوق هذا هو المستنكر ، والله تعالى أعلم لأنَّ أصحاب رسول الله **ﷺ** علمهم الله وعلمهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بما ينبغي أن يقال من الألفاظ ، وبالله التوفيق .

(١٤) **باب قول الله تعالى : [أيُشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون]**

قال تعالى : **[أيُشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون & ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون]** [الأعراف : ١٩١ - ١٩٢] .
وقوله : **[والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير]** [فاطر : ١٣] .
وفي الصحيح عن أنس **ؓ** قال : **« شج النبي ﷺ يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، فقال : كيف يفلح قومٌ شجوا نبيهم ، فنزلت : [ليس لك من الأمر شيء] »** [آل عمران : ١٥٢] .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله **ﷺ** يقول : **« إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : اللهم ألعن فلاناً ، وفلاناً بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد »** فأنزل الله : **[ليس لك من الأمر شيء]** وفي رواية : **« يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت : [ليس لك من الأمر شيء] »** .

وفيه عن أبي هريرة **ؓ** قال : **« قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه : [وأنذر عشيرتك الأقربين]** فقال : يا معشر قريش أو كلمة نحوها : **اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنك من الله شيئاً ؛ يا صفية عمّة رسول الله : لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليلني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً »** .

الشرح : قوله : **[أيُشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون]** الهمزة في قوله : **[أيُشركون]** للاستفهام الإنكاري ، ومضمونه أن الله عز وجل يعنى على المشركين كونهم يشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ، وقد تضمن هذا ذمّاً للمشركين في كونهم يجعلون تلك الآلهة المصطنعة شريكاً —

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ، والإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد .

٢ (أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب قول الله تعالى : [ليس لك من الأمر شيء] .

٣ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب : [وأنذر عشيرتك الأقربين] والإمام مسلم في كتاب الإيمان باب : [وأنذر عشيرتك الأقربين] .

مع الله ، وهي لا تخلق شيئاً ، فلم تخلق نفسها بنفسها ، ولم تخلق غيرها ، وكان مشركوا ذلك الزمن لا يعتقدون أنَّ الآلهة تخلق ، ولا تقدر على خلق غيرها ، ولم تخلق نفسها ، فالمشركون في ذلك الزمن مقرون بهذا معترفون به ؛ عالمون بأنَّ تلك الآلهة عاجزة أن تفعل شيئاً من قبل نفسها ولكن تدخل عليهم الشبهة بكونهم يعتقدون أنَّ تلك المعبودات صوراً لأناسٍ صالحين يستجيب الله دعائهم ، ويقبل شفاعتهم فيما شفَعوا فيه ، فإن طلب منهم نصرٌ فإنَّهم يطلبونه من الله ، والله لا يرد لهم طلباً ، وهذه خدعةٌ شيطانية ، وحيلةٌ إبليسية ؛ كم خدع الشيطان العباد بمثلها ، ونسوا أنَّ تلك المعبودات لا تسمع دعائهم ، ولا تقدر على إجابتهم ، وإسعافهم بما يطلبونه ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يسمع دعائهم ، وهو الذي يقدر على إجابتهم ، وكان الواجب عليهم أن يتركوا تلك المعبودات التي لا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تنطق ، وأن يتوجهوا بعبادتهم إلى الله الذي يقدر على ذلك ، فهو الذي يخلق ، وهو الذي يرزق ، وهو الذي يحيي ، وهو الذي يميت وهو الذي يمرض ، وهو الذي يشفي من المرض ، وهو الذي يغني ، وهو الذي يسلب الغنى ويجعل من يشاء فقيراً ، وهو الذي أوجد الحياة ، وهو الذي يسلبها ، وهو الذي يسعد بالهداية إلى أسباب السعادة ، وهو الذي يشقي بخذلان العبد ، وتسليط الشيطان عليه حتى يكون شقياً .

إذن ، فالواجب على كل عبدٍ أن يتوجه بالطلب إلى الله وحده دون سواه ، وقد أشار إلى عجز تلك الآلهة ، وعدم قدرتها بقوله : [ولا يستطيعون لهم نصراً ولاأنفسهم ينصرون] .

ثمَّ أورد المؤلف رحمه الله تعالى دليلاً آخر على عجز الآلهة ، وهو قوله تعالى : [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى بشيءٍ من أنواع قدرته بقوله : [والله خلقكم من ترابٍ ثمَّ من نطفةٍ] إلى أن قال بعد ذكر أنواعٍ من قدرته وملكه : [ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] والمراد بالقطمير : هي القشرة التي تكون على النواة ، ثمَّ قال مخبراً بعيوبهم ، وعجزهم ، وضعفهم ؛ أي عيوب تلك الآلهة التي اصطفوها ، وأعطوها حقَّ الألوهية فقال : [إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم] أي حتى ولو سمعوا دعائكم بأن كانوا أحياءً ، فإنَّهم لا يملكون الإجابة : [ويوم القيامة يكفرون بشرككم] [فاطر : ١١ - ١٤] أي بدعائكم إياهم دون الله عز وجل .

قوله : وفي الصحيح عن أنس ؓ قال : « شج النبي ﷺ يوم أحد ، وكسرت رباعيته ، فقال : كيف

يفلح قومٌ شجوا نبيهم ، فنزلت : [ليس لك من الأمر شيء] » [آل عمران : ١٥٢] .

يستفاد من هذا الحديث عدة مسائل :

١- أن الله عز وجل قد يبتلي أوليائه والمحبوبين إليه بأنواعٍ من البلوى ، وإذا كان النبي **ﷺ** الذي هو أحبُّ الخلق إلى الله ، وأكرمهم عليه ، وأوجههم عنده جاهاً ابتلاه حتى شجّه قومه ، وكسروا رباعيته ، فغيره من باب أولى .

٢- أن في ضمن هذا الابتلاء رفعة للنبي **ﷺ** وعلو شأنٍ له حتى يجمع بين الصبر في حالة البلاء والشكر في حالة النعمة .

٣- يؤخذ منه ردٌّ على الصوفية فيما يزعمونه من الكرامات لشييوخهم حيث يقول بعض أصحاب الطريقة الرفاعية : " إنه من كرامة الله لأصحاب الطريقة الرفاعية أن الواحد منهم يضرب بالشيش أو السيف من ظهره حتى ينفذ من صدره ، ثم يسحب منه ولا جرح ولا ضرر " وهذا من الكذب والدجل^(١) والتضليل .

٤- أن النبي **ﷺ** ما نال ما نال من الكرامة ، والنصر إلا بعد إيذاء ، وابتلاء كبير .

٥- يدل ذلك أنه ليس لأحدٍ من الخلق تصرفٌ في ملك الله ، وأن الله هو الذي يتصرف في ملكه دون غيره .

٦- يؤخذ من قوله تعالى : [ليس لك من الأمر شيء] ردٌّ على الصوفية الذين يزعمون أن بعض آلهتهم جعل الله لهم التصرف في الكون ، وهذه عقيدة الصوفية الغالية في هذا الزمن ويسمون أولئك بالمُدَّركين - أي المتعهدين بالكون - أو المتصرفين ما أكذبهم ، وما أجراهم على الكذب ، وما أضلهم ، فإن الأنعام تعرف ربها خيرٌ من أولئك عليهم من الله ما يستحقون .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله **ﷺ** يقول : « إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : اللهم ألعن فلاناً ، وفلاناً بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » فأنزل الله : [ليس لك من الأمر شيء] وفي رواية : « يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت : [ليس لك من الأمر شيء] » .

(١) انظر تربيتنا الروحية لسعيد حوى ص ٢١٨ .

أي يدعو على صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وقد علم الله أن أولئك سيكونون من أنصار دينه ، وفعلاً فقد وفقهم الله للإسلام فأسلموا : منهم أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبي جهل فأنزل الله : [ليس لك من الأمر شيء] وهذا يدل على أن النبي ﷺ ليس له من الأمر شيء فضلاً عن غيره وأن الأمر كله لله ، وأن الملك كله لله ، وأن التصرف كله لله يفعل ما يشاء فيعز ويذل ويملك ويسلب ، ويغني ويفقر ، ويحيي ويميت ، وكل شيء بيده يكتب لمن شاء السعادة فضلاً ويكتب على من شاء الشقاوة عدلاً لا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ، وإذا كان النبي ﷺ لا يقدر على فعل شيء ، فإن غيره من باب أولى .

وفيه عن أبي هريرة ر قال : « قام فينا رسول الله ﷺ حين أنزل عليه : [وأنذر عشيرتك الأقربين] فقال : يا معشر قريش أو كلمة نحوها : اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب : لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمّة رسول الله ﷺ : لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليمان من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً » واشتراء أنفسهم يكون بالإيمان بالله ، ومتابعة رسوله ﷺ وبدون ذلك ليس هناك شيء يغني عن العبد فلا تغني قرابته من الأولياء والأصفياء ، ولو كانوا من أولي العزم ، فقد أخبر الله عز وجل أن نوحاً لم يغن عن ابنه شيئاً ، وأن إبراهيم لم ينفع أباه ؛ أي لم يستطع نفعه ، فلم يملك هدايته في الدنيا ولم يملك إنجائه يوم القيامة من النار ، ورسول الله ﷺ لم يملك نفع والديه ، ولا رفع العذاب عنهما بل إنه صلوات الله وسلامه عليه قد أخبر أنهم من أهل الشقاوة ، فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لأمتي فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكرك الموت » .

وقال جواباً لمن قال له : « أين أبي ؟ قال : في النار . قال : فأردت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ فرأيت الأخرى أجمل ، فقلت : وأهلك يا رسول الله ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إنَّ أبي وأباك في النار بربك إذا ما مررت بقبر قرشيٍّ أو ثقفِيٍّ فقل له إنَّ رسول الله ﷺ يبشرك بالنار » .^(٢)

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة ر

(٢) الحديث ورد عند الحاكم في المستدرک على الصحيحين برقم ٨٦٨٣ ج ٤ / ٦٠٥ وفي مسند الإمام أحمد برقم ١٦٢٥ في ج ٤ / ١٣ وأخرج بنحوه الإمام مسلم في =

معناه أنَّ أهل الفترة في النار ، وأنَّهم لا يعذرون بجهلهم ؛ لأنَّ الجهل بالعقيدة لا يعذر فيه ، وأنَّ الأحاديث الواردة في الامتحان يوم القيامة أنَّها لاتعم أهل الفترة ؛ يمكن أنَّها تكون في المجنون الذي خلق مجنوناً ، وما أشبه ذلك .

وقد زعم قومٌ أنَّ الله عز وجل أحيا أبوي النبي ﷺ فآمنا به ، واعتمد من قال ذلك على حديثٍ موضوع ، وهذا الحديث باطلٌ وموضوع ، والحديثان الأوليان في صحيح مسلم علماً بأنَّ الإيمان لا يكون إلاَّ في حال الحياة الدنيوية ، فلو مات الإنسان على اعتقادٍ شيءٍ من الشرك ، فإنَّه يكون خالداً مخلداً في النار ، ولاتغني عنه قرابة قريبٍ ، وإن كان القريب من أفضل الخلق عند الله وأحبهم إليه فالإيمان بعد تجاوز الحياة الدنيا لا يكون إيماناً نافعاً حتى أنَّ التوبة لاتقبل بعد الغرغرة قال الله تعالى : [فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون] [غافر : ٨٥] وبالله التوفيق .

= كتاب الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعاة ولا تنفعه قرابة المقربين بلفظ : ((عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار)) .

(١٥) باب قول الله تعالى : [حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم]

وعن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال : ((إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك [حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير] فيسمعها مستترق السمع - ومستترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرّفها ، وبدّد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ؛ كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء)) [سبأ : ٢٣] .

وعن النّوّاس بن سمعان τ قال : قال رسول الله ρ : ((إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا ، وخرّوا لله سجداً ، فيكون أوّل من يرفع رأسه جبريل ، فيكلّمه الله من وحيه بما أراد ، ثمّ يمر جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سألته ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : [قال الحق وهو العلي الكبير] فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل)) .

(٢)

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله : [إلا من استترق السمع فأتبعه شهاب مبين] من حديث أبي هريرة τ وفي باب [حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير] وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى [ولا تنفع الشفاعاة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير] .
٢ (الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين في ج ١ / ٣٣٦ برقم الحديث ٩٩١ وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " رواه ابن أبي حاتم بسنده كما ذكره العماد ابن كثير " وقال الشيخ الدكتور الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان في تحقيقه لكتاب التوحيد ج ١ / ٣٤٨ : " انظر تفسير ابن كثير (٥٠٤ / ٦) وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٩١ / ٢٢) ابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٢٠٦) وأبو زرعة في تاريخه (٢٢١ / ١) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٥١٥) والأجري في الشريعة (٢٩٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٢) والطبراني كما في فتح الباري (٥٣٨ / ٨) وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة كما في الدر المنثور (٦٩٨ / ٦) " اهـ .

الشرح : معنى [فزع] أي زال عنها الفزع ، والمراد بهم الملائكة كما في الأحاديث ، فإذا رُدَّت إليهم عقولهم [قالوا ماذا قال ربكم] قال بعضهم لبعض هو [الحق] أي قال ربنا كذا .

قوله : « خضعانا » المراد به خضوعاً لربهم ، وخوفاً من جلاله .
قوله : « كأنه سلسلة على صفوان » الصفوان هو الحجر الأملس ، وإذا جرت عليه السلسلة سمع لها صوت .

قوله : « ينفذهم » أي يسمعونه جميعاً .

قوله : « فيسمعها مسترق السمع » والمراد به مسترق السمع من الجن ، وتضمن الحديث وصف كونهم يسترقون السمع ، وذلك بأنَّ الجن روحانيون - يعني أرواحُ الله أعلم كيف خلقها - فيهم خفة ، فيركب بعضهم بعضاً حتى يصلون فوق العنان أي فوق السحاب ، فيسمع مسترق السمع الكلمة ، فيلقيها على من تحته ثمَّ يلقيها الآخر على من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فرمى أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها أي الكاهن مائة كذبه .

يؤخذ منه عدة مسائل : -

١- أنَّ الله عز وجل يمكن الشياطين أن يسترقوا شيئاً من السمع أي من أخبار الملائكة ابتلاءً لعباده ، فيصدِّقون الرسل ، ويكذِّبون الشياطين أو يصدِّقون الشياطين ويكذبون الرسل ؛ لكن حين بدأ القرآن ينزل طردوا من السماء ، فلم يكذب أحدٌ منهم يدرك سماع كلمة لكثرة الرمي بالشهب ؛ خوفاً من أن يسمعوا شيئاً من القرآن ، فيلقوه على لسان السحرة ، والكهنة فيختل الأمر على الناس ، ولهذا قال الله عز وجل عنهم أنهم قالوا : [وأنَّا كنَّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً] [الجن : ٩] طردوا في حال نزول الوحي ، وكان ذلك من حفظ الله للقرآن حين نزوله ؛ أمَّا حفظه بعد نزوله فإنَّ الله عز وجل قد حفظه من أن يدخل فيه شيءٌ من غيره ، فقد مضى من حين نزوله ألفٌ وأربعمائة عام لم يستطع أحدٌ أن يدخل فيه حرفاً واحداً ، وفي ذلك ردٌّ على الرافضة الكذابين في زعمهم أنَّ القرآن ضاع منه شيءٌ أو ترك منه شيء ، وهذا تكذيبٌ لله في خبره حين يقول : [إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون] أمَّا بعد وفاة النبي ﷺ فلا بد أنَّ الشياطين قد عادت للاستراق ليبتلي الله عباده ، وقد ورد وصف

كيفية الوحي في حديث النواس بن سمعان **ط** قال : قال رسول الله **پ** : «
إذا أراد الله تعالى أن

يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة» .

قوله : «صعقوا» أي غشي عليهم ، فيعم الغشي أهل السماوات كلهم .

ويؤخذ منه ومن الذي قبله ؛ أن الكاهن يُصدّق بالكلمة التي سمعت من السماء ؛ لأنَّ الكاهن
يقول تلك الكلمة ، ويزيد عليها أشياء كثيرة ، والأمر واضح في هذا .

ويؤخذ منه صفة الكلام لله عز وجل ، وأنَّ الله يتكلم بكلامٍ يسمعه جبريل ، ويسمعه من شاء الله
من الملائكة ، وقد سمعه موسى عليه السلام ، وقد أثبت الله ذلك في قوله : [تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات] [البقرة : ٢٥٣] .

ويؤخذ منه أن نفوس بني آدم مهينة لقبول الباطل والحق ، والخير والشر ، ولذلك فإنَّ العبد ينبغي
له أن يتحامى سماع الشر حتى لا يؤثر على قلبه .

وفيه ردُّ على من عطل الله عن صفاته ، فأنكر صفة الكلام لله عز وجل كالجهمية ، والمعتزلة أو
تأوله كالأشعرية .

ويؤخذ منه أن الملائكة يخافون من ربهم ، فكيف يعبدون من دونه ، وقد وصفهم الله بقوله : [
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون] [النحل : ٥٠] وبالله التوفيق .

(١٦) باب الشفاعة

وقول الله عزوجل : [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع لعلهم يتقون] [الأنعام : ٥١] .
 وقوله : [قل لله الشفاعة جميعا] [الزمر : ٤٤] .
 وقوله : [من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه] [البقرة : ٢٥٥] .
 وقوله : [وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى] [النجم : ٢٦] .
 وقوله : [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير & ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له] [سبأ : ٢٢ ، ٢٣] قال أبو العباس (أي ابن تيمية) : " نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : [ولا يشفعون إلا لمن ارتضى] [الأنبياء : ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبي **ﷺ** : « أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده » [لا يبدأ بالشفاعة أولاً] « ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع » .
 وقال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » .

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى [إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب أليم] إلى آخر السورة [وائل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله] إلى قوله [من المسلمين] وفي كتاب تفسير القرآن باب قول الله [وعلم آدم الأسماء كلها] وفي باب [ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً] وفي كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى [لما خلقت بيدي] وفي باب قول الله تعالى [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] وفي باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما .

(٢) الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد على الحديث وفي كتاب الرقاق باب في صفة الجنة والنار .

الشرح : الشفاعة هي : أن يكون الشافع يشفع لطالب الحاجة في طلبها حيث يكون طالب الحاجة منفرداً بطلبها ، فينضم إليه الشافع فيكون طالباً للحاجة نفسها منظماً إلى صاحبها ومعزراً له .

وهي مأخوذة من الشفع الذي هو ضد التوتر ، والتوتر هو الواحد ، والثلاثة ، والخمسة والسبعة ، والتسعة .

والشفع هو : ما انقسم على اثنين من دون كسر ، ويبدأ بالعدد اثنين ، ثم الأربعة ، ثم الستة ثم الثمانية ، وهكذا دواليك ، ولما كان المشركون يعبدون غير الله مع أنهم يعتقدون أن الله هو الخالق ، وهو الرازق وهو المحيي ، وهو المميت لكنهم يعبدون تلك المعبودات ، ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله فنفى الله عز وجل زعمهم هذا .

وأخبر أن الشفاعة لله ، وأنه لا يملكها أحد غيره لاملئ مقرب ، ولأنبي مرسل ، وأن الواجب أن تطلب الشفاعة من الله ؛ لأنها لا تكون إلا بإذنه ، ولا يستطيع أحد أن يشفع إلا بعد رضاه وهي في الحقيقة إكرام للشافع ، ورحمة للمشفوع له بعد الرضا عن المشفوع له ، وقد أخبر الله في هذه الآيات بذلك فقال : **[قل لله الشفاعة جميعا]** أي أنه هو الذي يملكها وحده دون سواه وقال : **[من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه]** فمن هنا استفهام إنكاري ؛ أي لا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه ، وقال جل وعلا : **[وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى]** فأخبر جل وعلا أن الملائكة المقربين لا يستطيعون أن يشفعوا إلا من بعد إذن الله عز وجل ورضاه عن المشفوع له ؛ ومن اعتقد جواز الوساطة على الله وطلب الشفاعة منهم ، وقاسها على حال ملوك الدنيا ؛ الذين تطلب منهم الحاجات ، فقياسه هذا باطل ؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يقاس بخلقه ، ولا يحتاج إلى أحد من خلقه ، فالملوك يحتاجون إلى من حولهم باعتبار أن المخلوقين يكمل بعضهم بعضا ، ويعين بعضهم بعضا ؛ أما الله عز وجل فالناس كلهم محتاجون إليه وهو غني عنهم : **[يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد]** [فاطر : ١٥] والشفاعة لا تحصل من الله عز وجل إلا بعد رضاه عن المشفوع له ، وإكرامه للشافع وقد جاء في الحديث : عن أبي هريرة أنه قال له يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : **[من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه]** فمن شروط الشفاعة أنها

للموحدين

ولا تكون إلا بعد رضا رب العالمين ، وعلى ذلك تضافرت الأدلة ؛ فمن طلبها من غير الله حرمها ومن مات على الشرك فإنها لا تنفعه شفاعته ولا تقع فيه شفاعته ، ولهذا قال جل من قائل : **[قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات**

ولا في الأرض وما لهم فيهما من شركٍ وما له منهم من ظهير & ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له [لما كان ملوك الدنيا يكون من يعينهم شريكاً لهم في ملكهم ، فنفى الله عز وجل عن نفسه وعن ملكه الشراكة حتى لو كان في مثقال ذرة ، ونفى أن يكون له ظهيرٌ من خلقه لا ملكٌ مقرب ، ولا نبي مرسل ، فما له ظهيرٌ ولا شريكٌ ، ولا معينٌ ولا وزيرٌ ، ومع ذلك قال : [ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له] وقال : [ولا يشفعون إلا لمن ارتضى] فالنبي **ﷺ** لم يشفع في أحد من قرابته الذين ماتوا على الشرك إلا في أي طالب فإنه يشفع في تخفيف العذاب عنه وليس في إخراجهم من العذاب وكذلك قد ورد : « أن النبي **ﷺ** قال يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترَةٌ وغبرة فيقول له : إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأني خزي أخزى من أي الأبعد !! . فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجلِك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » رواه البخاري والذبيخ هو ولد الضبُّ الصغير ، ومعنى تلتطخه بالعدرة تلتطخه بالشرك والكفر ، وفي هذا إشارة إلى عدم قبول الشفاعة فيه ، وإن كان ولده خليل الرحمن .

فالشفاعة المنفية : هي التي تطلب من غير الله أو تطلب للمشرك .

والشفاعة المثبتة : هي التي تطلب من الله ، فإن قيل كيف طلبت الشفاعة من الأنبياء في الآخرة في فصل القضاء ؟ فالجواب : لأنه حينئذٍ كان الأنبياء جميعاً وغيرهم قد أحياهم الله الحياة الأخيرة وحينئذٍ جاز الطلب منهم مباشرة ، فإن منع طلب الشفاعة من غير الله عز وجل إنما هو طلبها من الميت أو الغائب ، والرسول في ذلك اليوم وموجودون أحياء ، فجاز طلب الشفاعة منهم فلا تعلق بهذه الشبهة لأحدٍ من المشركين الذين يريدون شيئاً يتعلقون به ليجوزوا ما لم يكن جائزاً

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى [واتخذ الله إبراهيم خليلاً] وقوله [إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله] وقوله [إن إبراهيم لأواه حليم] من حديث أبي هريرة **ﻧ** .

ويبيحوا ما كان ممنوعاً .

أما أقسام الشفاعة وأنواعها فهي سبع شفاعات ؛ ثلاثٌ منها خاصةٌ بالنبي **ﷺ** لا يشاركه فيها أحد ؛ وهي : -

١ - الشفاعة في فصل القضاء التي يقال لها المقام المحمود .

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة .

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب .

أما الشفاعات في أقوامٍ استحقوا دخول النار ألا يدخلوها ، أو في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها ، والشفاعة في أهل الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة ، والشفاعة في رفعة درجات أقوامٍ في الجنة ، فهذه الأربع عامة يشارك فيها النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصديقين ، والشهداء ، وسائر المؤمنين ، فهذه أربع ، وتلك ثلاث أي الخاصة بالنبي ﷺ وإذن فالجملة سبع شفاعات ؛ اللهم اجعلنا ممن تشفع فيهم نبيك ﷺ وبالله التوفيق .

(١٧) باب قول الله تعالى : [إِنَّكَ لَاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] (١)

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه ؓ قال : « لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ ، وَأَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ

فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فأعاد عليه النبي **ﷺ** فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال النبي **ﷺ** : لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله : [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين] [التوبة : ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب : [إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء] [القصص : ٥٦] .

الشرح : الهداية تنقسم إلى قسمين :

١- هداية دلالة ، وبيان ، وإرشاد ، وهذه الهداية مثبتة في قوله سبحانه : [وإنك لاتهدي إلى صراطٍ مستقيم] وفي قوله سبحانه وتعالى : [أفرأيت يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلاّ أن يهدي] .

٢- هداية منفية ؛ وهي هداية التوفيق ؛ وإصلاح القلوب لقبول الحق ، ومتابعته ؛ فهذه الهداية ينفرد بها الله وحده دون سواه ، فلا يشاركه فيها أحد لأمك مقرب ، ولاني مرسل ؛ وهي المذكورة في هذه الآية في قوله تعالى : [إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء] .

ثمّ أورد هذا الأثر عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة ... » الخ .
يؤخذ من هذا الحديث :

١- حرص النبي **ﷺ** على عمّه أن يقول لا إله إلاّ الله .
٢- أنّ صاحب الخير لا يخلو من معارض ، فقد عارض النبي **ﷺ** في دعوته لعمّه عارضه أبو جهل ابن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، فكان إذا كرر عليه أن يقول لا إله إلاّ الله ، ودعاه إلى قولها كرر عليه أولئك مقالتهم : أترغب عن ملة عبد المطلب أو عن دين عبد المطلب .

(١) سورة القصص آية ٥٦ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب : [إنك لاتهدي من أحببت] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت .

الشرح الموجز الممجد لتوحيد الخالق الممجد

٣- إذا كان النبي **ﷺ** مع ماله عند الله من مقام ، وماله عنده من جاه ؛ فهو أفضل الخلق على الإطلاق ، وأعظمهم عند الله جاهاً ، وأقربهم إليه وسيلة لا يقدر على هداية من أحب هداية توفيق لأنّ هداية التوفيق كلها بيد الله ، فهو الذي يهدي القلوب ، ويردها إلى الحق إذا شاء ؛ وهو الذي يمنع ذلك ، ويترك أصحاب الضلالة في ضلالاتهم يعمهون حتى يواجهوا الحقيقة المرة فكان أبو طالب آخر ما قال : أنّه على ملة عبد المطلب .

- ٤- يؤخذ منه أن ملة عبد المطلب هي ملة المشركين في زمنه ، فكانوا يؤمنون بما آمن به أهل ذلك العصر وفي محيط العرب ، وينفون ما نفوه ؛ وهو البعث بعد الموت ، ولهذا فإنَّ أبا طالب استحق دخول النار بذلك ، فقد أخبر النبي ﷺ أنه يأتي إليه يوم القيامة وهو في غمرة من جهنم فيخرجه إلى ضحضاح منها ، فله في قدميه جمرتان تغلي منهما دماغه كما ورد في الحديث .^(١)
- ٥- يؤخذ منه عظمة شأن التوحيد ؛ وأنَّ له الأثر العظيم في مستقبل العبد ؛ وأنَّ من مات على غيره لابدَّ أن يواجه الحقيقة المرة من دخول النار ، والخلود فيها أبد الآباد ، ودهر الدهور .
- ٦- ويؤخذ منه أنَّ محبة العاطفة لا يؤخذ بها ، فقد حرص النبي ﷺ على أي طالب أن ينجيه الله من النار محبةً له ، وقد أثبت الله هذه الحبة بقوله : [إنَّك لا تهدي من أحببت] .
- ٧- يؤخذ منه مضرة جلساء السوء على الإنسان .
- ٨- يؤخذ منه مضرة تعظيم الأسلاف ، والأكابر إذا كان بغير حق .
- ٩- يؤخذ منه أنَّ الأعمال بالخواتيم ، وبالله التوفيق .

(١) الحديث أخرجه نحوه البخاري بلفظ : " عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه أم دماغه " وذلك في كتاب المناقب باب قصة أبي طالب ، وأخرج نحوه أيضاً مسلم في كتاب الأدب باب كنية المشرك وفي كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وفي كتاب الإيمان باب شفاعاة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه من حديث أبي سعيد الخدري والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما .

(١٨) باب ما جاء أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله تعالى : [يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق] إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه [النساء : ١٧١] .

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : [وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً]

نوح : ٢٣] قال : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد ؛ حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبت " .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : قال غير واحدٍ من السلف لما ما توا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد ، فعبدوهم .

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجاه .
وقال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنطعون »
قالها ثلاثاً .

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب : [ودأ ولاسواعاً ولايغوث] .

٢ (انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ج ١ / ١٨٣ بتحقيق محمد حامد الفقي .

٣ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : [واذكر في الكتاب مريم] قال الشيخ الوليد أريان : " وأصله عند مسلم في الصحيح برقم ١٦٩١ " .

٤ (الحديث جاء بلفظ : " عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو واقف على راحلته : هات القط لي فلقطت له حصيات وهي حصى الخذف فلما وضعتن في يده قال نعم بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " كما رواه ابن حبان في صحيحه بلب ذكر وصف الحصى التي ترمى بها الجمار برقم ٨٧١ في ج ٣ / ١٨٣ وفي سنن النسائي (المجتبى) باب النقاط الحصى برقم ٣٠٥٧ في ج ٥ / ٢٦٨ وعند ابن ماجه باب قدر الحصى برقم ٣٠٢٩ في ج ٢ / ١٠٠٨ وفي السنن الكبرى برقم ٤٠٦٣ في ج ٢ / ٣٥٠ وبرقم ٩٣١٧ في ج ٥ / ١٢٧ باب أخذ الحصى وفي مسند أبو يعلى في أول مسند ابن عباس في ج ٤ / ٣١٦ برقم ٢٤٢٧ وقد صحح الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج ١ / ٥٢٢ برقم ٢٦٨٠ وأشار إلى صحته في السلسلة الصحيحة برقم ١٢٨٣ والسنة برقم ٩٨ .

٥ (في كتاب العلم باب هلك المتنطعون .

الشرح : الغلو هو الزيادة في الشيء عن قدره ، والله سبحانه وتعالى هـى أهل الكتاب عن الغلو ذلك بأنهم بالغلو دخلوا فيما لم يجز لهم الدخول فيه ، فالنصارى غلت في عيسى بن مريم حيث أهوه أو جعلوه ابناً لله ، واليهود غلو في عزيز حتى جعلوه ابناً لله ، فالله سبحانه وتعالى نهاهم عن الغلو بقوله : [يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولاتقولوا على الله إلّا الحق] والحق ألا يعتدى على مقام الألوهية ، فلا يجوز أن يقال في أحدٍ أنه ابن لله .

ثم أورد حديث ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى في سورة نوح : [وقالوا لاتذرنا آلهتكم ولاتذرنا ودأ ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسرا] قال : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح " الخ .

يؤخذ من هذا الأثر : -

- ١- أن فتنة بني آدم ، ودخولهم في الشرك كان من طريق الغلو .
 - ٢- يؤخذ منه أن الشيطان يدخل بالحيلة حتى يدخلهم في الذرائع ؛ التي توصلهم إلى الشرك فهو أمرهم أن يصوروا صور أولئك الصالحين ، ولم يأمرهم بعبادتهم أولاً .
 - ٣- يؤخذ منه أن الشيطان لا يهتم أن يطول الأمر ؛ أي يمتد الزمان قبل أن تعبد ، فهو أمرهم بنصب صورهم في أماكنهم ، ثم جاء لهم بحيلة أخرى ، فالحيلة الأولى قال لهم : إذا نصبتم صورهم فإنكم تذكرون ما كانوا يقولون لكم ، فيدفعكم ذلك إلى العبادة ، وثانياً قال لهم : إن آبائكم كانوا يستسقون بهؤلاء الرجال ، فيسقون ، ففعلوا ذلك حتى إذا انقرض الجيل الأول وجاء جيل جديد ؛ قال لهم : إن آبائكم كانوا يعبدونهم ، فعبدوهم .
 - وهكذا الشيطان ينزل مع الناس درجة درجة حتى يوقعهم في الشرك بالله .
 - ٤- أن الشيطان قد أحيا فكر هؤلاء الرجال بعد الغرق ، وهلاك قوم نوح كلهم ، فأحيا لهم ذكر هؤلاء الرجال ، ولما بعث النبي ﷺ كان هؤلاء معبودين كما هو مبين في بعض الآثار .
 - ٥- يؤخذ من حديث عمر : « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ... » الخ
- " الإطراء : هو

المبالغة في المدح ، والخروج بالممدوح إلى حد المغالاة فيه ، فالنبي ﷺ نهي أمته عن الإطراء ؛ الذي يخرج بهم إلى حد التأليه ، والله سبحانه وتعالى قد قال له : [قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا [الكهف : ١١٠] العمل الصالح هو الذي يكون خالصاً لله ، وموافقاً لما جاء عن رسول الله ﷺ من غير مغالاة ، ولا تقصير ، فالمغالاة لا تجوز ، والتقصير كذلك ، وقد يكون مضرة التقصير أخف من مضرة المغالاة ؛ لأن المغالاة في المخلوق تخرج به عن حده ، وتجاوز الحد يصير العبد طاغوتاً .

وقوله : « إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » هذا دلل على خطورة الغلو ، وأن الواجب على العباد أن يتقوا الله عز وجل ، وأن يعملوا ما أمروا به من دون مغالاة ، ولا تقصير .

ثم الحديث الأخير عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً ، والتنعط هو التشدد ، والتكلف بما لا ينبغي ، فيجب الاقتصاد

في الشيء ، وعدم الزيادة فيه كما أنه لا ينبغي أن ينقص الشيء عن قدره ، فكذلك لايزاد عمّا يستحقه ، وبالله التوفيق .

(١٩) باب ما جاء في التغليب فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيفه إذا عبده

في الصحيح عن عائشة أنّ أمّ سلمة رضي الله عنهما ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل .

ولهما عنها قالت : لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإنَّ الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً ؛ ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثم إنَّه لعن - وهو في السياق - من فعله ، والصلاة عندها من ذلك ، وإن لم يُبَنَّ مسجدٌ ، وهو معنى قوله : « خشي أن يتخذ مسجداً » فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ؛ بل كل موضع يصلى فيه يسمّى مسجداً ، كما قال ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » .

- (١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور .
 (٢) الحديث أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، وأخرجه أيضاً مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور .
 (٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد .

ولأحمد بسندٍ جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّ من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » ورواه أبو حاتم في صحيحه .
الشرح : هذه الأحاديث كلها تدل : -

- ١ - على تحريم اتخاذ القبور مساجد ؛ سواءً جعلت القبور في المسجد بعد بنائه أو بني المسجد في وسط المقابر ؛ كل ذلك لا يجوز .
 ولا يجوز أن يصلي في مسجد حوله مقابر ، وبالأخص إذا كانت المقابر في قبلته ، فإن كان المسجد بني على القبر وعلى المقابر تعظيماً لها ؛ فإنَّه يجب هدمه ، ومنع الصلاة فيه .
 وإذا كان المسجد مبنياً ووضع المقابر فيه ؛ فإنَّ الأولى أن تخرج منه الرَّمَم ، والعظام ؛ التي في المقابر ، وتنقل إلى مقابر المسلمين ، وحينئذٍ يكون المسجد صالحاً للصلاة فيه ؛ بدون هذا لا تجوز الصلاة فيه ، وكذلك إذا كانت المقابر محيطة به من جوانبه .

٢- يؤخذ من هذه النصوص أنَّ العبادة إن كانت لله عز وجل ؛ لكن فعلها صاحبها عند هذا القبر تبركاً به ، وظناً أنَّ العبادة عنده تكون مقبولة عند الله عز وجل ، وفاضلة لديه ، فإنَّ تلك العبادة تكون باطلة ، ومردودة على صاحبها ، ولا يجوز له أن يفعلها عند القبر .

٣- أنَّ المعروف من حال الناس أنَّهم يذبحون عند القبور ، ويزعمون أنَّ هذه الذبيحة إنما ذبحت لله ، وهذا غير صحيح ، ولو كان قصد الذبح لله لذبحها في بيته ولم يأت بها إلى القبر ، وعلى أقل الأحوال فإنَّ هذه العبادة مشتركة بين الله وبين خلقه ، وفي الحديث أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .^(٢)

٤- أنَّ النبي ﷺ لعن الذين يتخذون القبور مساجد ، وخصَّ باللعنة اليهود والنصارى ؛ لأنَّهم

= وأخرجه أيضاً الإمام مسلم رحمه الله في أول كتاب المساجد من حديث جابر بن عبد الله .
(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند في ج ١ / ٥٤٤ برقم ٤٣٤٢ وابن خزيمة في صحيحه في ج ٢ / ٦ برقم ٧٨٩ وابن حبان في صحيحه في ج ١٥ / ٢٦٠ برقم ٦٨٤٧ والطبراني في المعجم الكبير في ج ١٠ / ١٨٨ برقم ١٠٤١٣ وقال في مجمع الزوائد (٢ / ٢٧) : إسناده حسن ، وعبد الرزاق في مصنفه في ج ١١ / ٤٠٢ برقم ٢٠٨٤٨ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٣ / ٣٠ برقم الحديث (١١٨١٦ / ٤٥) وقال الدكتور الوليد آل فريان : " وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١٤٢ / ١) والبخاري في المسند رقم (٣٤٢٠ ، ٣٤٢١) (كشف) وقال الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد (١٣ / ٨) رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ، وقال الحافظ ابن تيمية في الاقتضاء (٢ / ٦٦٨) إسناده حسن ، وكذلك قال ابن القيم في إغاثة اللهفان (١ / ٢٠٥) وأخرج الجملة الأولى البخاري في الصحيح رقم (٧٠٦٧) " اهـ .
(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الزهد والرفق باب من أشرك في عمله غير الله من حديث أبي هريرة .

كانوا قد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

٥- أنَّ من دعا العبد الصالح سواء كان معروفاً بالصالح كنبى الله عيسى عليه السلام ، وعزير وغيرهم من الصالحين ؛ من دعا أحداً من هؤلاء ، أو عبده من دون الله ، فإنه يكون مشركاً كافراً ، ومن صلى عند القبر معتقداً فضيلة الصلاة عند ذلك القبر ، فإن هذه ذريعة إلى الشرك من أشد الذرائع الموصلة إليه .

وكم أكد النبي ﷺ النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، ولعن من فعل ذلك .

٦- يؤخذ منه تحريم التصوير ، وتكون الحرمة أشد إذا قصد بالتصوير العبادة للشخص المصور كود ، وسواع ، ويعقوب ، ونسرا .

٧- أنَّ قبر النبي ﷺ كان خارجاً عن المسجد ؛ لأن بيته كان إلى جنب المسجد ، وقد دفن في بيته وفي عهد الوليد بن عبد الملك أمر بعمارة المسجد ، وأدخلت الحجرة في المسجد ، ولم يكن ذلك عن رضى من أهل العلم ؛ بل أنَّ بعض أهل العلم الذين كانوا موجودين في تلك الأزمنة كرهوا ذلك ، ومنهم سعيد بن المسيب .

٨- أما القبة الخضراء التي بنيت على قبره **ﷺ** فقد بنيت في آخر القرن السادس بناها ملك من ملوك مصر ، فمن احتج بوجود قبر النبي **ﷺ** في مسجده ، فلاحجة له في ذلك ، وكذلك من احتج على البناء على القبور بوجود تلك القبة فلا حجة له في ذلك ؛ لأن تلك الأمور فعلت من أناس يكون عندهم جهل ، ولهم سلطة لا يستطيع الناس الرد عليهم ، فعملوا ذلك بزعمهم أنه محبة للنبي **ﷺ** وتعظيماً له .

٩- يؤخذ من الحديث الأخير أن الذين يتخذون القبور مساجد من شرار الخلق عند الله عز وجل .

١٠- أن النبي **ﷺ** كرر النهي عن اتخاذ القبور مساجد بالأخص في آخر حياته ، وقرب موته **ﷺ** حتى لا يتوهم متوهم أو يظن ظانً نسخه أو إباحته .

١١- أن الله أكرمه بأن اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، والخلة هي أعلى من الحبة .

١٢- فيه فضيلة لأبي بكر الصديق ، وإشارة إلى خلافته **ﷺ** لقوله **ﷺ** : « ولو اتخذت من أمتي خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً » وبالله التوفيق .

(٢٠) **باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله**

روى مالك في الموطأ أن رسول الله **ﷺ** قال : « اللهم لاتجعل قبوري وثناً يعبد ؛ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .
ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : [أفرأيتم اللات والعزى] [النجم : ١٩] قال : « كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره » .

وكذا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : « كان يلت السويق للحاج » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله **ﷺ** زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن .

الشرح : يؤخذ من هذا الحديث ، ومن هذه الترجمة : -

١- أن الغلو سبب في جعل قبور الصالحين أوثاناً تعبد من دون الله عز وجل .

٢- يؤخذ منه أنَّ الوثن كل شيء عبد من دون الله ؛ سواءً كان قبراً أو غير ذلك ، ولهذا قال النبي **ﷺ** : « اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد » وذلك أنَّ النبي **ﷺ** خاف أن يتخذ قبره وثناً يعبد من دون الله ؛ مع أنَّه هو الذي حذر من الشرك ، وجاهد أهله ، وغضب على من فعلوه ، وأحلَّ الله له ولأمته قتل المشركين ، وسبي نسائهم ، وذرائعهم ، وغنيمة أموالهم ؛ كل ذلك سببه عبادتهم

١ (الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب النداء للصلاة باب جامع الصلاة ، وأخرج بنحوه عبد الرزاق في مسنده في ج ١ / ٤٠٦ برقم الحديث ١٥٨٧ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج ٢ / ١٥٠ برقم الحديث ٧٥٤٤ وفي ج ٣ / ٣٠ برقم الحديث ١١٨١٩ وأخرجه الإمام أحمد في ج ٢ / ٢٤٦ برقم ٧٣٥٢ وأخرجه أيضاً في ج ٢ / ٤٤٥ برقم ١٠٢٥ وأخرجه أبو يعلى في ج ١٢ / ٣٣ برقم الحديث ٦٦٨١ .

٢ (رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٥٨ / ٢٧) .

٣ (الأثر أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : [أفأريتم اللات والعزى] .

٤ الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الجنائز باب في زيارة النساء للقبور ٣ / ٢١٨ برقم ٣٢٣٦ والنسائي في كتاب الجنائز باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٤ / ٩٤ برقم ٢٠٤٣ والترمذي في كتاب الصلاة باب كراهة أن يتخذ على القبر مسجداً في ج ٢ / ١٣٦ برقم ٣٢٠ وقال حديث حسن ، وابن ماجه مختصراً في كتاب الجنائز باب النهي عن زيارة القبور رقم ١٥٧٥ وابن حبان في ج ٧ / ٤٥٢ رقم ٣١٧٩ والطبراني في الكبير في ج ١٢ / ١٤٨ برقم ١٢٧٢٥ والحاكم في المستدرک على الصحيحين في ج ١ / ٥٣٠ برقم ١٣٨٤ والبيهقي في ج ٤ / ٧٨ برقم ٦٩٩٨ وقال ابن حجر في التلخيص ٢ / ١٣٧ : والجمهور على أنَّ أبا صالح هو مولى أم هانئ وهو ضعيف كما قاله محققا القول المفيد ، وقال الشيخ الوليد آل فريان في تخریجه لهذا الحديث : " ويرى ابن القيم في تهذيب السنن ٢٤ / ٣٤٨ أنَّ أبا صالح هذا هو مهران وهو ثقة وليس بصاحب الكلبى المزعوم ونقل ذلك عن أبي حاتم ، وفي بعض نسخ الجامع كما يقول ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم في ج ١ / ٢٩٤ " هـ .

الأوثان من دون الله عز وجل ، ولهذا قال : « اشتد غضب الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولا يشتد غضب الله إلا على من أتى أكبر الذنوب ؛ وأكبرها ، وأشدّها ، وأفضعها اتخاذ القبور معابد ، وأوثاناً تعبد من دون الله عز وجل ، وكمن من الآيات التي نصَّ الله فيها على المشركين ، ويبيّن فيها ضعف عقولهم ، وبعد ما ذهبوا إليه ، فكيف يتخذ إلهاً من صيرَّه الله بالموت رمّةً ، وصار في قبره جيفةً ؛ لولا أنَّ الله ستر جيفته في الأرض لما استطاع أحدٌ أن يدنوا من جيفته مع العلم بعجز المخلوقين عن إسعاف من يطلبهم أو إنجائهم مما يخاف ، ولكم بين الله عز وجل قدرته بما عرض من آيات في الكون ، ويبيّن عجز الناس ، وضعفهم عن أئفه الأشياء ، وأقلها وأحقرها ؛ كما في قوله تعالى : [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير & إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير] [فاطر : ١٣ ، ١٤] وقوله : [إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير] [سبا : ٢٢] فالغلو في قبور الصالحين ، وكذلك الغلو في الأشخاص يجعل المغلو فيهم معبودين من دون الله تعالى ، وقد حذّر الله تعالى في كتابه من الغلو فقال : [يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق

إنَّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَانْتَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ [النساء : ١٧١] .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : [أفرايتم اللات والعزى] [النجم : ١٩] قال : " كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره " ، وكذا أبو الجوزاء عن ابن عباس : " كان يلت السويق للحاج " . وأقول : إنَّ من عادة الناس الغلو فيمن رأوا منه الصلاح ، وهذا الغلو هو الذي يصير المغلو فيه معبوداً من دون الله ، فهذا الرجل الذي كان يلت السويق ، ويطعمه الحاج ؛ غلا فيه الناس حتى صيروه معبوداً ، وعكفوا على قبره .

وبهذه المناسبة نتذكر أيضاً ما حصل لقوم نوح بعد آدم حيث كان رجالٌ يدعونهم إلى الله ويحثونهم على الأعمال الخيرية ، فلما ماتوا جاء الشيطان إلى أقوامهم ، وأمرهم أن ينصبوا في أماكنهم صوراً لهم حتى يتذكروا ما كانوا يقولون لهم ، فيدفعهم ذلك إلى العبادة ، ففعلوا ، وبعد زمن من

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

حين انقرض ذلك الجيل عبدوا من دون الله .

ومن هنا نعلم أنَّ الشيطان قد يدعو إلى العبادة لأغراضٍ له فيها ؛ حتى يخرج الناس من عبادة الله إلى عبادة غيره .

وأما العزى فهي شجراتٌ ثلاث نصبوا عندها صنماً ، وسموه بالعزى ليعبدوه من دون الله عز وجل ، ويقال أنَّهم اشتقوا العزى من العزيز ، وكانت العزى في وادي السيل على طريق الطائف فكانت لقريش ، ومن جاورها من أهل تهامة ، وكان اللات لأهل الطائف ومن حولهم ، فلما جاء الإسلام هدم هذه المعبودات كلها ، وجعل العبادة لله وحده دون من سواه قال الله عز وجل : [وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإنَّ الله بما يعملون بصيرٌ وإن تولوا فاعلموا أنَّ الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير] [الأنفال : ٣٩ ، ٤٠] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أهل السنن . وأقول : هذا الحديث صحيح بمجموع طرقه ، ولذلك صححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٩٨٥ وهو مرويٌّ من طريق ابن عباس ، وأبي هريرة ، وحسان بن ثابتؓ وعلى هذا فإنَّ اللعن لزوارات القبور من أجل أنَّهنَّ يكثرن الزيارة الشركية ، ولهذا جاء بصيغة المبالغة ، وإلى ذلك ذهب كثيرٌ من أهل العلم ، وجعلوا ذلك خاصاً بالنساء اللاتي يكثرن زيارة القبور زيارة شركية ، وبدعية ،

وفي تخصيص النساء بذلك إشارة إلى أنَّ النساء أكثر من يقعن ضحية للخرافات ، والعقائد المنحرفة المبنية على الأوهام ، والتخريف ، ومن تأمل واقع الناس يعلم ذلك وزعم بعضهم أنَّ هذا النهي كان قبل الإذن بزيارة القبور ، وأنَّ الإذن في زيارة القبور الذي جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإنَّها تذكر الآخرة » وبعد ذلك جاء الإذن عاماً للرجال والنساء ، واستدل من قال ذلك على الأصح بمرور النبي ﷺ بالمرأة التي كانت تبكي على القبر ، والحديث في الصحيحين ، واستدلوا أيضاً بزيارة

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه في كتاب الجنائز باب ما جاء في زيارة القبور من حديث ابن مسعود ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم الحديث ١٢٤٠ من حديث علي بن أبي طالب ، وفي باقي مسند الأنصار برقم ٢٢٤٩٦ من حديث ابن بريدة عن أبيه ، وأصل الحديث في صحيح مسلم والذي جاء فيه بلفظ : " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ، ولا تشربوا مسكراً " وذلك في كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ، وأورده أيضاً في كتاب الأضاحي باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء عن بريدة . ت =

عائشة لقبر أخيها ، وأقول إنَّ النهي الوارد في الحديث لم يكن عن الزيارة السنية ، وإنما هو عن الزيارة البدعية والشركية ؛ لأنَّ الزيارة السنية لا يلعن صاحبها ، وإنما يلعن من أتى محرماً وهؤلاء النساء أتين محرماً ، فلذلك لعنهنَّ النبي ﷺ والدليل على ذلك قوله في وصفهنَّ : « والمتخذين عليها المساجد والسرج » إذ أنَّه لا يتخذ على القبور المساجد والسرج إلا أهل الخرافات . والفرق بين الزيارة البدعية والشركية : -

أنَّ الزيارة البدعية : هي التي يقصد فيها العبادة ، والدعاء عند القبر ظناً بأنَّ ذلك يكون سبباً في مضاعفة الأجر ، وقبول العبادة .

أمَّا الزيارة الشركية : فهي التي يدعى فيها المقبور ، ويطلب منه الحاجات ، وهذا كثير في النساء . أمَّا الزيارة السنية : وهي المقصودة للدعاء للميت ، فهذه الظاهر جوازها للرجال والنساء عموماً وقد قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : « كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » رواه مسلم ، وهذا هو القول الحق في المسألة إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

= ٢ (وهذا الحديث أورده الإمام البخاري بلفظ : " مر النبي p بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري قالت إليك عني فأتك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فقيل لها إنه النبي p فأتت باب النبي p فلم تجد عنده بوابين ، فقالت لم أعرفك ، فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى " وذلك في كتاب الجنائز باب زيارة القبور ، ولمسلم بنحوه في كتاب الجنائز باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى .

٣ (أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٦ / ١) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٨ / ٤) كما قال الدكتور الوليد آل فريان ، وقال محققا القول المفيد شرح كتاب التوحيد : " وقال العراقي في تخريج الإحياء ٤ / ١٨٨ رواه ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم بإسناد جيد بلفظ : أَنَّ عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها فقال لها عبد الله بن أبي مليكة : أليس النبي p قد نهى عن زيارة القبور ؟ قالت : إنه أمر بها بعد ذلك " اهـ .

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها .

(٢١) باب ما جاء في حماية المصطفى p جناب التوحيد

وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقوله تعالى [لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم] ١

التوبة : ٢٨] .

عن أبي هريرة r قال قال رسول الله p : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبوري عيداً ، وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم »

ورواه أبو داود بإسناد حسن ، ورواته ثقات .

وعن علي بن الحسين r : أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي p فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله p قال : « لاتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم » رواه في المختارة .

الشرح : النبي p سد الأبواب والذرائع الموصلة إلى الشرك ، ومن ذلك قوله p : « ولا تجعلوا قبوري عيداً » ومن ذلك أن النبي p قيل له : « يا سيدنا وابن سيدنا ، ويا خيرنا وابن خيرنا فقال النبي p : يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ؛ أنا محمد بن عبد الله ورسول الله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله عز وجل » ومن ذلك أنه لما جاءه رجل وقال يا رسول الله : « جهدت الأنفس وضاعت العيال ، وهككت الأموال ، وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا ، فإننا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك قال رسول الله p ويحك

إنك لا تدري ما عملوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي » رواه مسلم .

- (١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب الجهمية وإسناده ضعيف كما في ضعيف سنن أبي داود للألباني رحمه الله وأشار إلى ضعفه أيضاً في الظلال برقم ٥٧٥ والمشكاة برقم ٥٧٢٧ وقال الدكتور وليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان في تحقيقه لفتح المجيد ص ٨٢٩ بأنه : " أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢ / ٢٢٤) والدارمي في الرد على الجهمية (٢٤) وابن خزيمة في التوحيد رقم (١٤٧) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٥٧٥) و (٥٧٦) والطبراني في الكبير رقم (١٥٤٧) والدارقطني في الصفات (٣٨) واللالكاني في شرح أصول الاعتقاد - يقصد شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة رقم (٦٥٦) وأبو الشيخ في العظمة رقم (١٩٨) وصححه ابن القيم في تهذيب السنن (٩٥ / ٧) وابن كثير في التاريخ (٨ / ١) " اهـ .
- (٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل باب شفقتة **p** على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم من حديث جابر بن عبد الله **ت** .
- (٣) الحديث متفق عليه فقد أخرجه الإمام البخاري في أول كتاب الفتن ، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا **p** وصفاته من حديث =

والمهم أن رسول الله **p** كما وصفه الله : [بالمؤمنين رؤوف رحيم & فإن تولوا] أي أعرضوا ولم يقبلوا ما جئت به [فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم] .

في هذا الحديث حديث أبي هريرة **ت** أمر النبي **p** أمته ألا يجعلوا بيوتهم قبورا ؛ لأن القبور لا يصلّي فيها ، ولا يقرأ القرآن فيها ، فينبغي لهم أن يصلوا في بيوتهم ، ويقرأوا فيها القرآن ، ثم قال : " ولا تجعلوا قبوري عيداً " نهى النبي **p** أن يجعل قبره عيداً ، فيذهبون إليه كلما ذهبوا وجاءوا ، فهو يطلب منهم ألا يجعلوا قبره عيداً ، والعيد ما اعتاد على الإنسان من الأعياد الزمانية كعيد الأضحى ، وعيد الفطر ، وما اعتاد عليه الإنسان كالأعياد المكانية ، فنهى النبي **p** أن يكثروا من المجيء إلى قبره متخذينه عيداً ، وأمر بالصلاة عليه فقال : « وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت » .

ثم أورد الأثر وعن علي بن الحسين **ت** : أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي **p** فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله **p** أبوه الحسين بن علي ، وجده علي بن أبي طالب عن رسول الله **p** : قال : « لاتتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم » رواه في المختارة .

(١)

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : " من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصاً كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوّي التوحيد ، وينميّه ، ويغذيه من الحث على الإنابة إلى الله عز وجل ، وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبةً ، ورهبةً ، وقوة الطمع بفضله وإحسانه ، والسعي في تحصيل ذلك ، وإلى التحرر من رق المخلوقين ، وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه أو الغلو في أحدٍ منهم ، والقيام التام بالأعمال الظاهرة ، والباطنة ، وتكميلها وخصوصاً حثُّ

النصوص على روح العبودية ؛ وهو الإخلاص التام لله وحده ، ثمَّ في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين ، ونهى عن التشبه بالمشركين ؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم ، ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك ؛ كل ذلك حماية للتوحيد ، ونهى

= سهل بن سعد واللفظ له ، وأخرج بنحوه أيضاً مسلم بلفظ آخر في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء من حديث أبي هريرة ٢ ويمثله الإمام البخاري في كتاب المساقاة باب من رأى أنَّ صاحب الحوض والقرية أحقُّ بمائه .

عن كل سبب يوصل إلى الشرك ؛ وذلك رحمةً بالمؤمنين ؛ ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة ، والباطنة ، وتكملها ؛ لتكمل لهم السعادة ، والفلاح ، وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة ^(١) " اهـ .

وأقول : يا لها من جملٍ جيدة عظيمة من عالمٍ تحرير ، فالحمد لله على ذلك ، وبالله التوفيق .

(٢٢) باب ما جاء أنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى : [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت] [النساء : ٥١] .

وقوله تعالى : [قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت] [المائدة : ٦٠] .

وقوله تعالى : [قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذنَّ عليهم مسجداً] [الكهف : ٢١] .

وعن أبي سعيد **ر** أنَّ رسول الله **ﷺ** قال : « لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن » أخرجاه .

ولمسلم عن ثوبان **ر** أنَّ رسول الله **ﷺ** قال : « إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربتها وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإنّ ربي قال : يا محمد إذا قضيت قضاءً فإِنَّه لا يرد ؛ وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنةٍ بعامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً » .

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد : « وإِثْمًا أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولاتقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشرّكين ، وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان ، وأتّه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون كلهم يزعم أنّه نبي ، وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي —

- ١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإعتصام باب قول النبي **p** : " لتتبعن سنن من كان قبلكم " وأخرجه الإمام مسلم في كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى .
٢ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

ولاتزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى .

الشرح : وقول الله تعالى : [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت] فقد نزلت في اليهود ، وقد ذهب إلى اليهود قومٌ من المشركين كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد فقالوا : ما أنتم وما محمد ؟ فقالوا : نحن نصل الأرحام ، وننحر الكوماء — المرتفعة السنام — ونسقي الماء على اللبن ، ونفك العناة ، ونسقي الحجيح ، ومحمد صنبر — الأبر الذي لا عقب له — قطع أرحامنا ، واتبعه سراق الحجيح من غفار ، فنحن خيرٌ أم هو ؟ فقالوا : أنتم خير وأهدى سبيلاً ، فأُنزل الله عز وجل : [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً] .

وإذا تأملنا في حال الحزبيين ؛ فنحن نجدهم شابهوا اليهود حين عقدوا مع الروافض اتفاقاً وقالوا نحن مسلمون ، وهم مسلمون ، وهم مع ذلك ييغضون الموحدين ، ولا يطيقونهم أبداً ، فقد تعاطفوا ، وتصالخوا مع جميع فئات الضلال ، وقبلوهم أعضاءً في حزبهم ؛ أمّا الموحدون فإنهم لا يطيقونهم أبداً ، أليس في هذا دليل على أنهم فئة ضلال ؛ بلى والله إنهم كذلك .

وقد أخبر الله عن كل رسول بعث أنّه يدعو إلى التوحيد ؛ أمّا الإخوان المسلمون فإنهم يدعون إلى خلافة والنبي **p** بدأ بالتوحيد ، وهم بدأوا بالدعوة إلى خلافة .

والنبي **p** بدأ بالعقيدة وهم يعتنون بفضائل الأعمال ؛ ليغروا بها الناس ، ويتساهلون في العقائد التي هي الأصل في الدين^(٣) .

وقول الله تعالى : [قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم -

(١) لم أجد تخريج هذه الزيادة عند البرقاني رحمه الله ، ولكن ذكر الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في تحقيقه لكتاب فتح المجيد عن الخطيب أنه قال فيه : " كان ثبتاً ورعاً لم نر في شيوخنا أثبت منه عارفاً بالفقه كثير التصانيف صنف مسنداً ضمّنه ما اشتمل عليه الصحيحان " قلت ولعل هذا الحديث بهذه الزيادة في هذا الكتاب ويحتمل أن يكون في غيره ، وقد رواها أبو داود في كتاب الفتن باب ذكر الفتن وسكت عنها ، وابن ماجه في كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن ، وغيرهما .
(٢) الأثر أخرجه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتاب فتح المجيد ، وقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ج ١١ / ٢٥١ برقم الحديث ١١٦٤٥ وأورده الإمام ابن كثير في تفسيره وغير واحد من أهل التأويل .
(٣) لمزيد من الإيضاح والتبيان عن حال هذه الجماعات الحزبية المعاصرة وما فيها من البدع والضلالات وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين راجع إن شئت الكتب التالية : المورد الغب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال لفضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجدي حفظه الله =

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

القردة والخنازير وعبد الطاغوت [وهذه الآية ردُّ على اليهود ؛ الذين فضّلوا المشركين على أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى : [ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً] وسياق هذه الآية في ضمن الآيات التي ردُّ الله بها على اليهود في زعمهم أنّ المشركين أهدى من المؤمنين الموحدين فقال الله عز وجل لهم راداً عليهم ، ومبيناً ما هم عليه من الكفر ، وما لهم عند الله من العقوبة : [قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت] وهم أنتم الذين لعنكم الله ، وجعل منكم القردة ، والخنازير ، وكان منكم من عبد الطاغوت ، فهذه حقيقتكم يا أيها اليهود الضالون ؛ البعيدون عن مواطن رضى الله عز وجل .
والتعبير بالمشوبة هنا المقصود بها الجزاء ، والجزاء من جنس العمل ، ولما كانت أعمالهم أعمال كفرٍ ، وفسقٍ ، وموجبات لغضب الله عز وجل ؛ لذلك فإنَّ الله قد عاقبهم في الدنيا باللعن والغضب ، ومسح بعضهم قردةً ، وخنازير ؛ بسبب ما هم عليه من الكفر ، والخبث ، والبغض لعباد الله الموحدين .

أمّا في الآخرة فعاقبتهم عاقبة كل كافر عبد الطاغوت في الدنيا بدلاً من عبادة الله عز وجل فكيف تدمون المؤمنين ، وأنتم شرُّ خليفة الله ، فلکم الجزاء السيئ عند الله تعالى بسبب ما قدمتم من الأعمال القبيحة ، والله أعلم .

وقول الله تعالى : [قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنَّ عليهم مسجداً] المقصود بالذين غلبوا هم أصحاب الكلمة ، والنفوذ .

وهل هم المؤمنون أم الكافرون ؟ الظاهر أنّهم الكافرون ؛ لأنَّ اتخاذ المساجد على القبور من طبيعة الكافرين ، وطريقتهم في كل زمانٍ ومكان ، فالذين صمموا على اتخاذ المسجد عليهم الأقرب أنّهم الكافرون ؛ لأنَّ الإسلام ذم الذين يتخذون القبور مساجد ، والله تعالى أعلم .

= وكتابه الآخر الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول ، والأجوبة السديدة على الأسئلة الرشيدة لفضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد المدخلي حفظه الله وكتابه الآخر الإرهاب وأثره على الأفراد والأمم ، وكتاب جماعة واحدة لاجتماعات وصراط واحد لأعشرات لفضيلة الشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ، وكتابه منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل وغيرها من كتب السلفيين وهي كثيرة والله الحمد ، واحذر من كتب أهل الغي والضلال حفظنا الله وإياك وسائر المسلمين من البدع والمحدثات ، وأمانتنا جميعاً على النهج القويم ، والصراط المستقيم آمين يا رب العالمين .

ثم أورد حديث أبي سعيد **ر** أنّ رسول الله **ر** قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن » . يؤخذ من هذا الحديث :

١- السنن جمع سنة ، والسنة هي الطريقة .
٢- أنّ هذه الأمة ستأخذ ما أخذته القرون قبلها ، وسيتبعون سنن أهل الكتاب ، وطرائقهم وقد جاء في الحديث : « ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ؛ حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ؛ قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي » .^(١)

٣- قوله : « حذو القذة بالقذة » القذة هي الخطة التي تفصل بين السنين كما في أسنان المنجل وهو الذي تقطع به الأعشاب ، فكل سنين بينهما فاصل تلك هي القذة .
٤- قوله : « حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه » يعني أنّ جحر الضب متعرج ، فلو أنهم دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

ولمسلم عن ثوبان **ر** أنّ رسول الله **ر** قال : « إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها..... » الحديث .
من فوائد هذا الحديث : -

١- أنّ الله زوى لنبيه الأرض ، وأتى بها إليه ، فرأى مشارقها ، ومغاربها .
٢- أنّ أمته بلغ ملكها ما زوى له منها .
٣- أنّ النبي **ر** أعطي الكنزين الأحمر ، والأبيض ، وهذان الكنزان هما كنوز كسرى وقيصر والنتين هما الدولتان العظيمتان في ذلك الزمن إحداهما معظم كنوزها الذهب ، والدولة الأخرى معظم كنوزها الفضة .

٤- أنّ النبي **ر** سأل ربه لأمرته : « أن لا يهلكها بسنةٍ بعامةٍ » يعني ألا يجعل القحط عاماً عليهم

١ (الحديث أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في كتاب الإيمان باب افتراق الأمم ، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ٢ / ٩٤٣ برقم الحديث ٥٣٤٣ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأحال إلى المشكاة برقم ١٧١ وشرح الطحاوية برقم ٢٦٣ وقال حديث حسن .

حتى يهلكهم ؛ دعا النبي **p** ربه عز وجل ألا يهلكهم بذلك ، فأعطاه إياه ، ومعنى ذلك أنه إذا وقع الجذب في مواضع ، وقع الخصب في مواضع أخرى ، وإذا وقعت الشدة في مواضع ، وقع الرخاء في مواضع أخرى .

٥- يؤخذ من قوله : « أن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم » دليل ثابت وهو ضمان من الله لأمة محمد **p** أن لا يهلكهم بعدوٍ يستبيح بيضتهم والبيضة هي الأصل وكأن الأصل في موطن هذه الأمة هي أرض الحرمين ، ولهذا جاء في الحديث : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ؛ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » .

٦- يؤخذ من قوله **p** : « وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاءً لا يرد » إلى قوله : « يهلك بعضهم بعضاً » في هذا ضمان من الله بعدم تسليط القحط عليهم أو تسليط العدو عليهم ينتهي بكونه يسبي بعضهم بعضاً ، ويهلك بعضهم بعضاً أو أن المراد أن التسليط سيكون من بعضهم على بعض ، وأن الرب جلّ في علاه قد ضمن لنبيه أن لا يسلط عليهم قحطاً عاماً يهلكهم : « وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم » أي هم اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل الكفرية .

وفي رواية البرقاني في صحيحه وزاد : « وإئتما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ... » الحديث .

وأقول إن الأئمة المضلين من نصبوا أنفسهم للدعوة ؛ وهم قد تركوا التوحيد ، وشرّعوا لأتباعهم التعبد بالبدع ، ومن الأئمة المضلين من شرعوا لطلاب العلم تكفير أمة محمد **p** وولاة الأمر ، والعلماء وهذا كله حاصل ، وإن هؤلاء لمن الأئمة المضلين ؛ الذين يخالفون نهج الشارع بل نهج الرسل جميعاً ، وهو البدء بالتوحيد ؛ والحقيقة أن منهج الإخوان المسلمين ، والسرورية والقطبية ؛ هو أصله متغلغل من منهج جمال الدين الأفغاني ؛ هذا الرجل تحوم حوله شكوك ، فهو يظهر أنه شيعي ، ويظهر والعياذ بالله أنه كان يدعي أشياء ليست له ، ولا هي حقيقة فيه ؛ بل هو اتصل بالماسونية ، وانتظم فيها ، وتلميذه محمد عبده ، فهو الذي جاء بهذه المذاهب المنحرفة فالاعتزال مذهبه الخروج ، فهم والخوارج سواء ؛ لكن أهل الاعتزال لم يصرحوا بالكفر ولكنهم قالوا : إنه في

منزلة بين المنزلتين ، وفي الآخرة يكونون مخلدين في النار ؛ أي أصحاب الكبائر ؛ الناحية الثانية :
يظهر أنه شيعي ؛ لذلك تجد أن الإخوان المسلمين ؛ بل رئيسهم

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يارز بين المسجدين من حديث
ابن عمر رضي الله عنهما ، ولكنه عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين أي في الدنيا لا مسلم ولا كافر .
الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخلق الممجد

والداعية ، والمقرر لهذا المنهج ، والمؤسس له كان يدعو إلى التقارب بين أهل السنة والشيعة ؛ مع
ما عند الشيعة من أمور فضيعة والعياذ بالله ، ونسأل الله العفو والعافية ؛ من ذلك زعمهم أن
جبريل كانت الرسالة إلى علي بن أبي طالب **ط** فأخطأ فيها ، ووضعها على محمد **ط** ومن ذلك
زعمهم في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهما أغتصبان ، وتكفيرهم للصحابة ، وما أشبه ذلك .
فالمهم أن هذه العقيدة متغلغلة من هناك ، ونسأل الله العفو والعافية .

٧- يؤخذ من قوله **ط** : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حيي من أمي بالمشركين » ما أكثر من لحق
بالمشركين ، والملاحدين في هذا الزمن ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

٨- يؤخذ من قوله : « حتى تعبد فئام من أمي الأوثان » أن عبادة الأوثان في بلدان المسلمين كثيرة
، فكم من أوثان في بلدان المسلمين ، ففي مصر قبر البدوي ، والحسين ، والسيدة زينب وغيرهم ،
وفي اليمن ابن علوان ، وغيره ، وفي بلدان آخر كل بلد فيها مشهد يعبد من دون الله ما عدا
السعودية ، والحمد لله ، فهذه المشاهد هي تعتبر أوثاناً لأنهم عبدت من دون الله عز وجل وهي
معتبرة طواغيت كذلك .

٩- يؤخذ من قوله : « وأنه سيكون في أمي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين
لأنبي بعدي » قد وقع في زمن النبي **ط** اثنان من الرجال ادعيا النبوة ، وهما : الأسود العنسي ،
ومسيلمة الكذاب ، وكليهما قد قتلا ، والحمد لله ، وامرأة يقال لها سجاح ادعت النبوة أيضاً ، ثم
أثما تاب ، ومن تتبع التاريخ ، فسيجد الشيء الكثير من هذا .

١٠- قوله : « ولا تزال طائفة من أمي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله
تبارك وتعالى » هذه الطائفة قد قال أهل العلم أنهم أهل الحديث ؛ أصحاب المنهج السلفي وبالله
التوفيق .

١) يعني للخلافة .
٢) أي منهج الإخوان ، والسرورية ، والقبطية متغلغل من عقيدة جمال الدين الذي تأثر بعقيدة الماسونية ، والتشيع أو بمعنى أصح عقيدة الروافض أعادنا الله وإياكم من فتن الشهوات والشبهات ؛ وثبتنا وإياكم على السنة ، ومنهج سلف الأمة .

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

(٢٣) باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : [ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من

خلاق] [البقرة : ١٠٢] .

وقوله : [يؤمنون بالجبت والطاغوت] [النساء : ٥١] قال عمر : " الجبت

السحر ، والطاغوت الشيطان " .

وقال جابر : " الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل

حي واحد " .

وعن أبي هريرة ر أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ؛

قالوا يا رسول الله : وما هن ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل

(٢)

النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولي

يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وعن جندب مرفوعاً : « حد الساحر ضربة بالسيف » رواه الترمذي ، (٣)

وقال : الصحيح أنه موقوف .

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن

(٤)

الخطاب : أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر " .

- (١) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب قول الله تعالى : [وإن كنتم مرضى أو على سفر ...] .
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوصايا باب قول الله تعالى : [إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً] وفي كتاب الحدود باب رمي المحصنات ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها .
(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الحدود باب ما جاء في الساحر ، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الحدود في ج ٤ / ٤٠١ برقم الحديث ٨٠٧٣ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ، والبيهقي في السنن في ج ٨ / ١٣٦ برقم الحديث ١٦٢٧٧ باب تكفير الساحر وقتله ، والدارقطني في السنن في ج ٣ / ١١٤ برقم ١١٢ والطبراني في المعجم الكبير في ج ٢ / ١٦١ برقم ١١٦٦٥ وقد ضعف الإمام الألباني رحمه الله هذا الحديث في السلسلة الضعيفة برقم ١٤٤٦ .
(٤) هذا الأثر بهذا اللفظ لم أجده في صحيح الإمام البخاري وإنما وجدته في غيره من كتب السنن والمسانيد ، فقد أخرجه بهذا اللفظ صاحب الاستذكار في ج ٨ / ١٦١ ومصنف ابن أبي شيبة في ج ٥ / ٥٦٢ برقم ٢٨٩٨٢ وفي مسند الشافعي في ج ١ / ٣٨٣ برقم الحديث ١٧٦١ والبيهقي في السنن الكبرى ج ٨ / ١٣٦ برقم ١٦٢٧٥ باب تكفير الساحر وقتله ، وأخرج الحديث بنحوه الإمام أبو داود في سننه في ج ٣ / ١٦٨ برقم ٣٠٤٣ باب في أخذ الجزية من المجوس ، والبيهقي أيضاً في السنن في ج ٨ / ٢٤٧ برقم ١٦٨٩٩ باب ما جاء في حد الذميين ، والدارقطني في ج ٢ / ١٥٤ الحديث الأول باب في جزية المجوس ، والإمام أحمد في ج ١ / ١٩٠ برقم ١٦٥٧ ، وفي مسند أبي يعلى في ج ٢ / ١٦٦ رقم ٨٦٠ ، ومصنف عبد الرزاق في ج ٦ / ٤٩ رقم ٩٩٧٢ وفي ج ١٠ / ١٧٩ رقم ١٨٧٤٥ باب قتل الساحر وفي ج ١٠ / ٣٦٧ رقم ١٩٣٩٠ ، ومصنف ابن أبي شيبة ج ٦ / ٤٣٠ رقم ٣٢٦٥٢ ، وفي فتح الباري ج ٦ / ٣٦١ وفي ج ١٠ / ٢٣٦ قوله باب السحر برقم الحديث ٥٤٣٣ .

وصح عن حفصة رضي الله عنها : أئها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ،

(٢)

فقتلت ، وكذلك صح عن عند جندب ؛ قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب

النبي ﷺ .

الشرح : السحر حقٌّ بمعنى وقوعه حق ؛ قال شيخنا حافظ بن أحمد الحكمي :

والسحر حقٌّ وله تأثير لكن بما قدره القدير

أعني بهذا التقدير ما قد قدره في الكون لا في الشرعة المطهرة

فالسحر مما قدره الله كوناً ، ومنعه شرعاً ؛ كما أنَّ الله قد قدر الكفر كوناً ، ومنعه شرعاً ؛ وهو

ينقسم إلى قسمين :

١ - قسمٌ يقال له سحر التخييل

٢- وقسمٌ يقال له سحر التأثير .

فمن سحر التخيل ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن سحرة فرعون حين قال : [قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى] قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى [طه : ٦٥ ، ٦٦] .

وأما سحر التأثير فهو كثيرٌ أيضاً ، وأنواعه متعددة :

فمنه حبس الرجل عن امرأته ، وتأخيره عنها حتى لا يشتهيها أو لا يتحرك إليها ؛ قال الله عز وجل : [فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحدٍ إلاّ بإذن الله] [البقرة : ١٠٢] .

ومنه أيضاً أي من سحر التأثير ما يحصل لكثيرٍ من الناس ، ومن ذلك ما حصل للنبي ﷺ حين سحره لبيد بن الأعصم اليهودي عليه لعنة الله فرقاه جبريل بالمعوذتين ، وأخبره بمكان السحر فأرسل إليه ، وأتى به .^(٣)

(١) الأثر أخرجه الإمام البيهقي في سننه في ج ٨ / ١٣٦ برقم الحديث ١٦٢٧٦ والشافعي في مسنده ج ١ / ٣٨٣ برقم ١٧٦١ والطبراني في المعجم الكبير في ج ٢٣ / ١٨٧ برقم ٣٠٣ والإمام مالك في الموطأ في ج ٢ / ٨٧١ برقم ١٥٦٢ وعبد الرزاق في مصنفه في ج ١٠ / ١٨٠ رقم ١٨٧٤٧ وابن أبي شيبه في ج ٥ / ٤٥٣ رقم ٢٧٩١٢ وفي ج ٥ / ٥٦١ رقم ٢٨٩٨٠ وفي تحفة الأحوذ في ج ٤ / ٥٩٧ .

(٢) الأثر أخرجه الإمام البخاري في التاريخ الكبير في ج ٢ / ٢٢٢ برقم الحديث ٢٢٦٨ قال الدكتور الوليد آل فريان على تحقيقه لهذا الأثر : " قال الذهبي في تاريخ الإسلام (٣ / ٣) : إسناده صحيح " وقد أخرج الأثر أيضاً في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة في ج ١ / ٥١٢ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ، وفي كتاب الطب باب السحر ، وفي كتاب الأدب باب قول الله تعالى : [إن الله يأمر بالعدل والإحسان] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب السحر من حديث عائشة رضي الله عنها .

والمهم أن السحر كفرٌ قال الله تعالى : [واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولوا إنا نحن فتنّة فلا تكفر] فقد أخبر الله عز وجل أن الشياطين كفروا بتعليمهم السحر للناس ، وافترأهم على سليمان بأنه هو الذي كفر .

ثانياً : بإخبار الله عن الملكين أنهما ما يعلمان من أحدٍ حتى يقولوا إنا نحن فتنّة فلا تكفر .

ثالثاً : يؤخذ من قوله : [ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق] أي من استبدله عن الإيمان فإنه لا خلاق له في الآخرة ؛ أي لا نصيب له من السعادة ، ولا من الجنة .

وقوله : [يؤمنون بالجبت والطاغوت] [النساء : ٥١] قال عمر : " الجبت

السحر ، والطاغوت الشيطان وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل

عليهم الشيطان في كل حي واحد " .

وأقول : أن من استقرأ أحوال الجاهلية ، وما كانوا عليه في جاهليتهم يعرف ذلك جيداً فالطواغيت كهان تنزل عليهم الشياطين في كل حيٍّ واحد يفزعون إليه ، فيأتيهم بأسجاع ربما يكون فيها الكلمة التي تسمع من الملائكة ، ولهذا فإنهم منعوا حين بعث النبي ﷺ عن الاستماع قال الله عز وجل عنهم : [وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً & وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً & وأنا لاندري أشراً أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً] [الجن : ٨ - ١٠] .

ومن هذه الآيات يتبين لنا أمور : -

- ١ - أنهم كانوا يقعدون في مقاعد للسمع في السماء من أجل أن يسمعوا كلاماً يغوون به الناس .
- ٢ - أنهم منعوا بعد بعثة النبي ﷺ فلم يقدروا على شيء من الاستماع ، وأن السماء حرسست بالشهب ؛ التي ترمي الشياطين ، فتحرقهم .
- ٣ - يؤخذ منه أن الجن لا يعلمون شيئاً من الغيب ، ولهذا قالوا : [وأنا لاندري أشراً أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً] .
- ٤ - أن الشياطين تؤمن بربها ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، وهكذا الكفار من الإنس يؤمنون بربهم ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، والطاغوت مشتق من الطغيان ، والظاهر أن التاء للتكثير أي لوقوعهم في الطغيان كثيراً ، والطغيان هو الزيادة في الشيء التي تخرج به عن حده .

ثم أورد حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ؛ قالوا يا رسول الله : وما هن ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ... » الحديث ، والسحر قد تقدم الكلام عليه .

ثمَّ أورد حديث جندب مرفوعاً : « حد الساحر ضربه بالسيف » أو قال : « ضربه بالسيف » .

وجندب هذا هو جندب الخير الذي وقف على ساحر ؛ وهو يزعم بأنه يقطع رأس الغلام ويرده ، فذهب جندب فاشتعل على سيفه ، ثمَّ أتى فلما ذهب يلعب ضرب رأسه بالسيف فسقط فقال : إن كان صادقاً فليرد رأسه ، وقال : حد الساحر ضربة بالسيف .^(١)

وقال : " وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن

الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ؛ قال : فقتلنا ثلاث

سواحر ، وصح عن حفصة رضي الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ، فقتلت " .

وأقول : في هذه الآثار ما يدل على كفر الساحر ، وأنَّ حدَّه ضربةً بالسيف ؛ سواء كان رجلاً أو امرأة .

ويؤخذ من هذه الآثار : أنه يستتاب ، ويقتل .^(٢)

ويؤخذ منه : وجود السحر في المسلمين في زمن عمر بن الخطاب ؓ فكيف بزمنا هذا ، علماً بأنَّ وجوده في زمن عمر كان من بقايا الجاهلية فيما نطُنُّ ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث سبق تخريجه في أول الباب .

٢ (قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد عند قوله : " كتب إلينا عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة " وظاهره أنه يقتل من غير استتابة وهو كذلك على المشهور عن أحمد ، وبه قال مالك ؛ لأنَّ علم الساحر لا يزول بالتوبة ، وعن أحمد يستتاب فإن تاب قبلت توبته ، وبه قال الشافعي ؛ لأنَّ ذنبه لا يزيد عن الشرك ، والمشرِك يستتاب ، وتقبل توبته ، ولذلك صحَّ إيمان سحرة فرعون وتوبتهم " اهـ ثمَّ قال الدكتور الوليد بن عبد الرحمن على تحقيقه لكتاب فتح المجيد عند هذا الموضع : " ينظر : أبو يعلى الروائين (٣٠٣ / ٢) ابن قدامة المغني (٣٠٣ / ١٢) وابن كثير التفسير (٢٦٠ / ١) " اهـ .

(٢٤) باب بيان شيءٍ من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف حدثنا حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي **ﷺ** قال : « إِنَّ العيافة والطَّرق والطَّيرة من الجبت » قال عوف : العيافة : زجر الطير والطرق : الخط يخط في الأرض ، والجبت : قال الحسن : رنة الشيطان . إسناده جيد ، ولأبي داود والنسائي ، وابن حبان في صحيحه المسند منه .^(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله **ﷺ** : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد » رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح .

وللنسائي من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** : « من عقد عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه » .
وعن ابن مسعود **رضي الله عنه** أن رسول الله **ﷺ** قال : « ألا أنبئكم ما الغضنه ؟ هي النميمة : القالة بين الناس » رواه مسلم .
ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله **ﷺ** قال : « إِنَّ من البيان لسحراً » .^(٢)

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه في ج ١٣ / ٥٠٢ برقم ٦١٣١ وأبو داود في ج ٤ / ١٦ برقم ٣٩٠٧ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٨ / ١٣٩ برقم ١٦٢٩٢ وأبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار في ج ٤ / ٣١٢ برقم ٦٥٨٠ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده في ج ٣ / ٤٧٧ برقم ١٥٩٥٦ وفي ج ٥ / ٦٠ برقم ٢٠٦٢٣ والطبراني في المعجم الكبير في ج ١٨ / ٣٦٩ برقم ٩٤٤ وعبد الرزاق في مصنفه في ج ١٠ / ٤٠٣ برقم ١٩٥٠٢ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٥ / ٣١١ برقم ٢٦٤٠٣ والإصابة في تمييز الصحابة في ج ٥ / ٥٤٦ برقم ٧٣٣٤ وتاريخ بغداد في ج ١٠ / ٤٢٤ برقم ٥٥٨٣ .
(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في ج ٤ / ١٥ برقم الحديث ٣٩٠٥ والإمام ابن ماجه في ج ٢ / ١٢٢٨ برقم ٣٧٢٦ والإمام البيهقي في السنن الكبرى في ج ٢ / ١٣٨ برقم ١٦٢٩٠ والإمام أحمد في ج ١ / ٢٧٧ برقم ٢٠٠٠ وفي ج ١ / ٣١١ برقم ٢٨٤١ والإمام ابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٥ / ٢٣٩ برقم ٢٥٦٤٦ وقد صحح هذا الحديث الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج ٢ / ١٠٤٩ برقم ٦٠٧٥ وأشار إلى صحته في السلسلة الصحيحة برقم ٧٩٣ .
(٣) الحديث أخرجه النسائي في المجتبى في ج ٧ / ١١٢ برقم الحديث ٤٠٧٩ وفي السنن الكبرى للبيهقي في ج ٢ / ٣٠٧ برقم الحديث ٣٥٤٢ قال الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع ص ٨٢٢ برقم الحديث ٥٧٠٢ ضعيف وأشار إلى ضعفه في الترغيب في ج ٤ / ٥١ .
(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم النميمة .
(٥) أخرجه الإمام البخاري في كتاب النكاح باب الخطبة من حديث ابن عمر ، وفي كتاب الطب باب وإن من البيان لسحرا ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

الشرح : العيافة : هي زجر الطير ، وذلك أنَّ أهل الجاهلية كان فيهم قومٌ يستعملون العيافة بمعنى يقولون : إن جاءك الطير من جهة اليمين ليسار فهو كذا أو من جهة اليسار لليمين فهو كذا أو جاءك مواجهاً لك فهو الناطح ، ويترتب عليه كذا أو جاءك من الخلف فهو يترتب عليه كذا ، ويدعون في هذه العيافة أشياء من علم الغيب ، ويزعمون أنَّها تتحقق ، فلذلك هو يعتبر من الجبت أي من أنواع السحر .

وكذلك الطرق بالخصى أو البن بحيث يدعي هذا الطارق أنَّ فلاناً الغائب حاله كذا ، وأنَّه سيأتي في يوم كذا أو ما أشبه ذلك من الإخبار عن المغيبات .

والخط في الأرض هو ما يسمَّى بخط الرَّمْل ، وقد جاء في الحديث : « كان نبي يخط ، فمن وافق خطُّه فذلك » أي خط ذلك النبي فإنَّه يعني جائزٌ ؛ أي ليس بمحرم .

وأقول : أمَّا تفسير الطُّرق بالخط في الأرض كما في الأثر ؛ فهذا فيه نظر ، والصحيح أنَّ الخط هو ما قلنا .

والجبت قال الحسن : رنة الشيطان .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد » رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح .
يعني أنَّه يزداد في السحر كلما ازداد من علم النجوم .

وللنسائي من حديث أبي هريرة ؓ : « من عقد عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه » لماذا يكون الساحر مشركاً ؟ لأنَّه يعتمد في سحره على الأرواح الشيطانية الخبيثة ، ويستعين بها ، فلذلك يكون مشركاً لأنَّه لا يتم له ذلك إلَّا بما ذكر .

قوله : عن ابن مسعود ؓ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم ما العَضَنُ ؟ هي النميمة : القالة بين الناس » رواه مسلم .

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة في باب تحريم الكلام في الصلاة ، وفي كتاب السلام باب تحريم الكهانة من حديث معاوية بن الحكم ؓ .

سميت النميمة عضهاً من العَضَن وهو البهتان والكذب ولكونها يترتب عليها إفساد القلوب إفساداً عظيماً ؛ وهي تفسد القلوب كإفساد السحر أو أشد ، والنميمة هي نقل الكلام على جهة

الإفساد ، فمن نقل كلاماً من رجلٍ إلى آخر بقصد الإفساد ؛ فهو داخلٌ في هذا الحديث ويترتب عليه ما يترتب على السحر من الأذى ، وانقطاع المودة ، وملاً القلوب بالضغينة والإحن ؛ حتى يكاد الرجل يتفجر من الغيظ على أخيه ، وهذا إفسادٌ عظيم يترتب عليه من المفسدة ، وما يترتب على السحر أو أشد .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله **ﷺ** قال : « إنّ من البيان لسحراً » .

البيان هو السحر الحلال ، وذلك أنّ الشخص إذا كان عنده لسنٌ ، وفصاحة ، وقوة في تنميق الكلام ، وتزيينه ؛ فإنّه يؤثر في القلوب بالإقناع ، وكان سبب هذا الحديث أنّ رجلاً ذمّ رجلاً من تميم ، ثمّ مدحه ، فقال له النبي **ﷺ** في ذلك ، فقال : غضبت فقلت أقبح ما علمت ، ورضيت فقلت أحسن ما وجدت^(١) ، فقال النبي **ﷺ** : « إنّ من البيان لسحراً » فالبيان سبّ سحراً ؛ لأنّ فيه قوة على تحويل القلوب ، وإدخال الإقناع فيها ؛ وهو سحر مباح إن شاء الله ، ولكن أحياناً يكون فيه ظلم ؛ حينما يكون المبطل أكثر فصاحةً من الحق ، فيزوق باطله بفصاحته ولّسنه حتى يكون هو الناجح عند الحاكم ، وأمثاله وقد أشار النبي **ﷺ** إلى ذلك بقوله : « إنّما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »^(٢) وبالله التوفيق .

١ (الحديث سبق تخريجه في الصفحة السابقة ، وأمّا ذكر سبب ورود الحديث فهو عند الحاكم في المستدرک على الصحيحين ج ٣ / ٧١٠ برقم الحديث ٦٥٦٨ وبنحوه في المعجم الأوسط للطبراني ج ٧ / ٣٤١ برقم الحديث ٧٦٧١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

٢ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحيل من صحيحه باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت ففضي بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها فهي له ويرد القيمة ولا تكون القيمة ثمناً ، وفي كتاب الشهادات باب من أقام البينة بعد اليمين ، وفي كتاب الأحكام باب موعظة الإمام للخصوم ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(٢٥) باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلمٌ في صحيحه عن بعض أزواج النبي **ﷺ** عن النبي **ﷺ** قال : « من أتى عزّافاً فسأله عن شيءٍ فصدّقه بما يقول لم تقبل له صلاةٌ أربعين يوماً » .

وعن أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النبي **ﷺ** قال : « من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد **ﷺ** » رواه أبو داود . وللأربعة ، والحاكم ؛ وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة **رضي الله عنه** : « من أتى عزّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد **ﷺ** » .

ولأبي يعلى بسندٍ جيد عن ابن مسعودٍ مثله موقوفاً . وعن عمران بن حصين **رضي الله عنه** مرفوعاً : « ليس منا من تطير أو تطير له ؛ أو تكهن أو تكهن له ؛ أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد **ﷺ** » رواه البزار بإسنادٍ جيد .

ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادٍ حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومن أتى كاهناً » إلى آخره .

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان دون قوله : " فصدّقه بما يقول قال محققا القول المفيد : " وأخرج هذه الزيادة الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٦٨ ، ٥ / ٣٨٠ هـ .
٢ (الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک في ج ١ / ٤٩ رقم الحديث ٤٩ وأحمد في ج ٢ / ٢٩٩ رقم ٩٥٣٢ وفي ج ٢ / ٦٨ رقم ١٦٦٨٩ وابن ماجه في ج ١ / ٢٠٩ رقم ٦٣٩ وأبو داود في ج ٤ / ٢٢٥ في كتاب الطب باب الكاهن والترمذي في ج ١ / ١٦٤ في كتاب الظهارة باب كراهية إتيان الحائض بنحوه ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في ج ٨ / ١٣٥ برقم ١٦٢٧٣ وفي مسند إسحاق بن راهوية في ج ١ / ٤٣٤ رقم ٥٠٣ والطبراني في المعجم الكبير في ج ١ / ٧٦ برقم ١٠٠٠٥ وفي المعجم الأوسط في ج ٢ / ١٢٢ برقم ١٤٥٣ وفي مسند ابن الجعد في ج ١ / ٧٧ برقم ٤٢٥ وفي ج ١ / ٢٨٧ برقم ١٩٤١ وفي مسند الطيالسي في ج ١ / ٥٠ برقم ٣٨٢ وأخرجه أبو يعلى في مسنده موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه في ج ٩ / ٢٨٠ برقم الحديث ٥٤٠٨ وكلا من الرواية الواردة في المتن ورواية : " من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول أو أتى امرأة حائضاً أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد " صححهما الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج ٢ / ١٠٣١ برقم الحديث ٥٩٣٩ و ٥٩٤٢ وأشار إليها في المشكاة برقم ٤٥٥٩ و ٥٥١ والارواء برقم ٢٠٠٦ وشرح العقيدة الطحاوية برقم ٧٦٨ وآداب الزفاف ص ٣١ .
٣ (الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير في ج ١٨ / ١٦٢ برقم الحديث ٣٥٥ وفي المعجم الأوسط في ج ٤ / ٣٠٢ وفي ج ٥ / ١١٨ برقم ٤٨٤٤ وفي مصنف عبد الرزاق في ج ١١ / ٢١١ برقم الحديث ٢٠٣٥٠ وقال محققا القول المفيد : " أخرجه البزار كما في الترغيب ٤ / ٣٣ ومجمع الزوائد للهيتمي ٥ / ١١٧ =

قال البغوي : العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل : هو الكاهن ، والكاهن الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل : الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية : العراف : اسم للكاهن ، والمنجم ، والرمال ، ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .
وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد ، وينظرون في النجوم : « ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق » .

الشرح : أقول لقد تواترت الأحاديث الصحيحة على أن من أتى إلى عراف أو كاهن أو منجم يسأله عن شيء من علم الغيب ، فصدقه بما يقول ، فإنه يعتبر قد كفر بما أنزل على محمد **ﷺ** ذلك لأن كتاب الله يدل على انفراد الله بالمغيبات ؛ قال الله عز وجل : [إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير] [لقمان : ٣٤] وقال النبي **ﷺ** في حديث ابن المنفق الذي رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ، ونقله عنه ابن القيم في الهدى النبوي : « خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلى هذه الآية : [إن الله عنده علم الساعة ...] الآية ، فمن أتى إلى كاهن أو عراف أو منجم فسأله عن شيء من علم الغيب ، وصدقه بكذبه ، وادعائه بعلم المغيبات ؛ فإنه قد كفر بهذه الآيات ، ولم يؤمن بها ؛ إذ أن مقتضى الإيمان بذلك يمنع من إتيان الكهان ، وسؤالهم فضلاً عن تصديقهم .

= وقال المنذري : " إسناده جيد " وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة " اهـ وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج ٢ / ٩٥٦ برقم الحديث ٥٤٣٥ صحيح وأشار إلى صحته في الترغيب / ٥٢ والصحيحة برقم ٢١٩٥ .

١) انظر البغوي في شرح السنة في ج ١٢ / ١٨٢٣ .
٢) انظر في مجموع الفتاوى لابن تيمية في ج ٣٥ / ١٧٣ .
٣) الأثر أخرجه عبد الرزاق في باب الشهادة في ج ١١ / ٢٦ برقم ١٩٨٥ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج ٥ / ٢٤٠ برقم ٢٥٦٤٨ .

٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في أول كتاب الإيمان ، وأخرج نحوه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله : [إن الله عنده علم الساعة] .

الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجد

وقد ذكر بعض أهل العلم جمعاً بين هذه الأحاديث أن من أتاه يعني الكاهن ، فلم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً ، ولأن هذا عقوبة له على إتيان الكهان .

أما من أتاه فصدقه فإنه يعتبر قد كفر بما أنزل على محمد **ﷺ** وهذا فيه تحذير من إتيان الكهان والاستماع إلى أقوالهم ، والتصديق لأكاذيبهم ؛ علماً بأن ذلك لا يحصل إلا من ضعف إيمانه وبقينه

وقد جاء في حديث أبي هريرة **٢** في صفة ركوب الشياطين بعضهم لبعض ، واستراقهم للسمع بحيث يسمعون كلام الملائكة بينهم مع بعضهم بعضا ، فإذا ظفر الشيطان بكلمة واحدة ألقاها إلى من تحته ، والذي تحته يلقيها إلى من تحته ؛ حتى يلقيها الآخر على لسان الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبه ، فإذا وقع تصديق الكلمة التي سمعت من الملائكة قالوا ألم يقل لكم يوم كذا وكذا ؛ كذا وكذا ، فصدقوه بتلك الكلمة .

فحذار حذار من تصديق هؤلاء سواء كانوا منجمين أو سحرة أو كهنة ، وقد جاء في الحديث : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد »^(٢) وقد قال ابن عباس في الأثر الأخير في قوم يكتبون أبا جاد ، وينظرون في النجوم : « ما أرى من فعل ذلك له عند الله من

خلاق » وهذا القول جاء على ما ورد في الآية التي أخبر الله فيها عن السحر ، والسحرة ، وقال في خاتمها : [ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق] [البقرة : ١٠٣] أي ليس له حظ ولا نصيب ، وذلك أن المنجمين يقولون إذا اقترن النجم الفلاني بالقمر حصل كذا ، وإذا اقترن النجم الفلاني بالقمر حصل كذا ، وهذا ادعاء لعلم الغيب ، وإضلال لخلق الله ، وإيهام لهم بصحة ما ادعوه ؛ نعوذ بالله من ذلك ، ومن يمتحن ذلك .

ملحوظة : قوله : « يكتبون أبا جاد » أبا جاد كلمات حوت حروفاً ؛ وهي الحروف الثمانية والعشرين ، فجعلوا لكل حرف رقماً ، فالألف مثلاً واحد ، والباء اثنين ، والجيم ثلاثة ، فإذا وصلوا إلى عشرة عدوا بالعشرات ، فجعلوا الذي بعد العشرة عشرين إلى أن يصلوا إلى المائة فإذا وصلوا إلى المائة عدوا بالمائة إلى الألف هذا معنى قوله : « يكتبون أبا جاد » واستعمال هذه

١ (الحديث سبق تخريجه في باب قول الله تعالى : [حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم] .
٢ (الحديث أيضاً سبق تخريجه في باب بيان شيء من أنواع السحر .

الحروف بهذه الصفة هو استعمال المنجمين وينبغي للمسلم أن يكون بعيداً عن مثل هذه الأمور بل يجب أن يمقتها ، ويمقت أصحابها ، وبالله التوفيق .

(٢٦) باب ما جاء في النشرة

عن جابر ٢ أنّ رسول الله ﷺ سئل عن النشرة ؟ فقال : « هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسندٍ جيد ، وأبو داود ، وقال سئل أحمد عنها ؟ فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجلٌ به طب أو يؤخّذ عن امرأته ؛ أيحل عنه أو ينشتر ؟ قال : لا بأس به إنّما يريدون به الإصلاح ؛ فأما ما ينفع فلم ينع عنه .

وروي عن الحسن أنّه قال : لا يحل السحر إلاّ ساحر .

قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور وهي نوعان :

أحدهما : حل بسحرٍ مثله ؛ وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

الشرح : تعريف النشرة : هي حل السحر عن المسحور ، وقد اختلفت أقوال السلف فيها فعن جابر **ر** أن رسول الله **ص** سئل عن النشرة ؟ فقال : « هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسندٍ جيد ، وأبو داود ... الخ ، فكلام السلف مختلفٌ كما ترى منهم من أباح النشرة ، ومنهم من منعها ، فيحمل قول من أباحها على جواز التشير عنه بالأدوية ، والرقى ، والدعوات ويحمل قول من منع على التشير بالسحر ، ولهذا قال الحسن البصري : « لا يحل السحر إلاً ساحر » فهذه هي الخلاصة كما قال ابن القيم ؛ إن كانت بالسحر فهي غير جائزة وإن كانت بالدعوات ، والرقى ، والأدوية فهي جائزة ، وبالله التوفيق .

- ١ (الحديث أخرجه أبو داود في سننه في باب النشرة في ج ٤ / ٦ برقم الحديث ٣٨٦٨ وفي سنن البيهقي في ج ٩ / ٣٥١ برقم ١٩٣٩٧ وأحمد في مسنده في ج ٣ / ٢٩٤ برقم الحديث ١٤١٦٧ قال الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود في ج ٢ / ٤٦٤ صحيح وقال انظر إلى المشكاة برقم الحديث ٤٥٥٣ .
- ٢ (انظر الآداب الشرعية لابن مفلح في ج ٣ / ٦٣ فصل في النشرة .
- ٣ (أخرجه البخاري في الصحيح تعليقا بصيغة الجزم في كتاب الطب باب هل يستخرج السحر ، وقال الشيخ الوليد آل فريان : " ووصله ابن جرير الطبري في التهذيب ، والأثرم في السنن كما في تعليق التعليق ٥ / ٤٩ بإسناد صحيح " اهـ .
- ٤ (وقال أيضاً : " أخرجه ابن جرير الطبري في التهذيب كما في فتح الباري ١٠ / ٢٣٣ " .
- ٥ (قال الدكتور آل فريان : " انظر ابن القيم في زاد المعاد ٤ / ١٢٤ ، ١٨١ وابن مفلح في الآداب الشرعية ٣ / ٩٨ " اهـ قلت : وجدته بمعناه لا ينصه .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق المعبود

(٢٧) باب ما جاء في التطير

وقول الله عز وجل : [ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون] [الأعراف : ١٣١] وقوله : [قالوا طائركم معكم أئن ذكرت بل أنتم قومٌ مسرفون] [يس : ١٩] .

وعن أبي هريرة **ر** أن رسول الله **ص** قال : « لاعدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » أخرجاه وزاد مسلم : « ولانوء ، ولا غول » .
ولهما عن أنس قال قال رسول الله **ص** : « لاعدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل » قالوا وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة .

ولأبي داود بسندٍ صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله **ص** فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت

ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك .
وعن ابن مسعود مرفوعاً : « الطيرة شرك الطيرة شرك ، وما منّا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل » رواه أبو داود والترمذي وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود .
ولأحمد من حديث ابن عمرو : « من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » قالوا : فما كفارة ذلك ؟

- ١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الطب باب لاهامة ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب لاعدوى ولاطيرة .
- ٢ (أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب لاعدوى ولاطيرة ؛ فزيادة رواية : " ولا نوع " جاءت من رواية أبي هريرة ، وزيادة : " ولا غول " جاءت من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
- ٣ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الطب باب الفأل ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام باب الطيرة والفأل من حديث أنس ^٢ .
- ٤ (الحديث أخرجه الإمام أبو داود في ج ٤ / ١٨ برقم الحديث ٣٩١٩ والإمام البيهقي في السنن الكبرى في ج ٨ / ١٣٩ برقم ١٦٢٩٨ وقد ضعف هذا الحديث الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع ص ٣٠ برقم الحديث ١٩٩ وأشار إلى ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم الحديث ١٦١٩ .
- ٥ (الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج ١٣ / ٩١ برقم الحديث ٦١٢٢ والحاكم في المستدرک في ج ١ / ٦٤ برقم ٤٣ وفي سنن أبي داود في ج ٤ / ١٧ رقم ٣٩١٠ والترمذي في ج ٤ / ١٦٠ رقم ١٦١٤ وابن ماجه في ج ٢ / ١١٧٠ رقم ٣٥٣٨ والبيهقي في سننه في ج ٨ / ١٣٩ رقم ١٦٢٩٤ وشرح معاني الآثار في ج ٤ / ٣١٢ رقم ٦٥٦٨ ومسند أحمد في ج ١ / ٣٨٩ رقم ٣٦٨٧ وفي ج ١ / ٤٣٨ رقم ٤١٧١ وأبو يعلى في ج ٩ / ٢٦ رقم ٥٠٩٢ وج ٩ / ١٤٠ رقم ٥٢١٩ والطالسي في مسنده ج ١ / ٤٧ رقم ٣٥٦ وابن الجعد في مسنده أيضاً في ج ١ / ٨٦ رقم الحديث ٤٨٨ ومصنف ابن أبي شيبة في ج ٥ / ٣١٠ رقم ٢٦٣٩١ والبخاري في الأدب المفرد في ج ١ / ٣١٣ رقم الحديث ٩٠٩ وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج ٢ / ٧٣٣ برقم الحديث ٣٩٦٠ وأشار إلى صحته في غاية المرام ٣٠٣ وسلسلة

الأحاديث الصحيحة المقصود لتوحيد الخالق المعبود

قال : « أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك .
وله من حديث الفضل بن العباس ^٢ : « إنّما الطيرة ما أمضاك أو ردّك » .
الشرح : أولاً : تعريف الطيرة : الطيرة هي التشاؤم بالطيور ، والأسماء ، والألفاظ ، والبقايا والأزمنة .

ثانياً : حكمها : حكم الطيرة حرام ؛ لأنّ الشرع نهى عن التطير ، وذم المتطيرين .
ثالثاً : هل يستثنى من الطيرة شيء ؟ الجواب : لا يستثنى من الطيرة التي هي التشاؤم لا يستثنى منها شيء ؛ بل كلها حرام ، ومذمومة .
أمّا قوله : « يعجبني الفأل » فالفأل هو التفاؤل بالخير ، ويكون بالكلمة الحسنة أو بالاسم الحسن وقد قال النبي ^٢ لما جاء إليه سهيل بن عمرو يوم الحديبية للمفاوضة والصلح ؛ قال : « لقد سهل لكم من أمركم » وهكذا كان النبي ^٢ تعجبه الكلمة الحسنة ، ويعجبه الاسم الحسن .

رابعاً : قول الله عز وجل : **[ألا إثمًا طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون]**
 الطائر هو ما طار لك ؛ أي ما خرج لك ، وكتب أنه يقع لك أو عليك ؛ لأنَّ الله قد كتب أعمال
 العباد ، وأفعالهم وأقوالهم ، وما هو صائرٌ لهم أو عليهم في اللوح الخفوظ ، والمعنى هنا والله أعلم :
 أنَّ المقصود بذلك ما كتب لهم أو عليهم هو عند الله عز وجل في الذكر الحكيم ، واللوح الخفوظ .
 وقوله عز وجل : **[قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قومٌ مسرفون]**
 أي ما كتب لكم أو عليكم ، وما أصابكم من ذلك فهو بسبب كسبكم : **[أئن ذكرتم]** يعني لما
 دُكرتم ، ووعظتم تطيرتم بالمدكر ، والواعظ : **[بل أنتم قومٌ مسرفون]** .
 وعن أبي هريرة **Ⓣ** أنَّ رسول الله **ﷺ** قال : **« لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر »** أخرجاه وزاد مسلم : **« ولا نوء ، ولا غول »** .

- ١ (الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في ج ٢ / ٢٢٠ برقم الحديث ٧٠٤٥ وفي مصنف ابن أبي شيبة في ج ٥ / ٣١٢ برقم ٢٦٤١١ وفي ج ٦ / ٧٠ برقم ٢٩٥٤٣ وفي ج ٦ / ١١٠ برقم ٢٩٨٧٢ .
 ٢ (الحديث أخرجه الإمام أحمد في ج ١ / ٢١٣ برقم الحديث ١٨٢٤ .
 ٣ (الحديث أخرجه الإمام البخاري باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

قوله : **« لا عدوى »** أي لا عدوى تعدي بنفسها .
 قوله : **« ولا طيرة »** هذا نفي للطيرة الحرمه ؛ أي أنَّ التشاؤم بالطير لا أثر له ؛ أي لا تأثير له سواءً
 أذاك ناطحاً أو بارحاً أو من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين ، فذلك ليس له تأثير في
 القدر ، ووقوع المصائب ، والأحزان ، وإثماً القدر بيد الله هو الذي يجري الأقدار كما يشاء بخير أو
 شر كلها بقدر الله ، فمن اعتقد تأثير الطير المتطير به فقد أشرك ، والواجب عليه أن يتوب إلى الله
 ؛ فهذا نفي للطيرة التي كان أهل الجاهلية يعتقدونها .
 قوله : **« ولا هامة »** الهامة هي ما كان يعتقد أهل الجاهلية أنَّ من قتل ظلماً تتحول نفسه هامة أو
 شيئاً يطالب بالثأر ، فالنص هنا للهامة بمعنى أنَّها شيءٌ كان يتصوره أهل الجاهلية ؛ وهو شيءٌ
 لا حقيقة له ، وقيل أنَّها البومة .
 وكذلك قوله : **« ولا صفر »** فإنَّ أهل الجاهلية كانوا يتشائمون بشهر صفر ، فأخبر النبي **ﷺ** أنَّ
 الشهر لا شؤم فيه ؛ بل هو كسائر الشهور ، وقد كان أناسٌ أيضاً يتشائمون ببعض الأيام كيوم
 الأربعاء من آخر كل شهر ، ويسمون ربيعاً لم يدور ، ويعتقدون فيه أنَّه يوم نحس مستمر ويقولون
 بأنَّ يوم الأربعاء من آخر كل شهر هو اليوم الذي سلط الله فيه الريح على عاد فيتشائمون فيه
 لذلك .

قوله : زاد مسلم : « ولانوء ، ولاغول » يعني أنَّ النوء ليس هو الذي يتخلف عن الإتيان بالمطر أو يأتي به ، ولكنَّ الله هو الذي يأتي به .

الغول : هو ما يترأى للإنسان في ظلمة الليل ويضل المسافرين ، وتارةً يكون مصحوباً بالسعال ، والغول : نوعٌ من الشياطين تقع للمسافر تضلله في الليل ؛ لكن ورد في الحديث : « فإذا تغولت بكم الغيلان فبادروا بالأذان » .^(١)

ولهما عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : « لاعدوى ولاطيرة ويعجبني الفأل » قالوا وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة » ومعنى ذلك لاعدوى تعدي بنفسها ، وليست للطيرة تأثيرٌ في واقع العبد إلاَّ فيما يجد بنفسه ، وقد وردت العدوى في أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء —

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند باقي المكثرين من الصحابة من حديث جابر بن عبد الله برقم الحديث ١٤٦٧٢ ، وقد أشار الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة في ج ٣ / ٢٧٧ برقم الحديث ١١٤٠ إلى ضعف رواية : " إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان " .

فيخالطها البعير الأجرب فيجرها ، فقال رسول الله ﷺ : « فمن أعدى الأول » متفق عليه .
المهم أنَّ هذه الأحاديث التي ورد فيها النهي عن العدوى ، والطيرة ، والهامة ، والصفير هي علاجٌ من الشارع الحكيم ﷺ لما قد تأصل في نفوس المشركين من العقائد السيئة ، فإذا أسلموا بقي شيءٌ من تلك العقائد ، فعالجها الشارع الحكيم ببيان أنَّها اعتقاداتٌ وهمية ، وأنَّها لا تأثير لها بنفسها ، وأنَّها المؤثر هو الله ، فنفي وقوعها استقلالاً ، وأرشد إلى علاجها بقوله : « فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلاَّ أنت ، ولا يدفع السيئات إلاَّ أنت ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بك » .

وفي حديث ابن مسعود : « الطيرة شرك الطيرة شرك ، وما ممَّا إلاَّ ولكن الله يذهبه بالتوكل » فهذا علاجٌ لما يقع في النفوس من التشاؤم ، والخوف من المستقبل ، فإذا وجد الإنسان في نفسه فليقل : « اللهم لا يأتي بالحسنات إلاَّ أنت » أو يقول : « اللهم لا خير إلاَّ خيرك ، ولا طير إلاَّ طيرك ولا إله غيرك » وقد بين في حديث ابن عمر ، وأنَّ من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ؛ أي وقع في الشرك ، فإذا خرج العبد في سفر فقابلته غراب يصيح أو ثعلب أو بومة أو ما أشبه ذلك فرجع عن حاجته فتطير بهذا الطير ؛ فإنَّه يعتبر قد أشرك .

ويؤخذ من هذا أنما يقع في القلب لأول مرة أنه لا يؤثر إذا قابله الإنسان بالتوكل على الله سبحانه وتعالى ، والاعتماد عليه ، واعتقاد أن هذه المخلوقات الضعيفة لا تأثير لها في القدر ، ولا علم لها بما يضر أو ينفع :

بربك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
فالؤمن يعتمد على الله ، ويتوكل عليه ، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن ليصيبه ؛ اللهم وفقنا لما تحب وترضى ، وجنبنا مضلات الفتن يا رب العالمين ، وبالله التوفيق .

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الطب باب لاصفر ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب لاعدوى ولا طيرة من حديث أبي هريرة ٢ .

الشرح الموجز المممد لتوحيد الخالق الممجد

١٠٤

(٢٨) باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه قال قتادة : " خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وكلف ما لا علم له به " .
وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ؛ ذكره حربٌ عنهما ، ورخص في تعلم المنازل أحمد ، وإسحاق .
وعن أبي موسى ٣ قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدّق بالسحر » رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه .

الشرح : تعريف التنجيم : التنجيم هي أمورٌ يستدل بها على وقائع الأرض ، وحوادث الكون وهذا العلم مأخوذٌ عن الأمم الضالة ؛ التي سلفت قبل نبوة نبينا ﷺ حيث يعتقدون أن النجوم الفلاني إذا اقترن بالقمر فمن تزوج في تلك الليلة حصل له كذا ، ومن سافر في تلك الليلة حصل له كذا ، والمنجمون يأخذون اسم الشخص واسم أمه ، ويجمعون حروفهما ، ولهم في ذلك طريقة موروثة عن أهل الباطل تتضمن أموراً تنافي الشريعة :

الأمر الأول : ادعائهم لعلم الغيب .

الأمر الثاني : ادعائهم التأثير ؛ لاقتزان النجوم بالقمر .

الأمر الثالث : ادعائهم شريكاً مع الله ، فإنهم يزعمون أنَّ الكواكب لها تأثيرٌ في هذا الكون وهذا شركٌ أكبر .

(١) الحديث علقه البخاري بصيغة الجزم كما في كتاب بدء الخلق باب في النجوم في ج ٣ / ١١٦٨ وأخرجه ابن ماجه في باب الميثر في ج ١ / ٢٦٥ برقم الحديث ٣٧٢٦ وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه فتح المجيد : " هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم " اهـ .
(٢) انظر طبقات الحنابلة (١ / ١٤٥) وابن رجب في فضل علم السلف (٣١ ، ٣٢) كما قاله محقق فتح المجيد الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في ج ٢ / ٥٣١ .
(٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج ١٢ / ١٦٥ برقم الحديث ٥٣٤٦ وأحمد في مسنده في ج ٤ / ٣٩٩ برقم الحديث ١٩٥٨٧ والحاكم في المستدرک على الصحيحين في ج ٤ / ١٦٣ برقم ١٩٥٨٧ وأبو يعلى في مسنده في ج ١٣ / ٢٢٣ برقم الحديث ٧٢٤٨ .

الأمر الرابع : زعمهم العلاقة بين النجوم وبين أدمغة العباد وعقولهم ، وأنَّ النجوم لها تأثيرٌ على أدمغة الناس ، وتأثيرٌ فيها ، وهذا هو الكذب ، والدجل ، والتضليل ، ونسأل الله السلامة .
ثمَّ اعلم أنَّ علم النجوم ينقسم إلى قسمين :

١ - علم التسيير .

٢ - علم التأثير .

فعلم التسيير : هو علمُ المنازل ؛ وذلك لمعرفة أوقات الزراعة ، وغيرها ، فالمنازل الثمانية والعشرون تقسم على الفصول الأربعة لكل فصلٍ منها سبع منازل مضروبةً في ثلاثة عشر يوماً أي ثلاثة أشهر لكل فصلٍ من الفصول ، فصل الخريف سبع منازل ، وفصل الشتاء سبع منازل وفصل الربيع سبع منازل ، وفصل الصيف سبع منازل ؛ وكل واحدٍ من هذه الفصول ثلاثة أشهر فهذا العلم الذي هو علم التسيير لاشيء فيه ، وإن كان قد أنكره بعض السلف ، وأجاز ذلك أحمد ، وإسحاق .

أمَّا علم التأثير : فهو اعتقاد تأثير النجوم على بني آدم ، وربط حياتهم ، وموتهم ، وصحتهم ومرضهم ، وسلمهم ، وحرهم ، وراحتهم ، وشقائهم ، وفقيرهم ، وغناهم ؛ كل ذلك مرتبطٌ في زعم هؤلاء بعلم النجوم ، وبالنجوم وتأثيرها ؛ وهذا قول باطل ، واعتقادٌ محرم ؛ من اعتقده خرج من الإسلام ، ومن مات عليه مات كافراً مستحقاً للخلود في النار ؛ إذ أنَّ آيات الله عز وجل تبين لنا أنَّ علم الغيب هو لله عز وجل دون غيره ، وأنَّه لا دخل لأحدٍ من المخلوقين ولا تأثير له في حياة عباده ؛ بل أنَّ الله وحده هو المتصرف في أمور عباده ؛ فهو الخالق لهم ؛ وهو الرازق لهم ؛ حياتهم وموتهم بيده ، وصحتهم ومرضهم بيده ، وفقيرهم وغناهم بيده ، وسعادتهم وشقاوتهم بيده ، وتخليكهم وسلبهم بيده ، وإعزازهم وإذلالهم ؛ لامعطي لما منع ، ولامانع لما أعطى ، ولا رادَّ لما

قضى ؛ كل شيء بيده ، وتحت تصرفه وقهره ؛ هذه هي العقيدة الصحيحة التي جاء بها الإسلام ، ومن خالفها ، واعتقد تأثير النجوم في الكون وفي حياة الناس ؛ وذلك بقراءة بعض الكتب التي ينتشر منها هذا العلم الباطل ككتاب أبي معشر الفلكي ، وكتاب شمس المعارف ، وغير ذلك ، فمن تأوّل فيها غير ذلك خطأ ، وكلف نفسه ، وأضاع نصيبه من الآخرة ولهذا فقد ذكر قتادة رحمه الله : " أن الله خلق هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأوّل فيها غير ذلك خطأ ، وأضاع نصيبه ، وكلف ما لا علم له به " .

الخرق الموجز الممجد لتوحيد الخالق الممجد

١٠٦

فدليل أنّها زينة للسماء قوله تعالى : [ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح] .
ودليل أنّها رجوماً للشياطين قوله تعالى : [وجعلناها رجوماً للشياطين] [تبارك : ٥] .
ودليل أنّ الله جعل النجوم علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر قوله سبحانه وتعالى : [وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر] [الأنعام : ٩٧] .
وفي حديث أبي موسى **ؓ** قال : قال رسول الله **ﷺ** : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ، ومصدّق بالسحر » رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه .
وهذا النهي يتأول على أمرين : -
الأمر الأول : من استباح الإدمان على الخمر ، واستحلّه ، واستحل قطيعة الرحم ؛ فهو لا يدخل الجنة أبداً ؛ بل يكون خالداً مخلداً في النار .
الأمر الثاني : وإمّا أن يكون المعنى مدمن الخمر ، وقاطع الرحم لا يدخلون الجنان المعدة للمؤمنين ولكن يدخلون جنناً متدنية بعد أن يعذبوا ، ويظهروا ، وينقوا ؛ وهي الجنان التي يدخلها أصحاب الكبائر ، والعياذ بالله .
أمّا قوله : « ومصدّق بالسحر » فالمصدّق بالسحر كافر ، والكافر مخلد في النار ، وأمّا تأوّلنا المذنبين الأولين ؛ لأنّ إدمان الخمر ؛ كبيرة من الكبائر ، وفعلها لا يوجب الكفر المخرج من الملة وكذلك قطيعة الرحم ؛ أمّا المصدّق بالسحر فهو كافر كما قلنا ، وبالله التوفيق .

(٢٩) باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : [وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون] [الواقعة : ٨٢] .
وعن أبي مالك الأشعري **ط** : أن رسول الله **ﷺ** قال : « أربع في أمتي
من أمر الجاهلية لا يتركونها : الفخر بالأحساب ، والطعن في
الأنساب ، والإستسقاء بالنجوم ، والنياحة » وقال : « والنائحة إذا لم
تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من
جرب » رواه مسلم .

ولهما عن زيد بن خالد **ط** قال : « صلى لنا رسول الله **ﷺ** صلاة الصبح
بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على
الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .
قال : قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا
بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال :
مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب » .

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه : « قال بعضهم : لقد صدق
نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآيات : [فلا أقسم بمواقع النجوم &
وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم & إنه لقرآنٌ كريم & في كتابٍ مكنون &
لا يمسسه إلا المطهرون & تنزيلٌ من رب العالمين & أفبهذا الحديث
أنتم مدهنون & وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون] [الواقعة : ٧٥ - ٨٢] .

الشرح : قوله : " باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء " الأنواء جمع نوء ؛ وهي المنازل أو النجوم
وذلك أن المنازل تعرف بسقوط الكواكب ، وطلوعها ، فإذا طلع الكوكب يسمّى طلوعه نوء يقال
: ناء بمعنى طلع ، فقد يقع بتلك المنزلة مطرٌ وخيرٌ ؛ فيزعم بعض الناس أن تلك المنزلة هي التي
فعلت ذلك ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى : [وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون] ومعنى ذلك :
وتجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبوه ؛ فالرزق من الله والمطر هو سبب الرزق —

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة .

والله يأتي بالمطر ، ويأتي بالثمرة ؛ فقد يأتي المطر ، وتصلح الزراعة ، ثم بعد ذلك تحيب الثمرة والفضل لله عز وجل في إنزال المطر ، وصلاح الثمرة ذلك أنه هو الرزاق ؛ رزق البهائم بإخراج النبات الذي تأكله ، ورزق الناس بإخراج الثمر الذي يأكلونه ، والفضل لله في ذلك كله .
والأنواء أو النجوم أو المنازل إنما هي أوقات لتزليل الغيث أو لصلاح الثمرة ، والله هو الذي ينزل الغيث كما قال تعالى : [وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد] [الشورى : ٢٨] وقال جلّ من قائل : [هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلاّ من ينيب] [غافر : ١٣] .

فإسناد نزول المطر أو صلاح الثمر إلى النوء ؛ الذي وقع فيه أو المنزلة التي وقع فيها حينما يقول الناس : صدق نوء كذا أو صلح نوء كذا يكون فيه إسنادٌ لنعمة الرزق إلى النوء والمنزلة والله هو الفاعل لذلك كله ، فيكون فيه نوعٌ من الشرك غير أنه لا يخرج من الإسلام ، وهو الذي جاء في حديث زيد بن خالد الجهني وأُنزل الله فيه : [وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون] .

وعن أبي مالك الأشعري ؓ : أنّ رسول الله ﷺ قال : « أربّع في أمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونها : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والإستسقاء بالنجوم ، والنياحة » هذه الخصال بقيت في المسلمين رغم إسلامهم ، ورغم عقيدتهم التي تعلموها من الكتاب والسنة إلاّ هذه الأربع بقيت فيهم ؛ وهي من أمر الجاهلية .

قوله : « الفخر بالأحساب » بأن يفتخر الإنسان بحسبه ، والمقصود بالحسب : الشرف والشرف ١ - إمّا أن يكون بأمرٍ من أمور الدنيا ؛ كالمال أو الجاه ٢ - أو بأمرٍ من أمور الآخرة كالعلم ، والعمل الذي ينفع به الناس ، فالناس يفتخرون أي من طبيعتهم يفتخرون بالأحساب فيقول أحدهم : أبي الذي فعل كذا أو جدي الذي فعل كذا ، والذي ينبغي ويجب على العبد ألاّ يفتخر بالحسب ؛ سواء كان من أمور الدنيا أو من أمور الدين ، فإنّ الفضل لله على العباد فالفضل له على الصالح في هدايته للصالح ، والفضل له على صاحب المال في إعطاء الله له ذلك والذي ينبغي للمسلم عدم الفخر بشيء من ذلك إلاّ أن يذكر شيئاً من باب التحدث بنعمة الله فلا بأس عند المناسبة ، والحاجة .

أمّا قوله : « والطعن في الأنساب » هو أنّ بعض الناس إذا حصل بينه وبين أحد من الناس خصومة ومغاضبة طعن في نسبه بأي قول من الأقوال التي يطعن بها فيه ، وهذا مذموم .

قوله : « والاستسقاء بالنجوم » هذا هو محل المناسبة للباب ، وكون الإنسان يقول : النجم الفلاني جاد ، والنجم الفلاني لم يجد ، وما أشبه ذلك ، فهذا لا ينبغي للمسلم ؛ بل المسلم يعتقد أنّ الله هو الفاعل .

قوله : « والنياحة » النياحة ندب الميت بذكر محاسنه ، ولكونه تسخط للقدر ، واعتراض عليه فإنّ الأمر في ذلك لله هو الذي بيده الإحياء والإماتة ، فلما كانت النائحة معترضة على قدر الله عز وجل حينئذ توعدت في هذا الحديث بقول النبي **p** : « والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب » نسأل الله العفو والعافية .

الثوب الذي يكون من قطران ثوبٌ حار في منتهى الحرارة ، والدرع الذي يكون من جرب مؤذي للإنسان في جلده بالحكة التي تكون فيه ، وهذا من العذاب ؛ نسأل الله العفو والعافية فهذا وعيدٌ للنائحة أنّها عندما تقوم يوم القيامة تكون معذبة بذلك ؛ نستجير بالله من غضبه .

ثمّ إنّ هذه الأربع لا توجب كفراً يخرج من الملة ؛ فقد ورد عن النبي **p** : « اثنتان في الناس هما بهما كفر الطعن في النسب ، والنياحة على الميت »^(١) والمراد بذلك من كفر دون كفر ، وليس من الكفر المخرج من الملة ؛ أي من الكفر العام أو الكفر الأصغر ، وبالله التوفيق .

ثمّ أورد حديث زيد بن خالد **τ** قال : « صلى لنا رسول الله **p** صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال » الحديث .

قوله : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » المؤمن هو الذي يقول مطرنا بفضل الله ورحمته والكافر الذي يقول : « مطرنا بنوء كذا » وليس المقصود به الكفر المخرج من الملة ، ولكن المقصود به كفر دون كفر ، وذلك أنّ من أسند إنزال المطر إلى الكوكب فإنّه يعتبر عمله هذا من الكفر العملي ؛ الذي ينبغي للإنسان أن يتركه ، وأن يسند إنزال المطر وعدمه إلى الله عز وجل لا إلى الكوكب ، فكل هذه ذكر الكفر فيها ليس المراد به الكفر المخرج من الملة ، ولكن المراد الكفر العملي .

قوله ولهما من حديث ابن عباس معناه أي معنى حديث زيد بن خالد ولهما
من حديث ابن عباس

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة من حديث أبي هريرة ^٢)

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١١٠

بمعناه وفيه : « قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله
هذه الآيات : [فلا أقسم بمواقع
النجوم] الآيات ، وبهذا تعلم أنَّ النجوم إنما هي وقتٌ لتَنَزُّلِ المطر أو لصلاح الثمر ، والله هو
الذي يفعل هذه الأشياء ، وبالله التوفيق .

(٣٠) [باب قول الله تعالى : [ومن الناس من يتخذ من دون الله

أندادا يحبونهم أحببه الله]

وقوله : [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبُّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره] [التوبة : ٢٤] .

وعن أنس **ر** أن رسول الله **ص** قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » .

ولهما عنه قال : قال رسول الله **ص** : « ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » وفي رواية : « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « من أحبَّ في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ؛ فإتّما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبداً طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ؛ وذلك لا يجدي على أهله شيئاً » رواه ابن جرير .

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول **ص** من الإيمان ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول **ص** أكثر من الأهل .

٢ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان .

٣ (أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب الحب في الله .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : [وتقطعت بهم الأسباب] قال المودة .

الشرح : قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تعليقه على هذا الباب : " أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده ؛ وهي أصل التأله ، والتعبد له ؛ بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب ، وتغلبها ، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي فيها سعادة العبد ، وفلاحه ، ومن تفرعها وتكملها الحب في الله ، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال ، والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص ، والأعمال ، وبوالي أوليائه ، ويعادي أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده " اهـ . وأقول هذا كلام نفيس لو كتب بماء الذهب لكان قليلاً عليه ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد العبد ، وهو الذي رباه بنعمه ؛ رزقه ما يعيش عليه من الطعام ، والشراب وأنفذ ذلك الرزق في جسده يتغذى به ، ويمنحه به القوة على عبادته ، ومنحه لذة الغذاء ، ولذة الماء إذا شربه ليكون مقبولاً للشرب ، فينتفع به ، وأوجد له اللسان ، واللعب ، والأسنان والأضراس ليتمكن من طحن ذلك الطعام ، والانتفاع به في جسده ، ولهذا جاء في الحديث : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي » .^(٢)

يضاف إلى ذلك أنّ الله أوجدنا لعبادته ، وعلمنا تلك العبادة بما أنزله في كتابه ، وبما بينه رسوله **p** من صفات تلك العبادة في سنته ؛ من أقوال ، وأفعال ؛ أخبرنا بطريق الخير الذي يوصلنا إلى الجنة ، وطريق الشر الذي يؤدي بنا إلى النار ؛ قال تعالى بعد أن حذر من انكاح المشركين أو نكاح المشركات : [أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه

= ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ، والطبراني في الكبير (١٣٥٣٧) عن ابن عمر موقوفاً ومداره على ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط . تهذيب التهذيب ٦٧ / ٨ تقريب التهذيب ١٣٨ / ٢ اهـ . وذكر محقق فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وفقه الله بأن الحديث : " أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه الإخوان رقم (٢٢) وأبو نعيم في الحلية (٣١٢ / ١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠ / ١) : وفيه ليث بن أبي سليم ، والأكثر على ضعفه " اهـ . قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف فتح المجيد رحمه الله : " وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط " قال الشيخ الوليد ج ٢ / ٥٦٧ : " أخرجه ابن أبي شيبة في المسند وابن أبي حاتم في التفسير ، وأخرجه الحكيم الترمذي كما في الدر المنثور (٨٧ / ٨) " اهـ

(١) الحديث قال فيه الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : " هذا الأثر رواه عبد بن حميد وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وصححه " قال الدكتور الوليد آل فريان في (٥٧٠ / ٢) انظر : " ابن جرير الطبري في التفسير رقم (٢٤٢٣) وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٤٠٢ / ١) والحاكم في المستدرک (٢٧٢ / ٢) " اهـ . قال محققا القول المفيد : " أخرجه ابن جرير ٤٣ / ٢ والحاكم ٢٧٢ / ٢ وصححه ، ووافقه الذهبي " اهـ .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي **p** قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ؛ قال شيخنا

أحمد النجمي حفظه الله : " ذكره الألباني في ضعيف الجامع رقم ١٧٦ وأشار إلى الترمذي والحاكم وقال ضعيف والحديث وإن كان ضعيفاً أشد منه في الكتاب والسنة " اهـ .

ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون [البقرة : ٢٢١] ليتذكر أحدنا أنه لولا فضل الله عليه بهدأيته للإيمان ، ووجوده في مجتمع مسلم لكان ممن تحق عليهم كلمة الله بالعذاب .

لهذا فإنه يجب علينا محبة الله عز وجل ؛ لأنه خلقنا ، ورزقنا ، وهدانا ، ووفقنا ، وعلمنا ما لم نكن نعلم ، ومن علامات محبة العبد لربه أن يكون محباً لما أحب من الأعمال ، ومن أحب من الأشخاص ، ومبغضاً لما أبغض من الأعمال ، ومن أبغض من الأشخاص ، وقد جاء في الحديث : « اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عمل يبلغني إلى حبك »^(١) .

ومن ههنا أيضاً يتبين قول الله سبحانه وتعالى : [والذين آمنوا أشد حبا لله] ويتبين أيضاً أن من أحب غيره من الآلهة التي لا تخلق ، ولا ترزق ، ولا تحيي ، ولا تميت ، ولا تدخل الجنة ، ولا تنجي من النار أن من أحب هذه الآلهة ، والأنداد التي لا تفعل شيئاً مما يفعله الله ، ولا تتصف بشيء مما يتصف به الله ؛ فإنه قد وضع المحبة في غير محلها ، وكان مذموماً عند الله على ألسنة رسله ، وفي كتابه مستحقاً للوم ، والمقت .

ولهذا فإن من يعبدون الآلهة ، ويحبونهم كحب الله ، ويوالون ، ويعادون ، ويقاتلون من أجلهم سيأتي عليهم يوم يمقتون فيه أنفسهم ، وإن الواجب على كل مسلم إخلاص العمل لله محبة له وإجلالاً له ، ومن الواجب على كل مسلم أن يوالي أولياء الله ؛ وهم أهل طاعته ، واتباع شريعته ، ويبغض أعداء الله ؛ الذين يكونون بخلاف ذلك ؛ وهذه الآيات تبين لنا أنه لا يجوز للعبد أن يقدم محبة الآباء ، والأبناء ، ولا الإخوان ، ولا العشيرة ، ولا الأموال التي اكتسبها واقتربها ولا الدور التي ألفها ؛ ألا يقدم شيئاً على محبة الله ؛ عندما يتعارض ذلك مع هذه الأمور : [قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنٌ ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره] فإذا دعاك أبوك إلى الكفر بالله ، والشرك به أو ابنك أو أخوك أو زوجتك أو عشيرتك فلا يجوز لك أن تطيعهم في معصية الله ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ ما أكثر هذا في

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب من سورة ص قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وفي كتاب الدعوات باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ؛ قال الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف سنن الترمذي ص ٣٨٠ طبعة مكتبة المعارف الحديث ضعيف إلا قوله : " في داود : ((كان أعيد البشر)) فهو عند (م) ابن عمر ((الصحيحة)) (٧٠٧) ((المشكاة)) (٢٤٩٦ - التحقيق الثاني) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . وأخرجه الإمام أحمد في مسند الانصار بترقيم إحياء التراث ٢١٦٠٤ .

الذين يقطنون في بلاد الكفر ، وكذلك في بعض البلاد التي هي محسوبة على الإسلام يدعوهم الواحد أبوه إلى الكفر أو الفسق ، ويقول له إذا لم تفعل كذا ، فلست ولدي ، وربما يطرده من بيته ، وقد وردت إليَّ أسئلة بخصوص ذلك .

وعن أنس ؓ أنّ رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » أي لا يكمل إيمان عبدٍ إلّا بهذا بأن يقدم محبة رسول الله على محبة الناس جميعاً ، وطاعة الله ورسوله على طاعة الناس جميعاً .

وكذلك حديث أنس أيضاً : « ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلّا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » ياله من حديث عظيم ما أعظم هذه الثلاث الخصال التي لا يبلغها العبد إلّا بعون من الله .

إنّ العبد في هذه الدنيا ليتعرض لدواعي الشر ، ومخالفة ما أمر الله به ورسوله ، وصوارف تصرفه عن محبة الله ، ومحبة رسوله ، وتدعوا العبد إلى أن يقدم محبوب العشيرة ، والقراية أو السلطان والمجتمع أو الزوجة ، والأبناء على محابّ الله ورسوله ، فالْمُؤْمِنُ يستمسك بمحبة الله ورسوله ويضحي بكل شيء سواها إذا كان يدعو إلى مخالفتها ، وإنّ محبة الله تدعو العبد أن يحب له ، ومن أجله ، فيحب من أحب الله ، ومن أحب رسول الله ﷺ ويبغض من أبغضه الله ، وأبغضه رسول الله ﷺ وأن يكره الرجوع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار لأنّ الكفر موجبٌ للقذف في النار ، والبقاء فيها أبد الآبدين [لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون & بل تأتيهم بغتة فتبهِتْهُمْ فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون] 1 الأنبياء : ٣٩ - ٤٠] .

وأخيراً في حديث ابن عباس ؓ « من أحبّ في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله فإتّما تنال ولاية الله بذلك ... الخ » صفة للمؤمن بأنّه يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويوالي في الله ، ويعادي في الله ، وأنّ ولاية الله لاتنال إلّا بهذه المرتبة ؛ حتى وإن كثرت صلاة العبد ، وصومه ولم يكن من الموصوفين بهذه الأوصاف ؛ فإنّه لم يصل إلى حقيقة الإيمان ، وكماله ، ولن يصل إليه

الشرح الموجز للمصباح لتوحيد الخالق الممجد

ثم أخبر ابن عباس أنه : « قد صارت عامة مواخاة الناس ، وموادتهم على أمور الدنيا ، وذلك لا يجدي عن أهله شيئاً » أي لا ينفعهم ذلك يوم القيامة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى :

[وتقطعت بهم الأسباب] قال المودة ؛ أي انقطعت المودة التي كانت بينهم في الدنيا على أمور دنيا كسبوها ، ومنافع تبادلوها ، ولكن تلك الأمور ، وتلك الدنيا تذهب يوم القيامة ، ولا يبقى إلا ما كان لله وفي الله ؛ اللهم اجعلنا ممن يحب لك ، ويبغض من أجلك ، ويوالي أهل طاعتك ويعادي أهل معصيتك ؛ إنك سميع الدعاء ، وبالله التوفيق .

(٣١) **باب قول الله تعالى : [إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن**

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]

قال الله تعالى : **[إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ**
وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] [آل عمران : ١٧٥] وقوله : **[إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ**
اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا
اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ] [التوبة : ١٨] وقوله : **[وَمَنْ**
النَّاسُ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ
اللَّهِ] [العنكبوت : ١٠] وعن أبي سعيد **ؓ** مرفوعاً : **« إِنَّ مِنْ ضَعْفَ الْيَقِينِ**
أَنْ تَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَذْمَهُمْ
عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ ؛ إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجْرُهُ حَرِيصٌ حَرِيصٌ ، وَلَا يَرُدُّهُ
كِرَاهِيَةٌ كَارِهِةٌ » وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قال : **« مَنْ**
الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسُ وَمَنْ
الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ »
رواه ابن حبان في صحيحه .

الشرح : قال السعدي رحمه الله تعالى : " هذا الباب عقده المصنف رحمه الله تعالى لوجوب تعلق
الخوف ، والخشية بالله وحده ، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين ، وبيان أَنَّهُ لا يتم التوحيد إِلَّا بذلك

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن صاحب فتح المجيد : " هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان
السدي وقال ضعيف وفي إسناده أيضاً عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء وموسى بن بلال قال الأزدي ساقط وتمام الحديث : " **إِنَّ اللَّهَ بِحُكْمَتِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْحَ فِي الرِّضَى وَالْيَقِينِ وَجَعَلَ الِهْمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشُّكِّ وَالسَّخَطِ " ثُمَّ قَالَ :** " والحديث وإن كان في
إسناده من ذكر فمغناه صحيح " اهـ قال الشيخ الوليد آل فريان : " رواه أبو نعيم في الحلية (١٠٦ / ٥ ، ١٠ / ١٠) والبيهقي
في شعب الإيمان رقم ٢٠٣ وله شاهد من حديث ابن مسعود ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٠٥١٤) وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٢١ ، ١٣٠ / ٧) والبيهقي في الشعب رقم (٢٠٤) بإسناد حسن وشاهد عن ابن مسعود موقوفاً أخرجه البيهقي في الشعب
(٢٠٥) " اهـ . وقال الشيخ سليمان رحمه الله في التيسير ص ٤٩٠ : " قلت : ضعيف ، ومغناه صحيح " اهـ نقلًا عن محققا
القول المفيد .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينة قال : كتب
معاوية إلى عائشة : أن اكتب لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري عليّ فكتبت عائشة إلى معاوية : سلامٌ عليك أما بعد : فإني سمعت
رسول الله **ﷺ** يقول : **" مَنْ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ " الحديث قال الشيخ الوليد :** " الحديث أخرجه الإمام أحمد في
المسند (٤٨٨ / ٣) ، ٦ / ٣٩٣ ، ٣٩٤) والطبراني في الكبير رقم (٨٧٨) من حديث الأقرع بن حابس ، وأخرجه الترمذي في
الجامع رقم (٣٢٦٧) وقال هذا حديث حسن وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢ / ٢٩٦) من حديث البراء بن عازب " اهـ وقال
الشيخ سليمان أبا الخيل والشيخ خالد المشيخ : " والحديث أخرجه ابن حبان بهذا اللفظ (١٥٤٢) وأخرج بنحوه ابن المبارك
في الزهد (١٩٩) والبقوي في شرح السنة ١٤ / ١٠٤ وأبو نعيم في الحلية ٨ / ١١٨ " اهـ

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

ولابد في هذا الموضوع من تفصيل يتضح به الأمر ، ويزول الاشتباه " ثم قال : " اعلم أَنَّ الخوف
والخشية تارة يقع عبادة ، وتارة يقع طبيعة ، وعادة ، وذلك بحسب أسبابه ، ومتعلقاته ، فإن كان
الخوف ، والخشية خوف تأله ، وتعبد ، وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه ، وكان يدعو إلى طاعة

باطنة ، وخوفٌ سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ؛ لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله ، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله اه .

وأقول : إن التعلق تارةً يكون سبباً ، وصاحبه معتقداً أنه سبب ؛ فلا يكون من الشرك الأكبر بل يكون من الشرك الأصغر إذا زاد عن العادة ، وأذكر قصةً هي تعتبر من هذا القبيل تخرّج قومٌ من الجامعة ، وعقدوا لهم اختباراً أو طلبوا منهم تقديم للتوظيف ، فكان منهم من توسط بوزير ومنهم من توسط بغير ذلك ، ومن هؤلاء رجلٌ ضعيف ليس له واسطة ، ولكنه قوي الإيمان وكثير الدعاء ، والتعلق بالله عز وجل ، وكان يدعو الله عز وجل أن ييسر له ما فيه الخير ، فكان الذين توسطوا بأصحاب المناصب قد صارت ، وظائفهم في أماكن بعيدة ، وذلك المسكين الذي يرفع يديه إلى الله في كل صلاة يدعو ، ويرجوه ، ويتضرع إليه ظهرت وظيفته في بلدٍ قريب وبقي فيها إلى أن أحيل إلى التقاعد ، وسكنها ، فهذا التعلق لا يعد من الشرك ؛ لكنه إذا زاد في الركون ربما كان من الشرك الأصغر ، ومن كان تعلقه بالله خالصاً فهو الذي يفوز بالخير في الدنيا والآخرة .

وأذكر مثلاً آخر للتعلق الذي يكون من الشرك الأكبر أو الخوف الذي يكون من الشرك الأكبر : هو أن رجلاً كان يدعي الولاية فكانت مزرعته ، ومواشيه حمى ؛ يزعمون أنه يطّلع على من يأخذ من مزرعته شيئاً ، فلا يقرب من مزرعته أحد ، وكذلك أيضاً مواشيه ؛ لأنهم يزعمون بأنه يطّلع عليهم حتى على نياتهم ، فهذا شرك أكبر ، وليس هذا من الفرضيات أو التخيلات بل هو واقع بلغني عنه من أخبار عدة .

وأقول : إذا كان الخوف من ذلك الشخص قد زاد على خوف الله أو ساواه على الأقل بحيث زعموا أن ذلك الرجل سلطاناً غيبياً يعلم به المغيبات حسب ما يعتقده الخرافيون ؛ فهذا من أعظم الشرك الأكبر المخرج من الملة .

أمّا من خاف من شخص خوفاً طبعياً أن يضربه أو يقتله أو خاف أن يأخذ شيئاً من ماله أو ما أشبه ذلك ؛ فهذا الخوف الطبيعي لا يدخل في العبادة ، وقد عرفنا مما سبق في هذا العرض أن

الخوف من غير الله تارةً يكون مباحاً ، وتارةً يكون مكروهاً أو محرماً ؛ لكنه لا يخرج من الملة وتارةً يكون مخرجاً من الملة ، وهكذا الرجاء .

ما هي مناسبة الآية للباب ؟ الجواب : إنّ مناسبة آية آل عمران ؛ وهي قوله تعالى : [إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ] أي يخوف بأوليائه ، فمناسبة هذه الآية واضحة ،

وقد نهى الله عباده المؤمنين أن يخافوهم بقوله [فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين] أي إن كنتم مؤمنين حق الإيمان فإن إيمانكم يقتضي ذلك .
أمّا مناسبة آية التوبة فهي في قوله [ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين] ومعنى ذلك لم يخش خشية عبادة إلا من الله وكذلك قوله : [فلاتخافوهم] أي لاتخافوهم خوف عبادة .

أمّا آية العنكبوت التي يقول الله فيها : [ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله] أي فمنعته تلك الفتنة من أن يؤدي ما أمر الله به خوفاً منها .

ثمّ أورد حديث أبي سعيد : (إنّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتكم الله ؛ إنّ رزق الله لايجره حرص حريص ، ولايرده كراهية كاره) وأقول : إرضاء الناس بسخط الله محرم ، وكذلك أن تحمدهم على رزق الله ناسياً ؛ أنّ الله هو مسخر القلوب ، ومصرفها ، وليس معنى ذلك ألا تشكر من أحسن إليك ؛ بل إنّ الواجب عليك أن تشكر الله أولاً ، ثمّ تشكر ذلك الذي أحسن إليك عاطفاً له بشم ، فتقول : إني أشكر الله ، ثمّ أشكر على إحسانك إليّ ؛ أمّا أن تشكره ، وتنسى الله ، فهذا هو المذموم .

وأمّا قوله : (أن تذمهم على ما لم يؤتكم الله) فهذا معناه أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى هو المعطي ؛ وهو المانع ؛ فإن شاء سخر لك ذلك المخلوق الضعيف ، وإن شاء لم يسخره ، فلا ينبغي أن تسارع بالذم للناس فيما لم يؤتكم الله .

ثمّ أخبر الرسول ﷺ بهذا الحديث : (أن رزق الله لايجره حرص حريص) يعني أنّ الرزق بيد الله عز وجل ، فتارةً قد يكون من الناس من يكون حريصاً على إعطائك شيئاً ، ويأبى الله فلا يصل إليك ذلك الشيء ، وتارةً يكون العكس ؛ فتجد من الناس من يكون كارهاً إيصال الخير إليك

فيصل على رغمه .

أمّا حديث عائشة رضي الله عنها الذي كتبه إلى معاوية ؓ فهو حديث عظيم معناه (من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ...) بمعنى أنّه حرص على رضى الله ، وإن كان ذلك الإرضاء لله فيه إسقاط للناس ؛ فإنّ الله يجعل العقوبة أنّ الناس يرضون عنه بأن يجعل أسباباً تكون هي المؤثرة في رضاهم عنه ، والعكس بالعكس

أي من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ؛ بأن يجعل أسباباً
تسخطهم عليه والقلوب بيد مقلبها ، وبالله التوفيق .

(٣٢) **باب قول الله تعالى : [وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين]^(١)**

وقوله : **[إئتما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم]** [الأنفال : ٢]
وقوله : **[يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين]** [الأنفال : ٦٤]
وقوله : **[ومن يتوكل على الله فهو حسبه]** [الطلاق : ٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **[حسبنا الله ونعم الوكيل]** قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد حين قالوا له : **[إنَّ الناس قد جمعوا**

لكم فاختشوهم فزادهم إيماناً [الآية [آل عمران : ١٧٣] رواه البخاري والنسائي .

الشرح : التوكل على الله : هو تفويض الأمور إلى الله سبحانه وتعالى ، والثوق بكفائته والاعتماد عليه سبحانه وتعالى في تيسير كل مهم من أمور الحياة ، وليس معنى ذلك أن يترك العبد الأسباب المادية التي تؤدي إلى إنجاح طلبه من جلب كل مرغوب أو دفع كل مرهوب ؛ بل عليه أن يباشرها معتقداً في تلك الأسباب بأنها من قدر الله ، والله سبحانه وتعالى يقدر أن يرتب عليها ما يطلب منها ، ويقدر أن يسلبها ذلك .

وعلى العبد أن يؤمن أن الله سبحانه وتعالى لا يتصرف بحسب رغبات عباده ، ولكنه يتصرف سبحانه وتعالى بحسب ما قد قدره ، وكتبه في اللوح المحفوظ ؛ وهو أعلم بعباده ؛ وهو أعلم بمصالحهم .

ومن جهة أخرى فإنه ينبغي للعبد أيضاً أن يدعو الله سبحانه وتعالى راغباً إليه ، ومعتمداً عليه في حصول ما قصد ، ودفع ما حذر ، وهذا هو سبب آخر ؛ أي أن الدعاء سبب مستقل ؛ بل هو من أنجح الأسباب ، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتوكل عليه في قوله [وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين] فهذا أمر من الله عز وجل لعباده أن يتوكلوا عليه ، وأن يفوضوا أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب المادية والاعتماد على مسببها .

وكذلك قوله : [إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم] إنما أداة حصر ، يستفاد منها

١ (سورة المائدة ٢٣ .
٢ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب تفسير آل عمران ، وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرک على الصحيحين في ج ٢ / ٣٢٦ رقم الحديث ٣١٦٧ وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى في ج ٦ / ١٥٤ رقم ١٠٤٣٩ وفي ج ٦ / ٣١٦ رقم ١١٠٨١ وأخرجه الإمام ابن أبي شيبة في ج ٦ / ٣٢١ رقم ٣١٨٣٠ .

حصر للإيمان الكامل في هذه الصفات الثلاث :

أولها : أنهم إذا سمعوا آيات الله وجلت قلوبهم ، وخافت من لقائه ، وفرحت بما كانت قد أحسنته لقوله : [قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون] [يونس : ٥٨] .

وثانيها : [وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً] يؤخذ من هذه الجملة من الآية أن الإيمان يزيد بسماع كلام الله عز وجل ؛ أي يزيد مقداره في قلب العبد ؛ وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن

الإيمان يزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ؛ خلافاً للمرجئة والجهمية ؛ الذين يقولون أن الإيمان هو التصديق ، والتصديق لا يزيد ، ولا ينقص .

ثالثاً : قوله : [وعلى ربهم يتوكلون] أي على ربهم يعتمدون ؛ مفوضين إليه أمورهم ، وطالبن منه إنجاح مساعيهم ، فهذه الثلاث الخصال من جمعها فقد بلغ كمال الإيمان .

وقوله سبحانه وتعالى : [يا أيها النبي حسبك الله] أي كافيك ، قوله [ومن اتبعك من المؤمنين] أي وكافي من اتبعك من المؤمنين بإعطائكم النصر على أعدائكم إن أطعتموه ، واتبعتم أمره ، واجتنبتم نهيه ، وحذرتم الوقوع في محارمه .

وقوله : [ومن يتوكل على الله فهو حسبه] أي هو كافيه ، وناصره ، ومؤيده . ثم أورد حديث ابن عباس : قال : [حسبنا الله ونعم الوكيل] أي هذه الجملة التي فيها التفويض لله عز وجل قالها إبراهيم حين ألقى في النار ، وقالها محمد حين قالوا له : [إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً] ومعنى حسبنا الله أي كافينا ، وموفقنا ، وهادينا .

ويؤخذ من هذه الآيات أن التوكل على الله فرض من فرائض الإيمان ، وأنه سبب في كماله وأن من توكل على الله كفاه ما هم به ، وأن حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ كلمتان عظيمتان في التوكل على الله ، والاعتماد عليه ، وفي صرف كل ما يؤدي ، وجلب كل ما ينفع . ويؤخذ منه أن التوكل من أعمال القلوب ، واللسان يصدقها ، نسأل الله أن يجعلنا ممن يتأسون بالنبين الكريمين وهما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وبالله التوفيق .

(٣٣) **باب قوله تعالى : [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون]**

وقوله تعالى : [قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون] [الحجر : ٥٦] .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال : « الشرك بالله واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » .

وعن ابن مسعود ؓ قال أكبر الكبائر : « الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » رواه عبد الرزاق .

الشرح : باب قوله تعالى : [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] [الأعراف : ٩٦] قال أهل العلم : " ينبغي للعبد أن يكون بين الخوف والرجاء ، وألاً يغلب عليه الأمن من مكر الله واليأس من روح الله أو العكس من ذلك ، فإن كلا الطرفين هلاك ، والوسط هو عنوان الاستقامة ، ويقولون إنه ينبغي للعبد أن يكون الخوف والرجاء له بمنزلة الجناحين للطائر ؛ فإذا فقد أحدهما لم يستطع الطيران ، وإنما يستطيع على الطيران من كان له جناحان . وقالوا إن الذي يجب أن يكون العبد في حال صحته وسلامته الخوف عليه أغلب ، ويكون في حالة مرضه مثلاً وتهيئه للرحيل من الدنيا أن يكون الرجاء عليه أغلب ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي **p** أنه : « دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجددك ؟ قال : والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي ، فقال رسول الله **p** : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف » وإنَّ الأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله يحصل أحدهما عند غلبة جانب دون جانب ، فمن غلب عليه الرجاء وزاد في ذلك حتى يخرج عن الاعتدال فإنه في هذه الحالة يأمن مكر الله ؛ وهذا دليل على انعدام الخوف من الله عنده أو ضعفه حتى وقع في

(١) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في فتح المجيد : " هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات إلا شبيب فقال ابن معين ثقة وليته أبو حاتم وقال ابن كثير : في إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفاً " اهـ قال محققا كتاب القول المفيد : " أخرجه البزار كما في كشف الأستار ص ١٠٦ وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير في ج ١ / ٨٥ والطبراني كما في المجمع في ج ١ / ١٠٤ وفي الدر المنثور في ج ٢ / ١٤٢ وقال الهيثمي في ج ١ / ١٠٤ / ١٧ ورواه البزار والطبراني ورجاله موثقون " قال الشيخ الوليد آل فريان : " وحسنه العراقي في تخريج الإحياء في ج ٤ / ١٧ " اهـ قلت : روى بنحو هذا الأثر ابن جرير الطبري في تفسيره في ج ٥ / ٤١ وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥ هـ .

(٢) الأثر رواه ابن جرير في تفسيره في ج ٥ / ٤١ والطبراني في المعجم الكبير في ج ٩ / ١٥٦ برقم ٨٧٨٤ وعبد الرزاق في مصنفه في ج ١٠ / ٤٥٩ رقم ١٩٧٠١ .

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين ، وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له من حديث أنس بن مالك **r** وهذا الحديث حسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم ٩٨٣ وفي صحيح ابن ماجه برقم ٤٢٦١ .

هذا المأزق الذي حكم الله على أصحابه بالخسار فقال : [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] اللهم إنا نعوذ بك من أن نأمن مكر .

والجانب الآخر : الخوف إذا زاد عن حد الاعتدال ، ووصل بالعبد إلى جانب القنوط واليأس فتلك مصيبة أيضاً توردته إلى المهالك ، وعلى العبد أن يكون معتدلاً بين الخوف والرجاء ؛ فلا يستبد به الخوف حتى يخرج به إلى القنوط ، ولا يستبد به الأمن حتى يكون من أهل الخسار ؛ فإنه إن حصل له ذلك أو بعض ذلك كان على خطرٍ عظيم ، والعياذ بالله ، ولهذا جاء في حديث ابن عباس أن رسول الله **p** سئل عن الكبائر فقال : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » فالشرك أعظم ذنب عصي الله به ؛ فمن أشرك بالله شركاً

أكبر فإنه محرم عليه دخول الجنة ومحتّم عليه دخول النار ، والله سبحانه وتعالى يقول : [فلاتدعوا مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين] [الشعراء : ٢١٣] ويقول سبحانه وتعالى لنبيه **p** : [ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] [الزمر : ٦٥] [فمن أشرك بالله شركاً أكبر فإنه مستحق لهذا الوعيد . واليأس من روح الله يجعل الإنسان يسيء الظن بربه ، فيشتد خوفه ، ويكثر قلقه ، وربما ظن أنّ ذنوبه لا تغفر ، فيقع فيما هو أشد من ذنوبه التي قارفها والثالثة الأمن من مكر الله ؛ فهو يغلب عليه جانب الأمن ، فيستهين بحق ربه ، ويقع فيما يوجب غضب الله سبحانه وتعالى عليه .

وهكذا نعود فنقول : العبد بحاجة إذا رأى أنّ الأمن غلب على نفسه أن يقرأ الآيات التي فيها وعيد ، وإذا رأى أنّ اليأس غلب على نفسه أن يقرأ النصوص التي فيها الوعد ، وقد جاء في أحاديث كثيرة عن النبي **p** في الشفاعة ؛ وأنّ الله يأمر بإخراج قوم على سبيل التدني : « انظروا من كان في قلبه زنة دينار من إيمان فأخرجوه »^(١) « ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً »^(٢) « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى وزن شعيرة من إيمان »^(٣) « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان »^(٤) « اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا » ومع —

- (١) هذه الرواية أخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم الحديث ١٠٧٠٣ من حديث أبي سعيد الخدري **ت** .
(٢) هذه الرواية أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى من حديث أنس **ت** .
(٣) هذه الرواية أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث أنس بن مالك **ت** وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : =

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

ذلك يبقى الله في الجنة فضل فينشئ لها أقواماً أو فيخلق لها أقواماً لم يعملوا خيراً قط فيسكنهم إياها .

وهذه الأحاديث التي يغلب فيها الوعد على الوعيد يقرأها العبد إذا اشتد خوفه ، ووصل به إلى اليأس ، والقنوط .

وأحاديث الوعيد يقرأها العبد إذا أحس من نفسه الأمن ، وعدم الخوف ، والمبالاة ، فإذا توازن في نفس العبد الخوف والرجاء ففي هذه الحالة يكون أقرب إلى الحق ، فنسأل الله أن يشبثنا اللهم لاتأمننا مكر ، ولاتله قلوبنا عن ذكرك ، ولاتولي علينا غيرك ، وبالله التوفيق .

= [لما خلقت بيدي] وأخرجها مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلةً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
 ٤ (هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال من حديث أبي سعيد الخدري .
 ٥ (هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث أنس بن مالك ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : [لما خلقت بيدي] وفي باب قول الله تعالى : [وجوة يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] وأخرجها مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى من حديث أنس . وفي باب أدنى أهل الجنة منزلةً من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وفي كتاب الفتن باب وأشراف الساعة باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

١ (هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء من حديث أبي هريرة . بلفظ قال رسول الله ﷺ : " فَأَمَّا النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وَأَمَّا الجنة فينشئ لها خلقاً " .

٢ (هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم أيضاً في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من حديث أبي سعيد الخدري . بلفظ قال رسول الله ﷺ : " فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ؛ ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها أقواماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً ، فيلقاهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل " .

(٣٤) باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى : [ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم] [التغابن : ١١] قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ؛ فيرضى ، ويسلم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة . أن رسول الله ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت » ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس منّا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

وعن أنس . أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له بالعقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » .

وقال النبي **ﷺ** : « إِنَّ عَظَمَ الْجَزَاءَ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمِنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى وَمِنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ »
حَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ .

الشرح : قوله : باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله " الصبر على أقدار الله عز وجل هو علامة الإيمان به سبحانه وتعالى ، والمقصود هنا صبر المسلم على الأقدار التي ليس له فيها سبب يعني أَنَّ الأقدار تنقسم إلى قسمين :

- (١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم " قال الشيخ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان : " أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٢٨ / ١٢٣) وابن أبي حاتم في التفسير كما في تفسير ابن كثير (٨ / ١٦٣) وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٣ / ٩٥) وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨ / ١٨٣) وأخرج نحوه : البخاري في الصحيح معلقاً (٨ / ٦٥٢) عن ابن مسعود " اهـ .
- (٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنيابة .
- (٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز باب ليس من شق الجيوب وباب ليس من ضارب الخدود ، وفي كتاب المناقب باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الخدود .
- (٤) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " هذا الحديث : رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي ، وأخرجه الطبراني ، والحاكم عن عبد الله بن مغفل وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة والطبراني عن عمار بن ياسر " قلت أخرجه الترمذي في ج ٤ / ١ برقم الحديث ٢٣٩٦ والحاكم في المستدرک في ج ٤ / ١٨ برقم ٨١٣٣ وابن حبان في صحيحه في ج ٧ / ١٧١ برقم ٢٩١١ وقد أشار الإمام الألباني رحمه الله إلى صحته وأشار إلى ذلك في السلسلة الصحيحة برقم الحديث ١٢٢٠ .
- (٥) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " ورواه ابن ماجه ورواه الإمام أحمد عن مجاهد بن لبيد رفعه : ((إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع)) قال المنذري رواه ثقات " اهـ قلت : أخرجه ابن ماجه في ج ٢ / ١٣٣٨ برقم الحديث ٤٠٣١ والترمذي في ج ٤ / ٦٠١ برقم ٢٣٩٦ والشهاب في مسنده في ج ٢ / ١٧٠ برقم ١١٢١ وقد أشار الإمام الألباني رحمه الله إلى صحته أيضاً في السلسلة الصحيحة برقم الحديث ١٤٦ والمشكاة برقم ١٥٦٦ .

١- الأقدار المكروهة التي يقدرها الله تعالى على العبد وليس للعبد فيها سبب كالمريض والحاجة والابتلاءات التي يتلقى بها العبد ؛ وهي ليست من المعاصي ، فهذه ينبغي للعبد أن يصبر عليها ويجب عليه ذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول : [ما أصاب من مصيبةٍ إلَّا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه] [التغابن : ١١] ويقول : [ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلَّا في كتابٍ من قبل أن نبرأها] [الحديد : ٢٢] فالحق ، وعدم المطر من المصائب ، والمريض من المصائب والعاهات التي تأخذ الثمرة من المصائب ، والابتلاء بالفقر ، والحاجة من المصائب وهكذا فينبغي للعبد أن يؤمن بتلك المصائب المقدره من الله من قبل أن يخلق السماوات والأرض فيصبر عليها ويقابلها بالحمد والشكر لله عز وجل الذي قدرها .

٢- وأمَّا الابتلاء بالمعاصي ؛ فأن يتلقى الإنسان بفعل الزنا أو بشرب الخمر أو بسفك دمٍ حرامٍ فهذا لا يجوز له أن يحتج عليه بالقدر ، وإن احتج بالقدر فهو مخطئ في ذلك ؛ وعلى العبد أن يتوب إلى الله عز وجل من ذلك الذنب الذي قارفه ، وأن يلقي باللوم على نفسه ، والمقصود أَنَّ الصبر هنا هو الصبر على محض الأقدار ؛ التي ليس للإنسان فيها سبب ، ولا هو قادر على صرفها كما

مثلنا سابقاً وتفسير الآية يدل على ذلك ؛ قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة ؛ فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم ؛ أي يجب أن يرضى بقدر الله و يصبر عليه .

وللعبد أمام المقادير حالتان : حالة الصبر ، وحالة الرضا ؛ وهذه الحالة ؛ وهي الرضى ؛ حالة المقربين ؛ وهو أن ترضى عن ربك سبحانه وتعالى بأنه قدر عليك هذا القدر ، وتكون راعياً في ثواب المصيبة أفضل من أن تبقى لك فإن رزقك الله بولد وبعد ما بلغ أنه يخدمك بعض الخدمة أخذه الله من بين يديك ؛ فأنت حينئذٍ إذا رضيت بقدر الله تنال كمال الثواب لأنك علمت أن أجر المصيبة الذي ادخره الله لك أفضل من بقاء ذلك الذي سلبك إياه ، وقد جاء في الحديث أن الله سبحانه وتعالى إذا قبض ولد العبد قال الله ملائكته : « قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » رواه الترمذي ، وأحمد .

١ (الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الجنائز باب فضل المصيبة إذا احتسب ، قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه الإمام =

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١٢٧

فتذكر هذا الحديث يا من أصبت بقبض روح ولدك وموته حتى أنك لو خیرت بين أن يبقى ولدك يعود لك على قيد الحياة ، والبيت الذي في الجنة لاخترت البيت الذي في الجنة هكذا حال المؤمن . أما الحالة الثانية ؛ فهي حالة الصبر ؛ وهي حبس النفس على ألم المصيبة مع وجود التألم وهي دون حالة الرضى في المرتبة .

إذاً ما مناسبة حديث أبي هريرة للباب : « اثنتان بالناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت » ؟ نقول : مناسبتة أن النياحة تسخطُ لقدر الله عز وجل ، وعدم رضى به ؛ هذا معناه كذلك حديث ابن مسعود أي في البخاري ومسلم عن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس منا من ضرب الخدود » أي عند المصيبة « وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » وهو أنه من وقعت عليه المصيبة :

١- إما أن يكون مؤمناً ، فيرضى ، ويسلم .

٢- إما أن يكون ضعيف الإيمان ، فيضرب خده ، ويشق جيبه ؛ ضرب الخد معروف ، والجيب هو جيب القميص أو ما يقوم مقامه ؛ بأن يقدّه (يقطعه) تسخطاً للمصيبة ، والجيب هو الفتحة التي

يدخل فيها الرأس ؛ المتسخط لقدر الله يشق الجيب أي يشق قميصه تسخطاً لذلك القدر المقدور

وكذلك أن يدعو على نفسه بدعوى الجاهلية ؛ كقول واجبله وناصره ؛ نسأل الله العفو والعافية ؛ هذه حالة المتسخطين الذين لا يرضون بالقدر ، فالواو في واجبله ، وفي وناصره تسمى عند أهل اللغة واو الندبة .

وفي حديث أنس : « إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له بالعقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » في هذا الحديث إخبار أن العبد قد تصيبه المصائب وتتوالى عليه النكبات ؛ فيظن أن ذلك من كره الله له وليس كذلك ؛ بل قد يكون أن الله محباً له وهو يريد أن يبتليه بالابتلاءات ؛ حتى يأتي يوم القيامة ، وقد تخفف من الذنوب .

= أحمد في مسند الكوفيين برقم إحياء التراث ١٩٢٢٦ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ؛ قال الإمام الألباني رحمه الله حديث حسن ؛ انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٠٨ .

أمّا من أمسك الله عنه ، وأسبل عليه رداء العافية ؛ فأعطاه المال ، والولد ، وهياً له الجاه مع أنه مقيم على معصية ؛ فذلك ربما كان دليلاً على أن الله أراد به شراً ، وجمع له العقوبة في الآخرة ، والعياذ بالله ، وفي الحديث الأخير « إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء » يعني أن الثواب الجزيل ، والأجر الكثير يكون على من ابتلي ابتلاءاتٍ فصير ؛ ألم تسمع إلى ربك وهو يقول : [وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين] [البقرة : ١٢٤] وأثنى عليه ربه في قوله : [وإبراهيم الذي وفى] [النجم : ٣٧] ذلك أنه كان مؤمناً وحده ، فكسر أصنام قومه ، فحكموا عليه بأن يلقي في النار ، فصبر فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً ، وخرج مرفوع الرأس ، وابتلاه الله بفراق والديه وأهله فصبر وهاجر ومع ذلك ابتلاه الله بعدم الولد فصبر ، ثم حصل له إسماعيل ، فابتلاه الله بأن يضعه في تلك الجبال القاحلة فصبر وبتركة هناك فصبر ، فلما بلغ معه السعي ابتلاه الله بأن أمره بذبحه فصبر ؛ نجح في كل هذه الابتلاءات وغيرها ، ونحن يقدر الله علينا بعض المقادير فيتسخط الواحد منا ولا يصبر لبلاء ربه ؛ اللهم اجعلنا ممن يصبر عند البلوى ، ويشكر عند النعماء ، ثم قال : « وإنّ الله تعالى إذا أحبّ قوماً ابتلاهم » اختبر صبرهم « فمن رضي فله الرضى ، ومن

سخط فله السخط» أي من رضي بقدر الله رضي الله عنه ، ومن تسخط من قدر الله سخط الله عليه نعوذ بالله من سخط الله وعقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ الخير والشر كلاهما مقدَّر من الله ، ولكنَّ الشرَّ لا ينسب إلى الله عز وجل ؛ بل ينبغي نسبته إلى مجهول كقوله تعالى : [وَأَنَا لَآندَرِي أَشَرُّ أُرِيدُ بَعْنٌ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا] [الجن : ١٠] أو إلى نفس العبد كما في قوله سبحانه وتعالى : [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ] [النساء : ٧٩] يعني أنَّ السيئة هي حاصلة من كسبك ، ومن عملك ، فأنت المتسبب فيها كما قال الله عزَّ وجل : [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ] [يونس : ٤٤] وفي حديث التلبية : « والشرُّ ليس إليك » فتزويه الله عن الشر ؛ ليعلم أنَّه إنما يحصل من الله على سبيل المجازاة للعبد والمعاقبة له ؛ كما في الحديث السابق : « وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه في ج ١ / ٥٣٤ برقم الحديث ٧٧١ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

(٣٥) بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وقول الله تعالى : [قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنمّا إليكم إلهٌ واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً] [الكهف : ١١٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال الله تعالى : « أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » رواه مسلم .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : « ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا :

بلى ؛ قال : الشرك الخفي : يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته ؛ لما يرى من نظر رجل » رواه أحمد .

الشرح : تعريف الرياء : هو أن تري الناس بأن عملك لله مع أن عملك إنما هو للناس أو للدنيا والعياذ بالله ؛ وهو أي الرياء ينقسم إلى قسمين : -

١ (باعث على العمل ٢) وعارضٌ في العمل .

فالباعث على العمل هو رياء المنافقين ؛ بأن يكون هذا المرائي لولا مرأته للناس ما عمل ذلك العمل ، فيعد الرياء باعثاً له على العمل ؛ وهذا ينطبق على أقوامٍ من الناس إن كان الواحد مع

الناس صلي ؛ وإن كان وحده لم يصل ؛ وهم الذين وصفهم الله بقوله : [وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا] [النساء : ١٤٢] فتجد الواحد منهم لا يعمل العمل الذي يرضي الله إلا إذا كان بين الناس يريد أن يشنوا عليه به .

وأما العارض في العمل فهو يعد من الشرك الأصغر ؛ فيقوم الإنسان يصلي لكن إذا رأى أحداً من الناس ينظر إليه زين صلاته من أجل نظر ذلك الرجل ؛ وهكذا أن يدخل في العمل من أجل الله فيعرض له الرياء حين أداء العمل ؛ وهذا إن غلب على الإنسان فرمما أحبط عمله ، وإن استعاض منه فإنه يمكن أن يتغلب عليه ؛ لكن ينقص من أجره .

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله .
(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في ج ٣ / ٣٠ برقم الحديث ١١٢٧٠ وأخرجه الإمام ابن ماجة في ج ٢ / ١٤٠٦ برقم الحديث ٤٢٠٤ باب الرياء والسمعة وفي السنن الكبرى للإمام البيهقي في ج ٢ / ٢٩٠ برقم ٣٤٠٠ باب الترغيب في تحسين الصلاة ، وأخرج نحوه الإمام ابن خزيمة في صحيحه في ج ٢ / ٦٧ باب التخليط في المراعاة بتزيين الصلاة برقم الحديث ٩٣٧ وقد جاء فيه بلفظ : " عن محمود بن لبيد قال خرج النبي ﷺ فقال : ((أيها الناس إياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر ؟ قال : يقوم الرجل فيصلّي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر)) " .

١٣٠

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق المعبود

والهمهم أن ما كان باعثاً على العمل فهو يعتبر من الشرك الأكبر ، وما كان عارضاً في العمل كان من الشرك الأصغر ، وقد علم النبي ﷺ أمته بأن يدعو الإنسان إذا أحس من نفسه شيئاً فيقول : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ؛ إنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب »^(١) وأيضاً يدعو بهذا الدعاء : « اللهم فاطر السموات والأرض ، رب كل شيء ومليكه ؛ أشهد أن لا إله إلا أنت ؛ أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي إثماً أو أجبره إلى مسلم »^(٢) اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي » وجاء في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » هذا مما يدعو العبد إلى الإخلاص في عمله لله سبحانه وتعالى .

وقول الله سبحانه وتعالى : [قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنمّا إلهمم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً] معنى كونه صالحاً أن يكون خالصاً لله تعالى ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ومما يدعو الإنسان إلى التوحيد ، والإخلاص أن يعلم أن الناس ليس عندهم شيء من الثواب فيعطوه ، وليس بأيديهم شيء من العقاب فيسلطوه عليه فالثواب والعقاب بيد الله ، والخير والشر بيده سبحانه وتعالى ؛ فلا ينصرف الشرك وإرادة الناس بالعمل إلا إذا دعا العبد ربه ، وسأله أن يجعل الأعمال

خالصةً لوجهه ، ولهذا قال النبي **ﷺ** : « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ؟ قَالُوا : بَلَى ؛ قَالَ : الشَّرْكُ الْخَفِيُّ : يَقُومُ الرَّجُلُ

(١) هذا الحديث أخرجه نحوه الترمذي في سننه ج ٥ ص ٤٧٦ برقم الحديث ٣٤٠٧ بلفظ : " عن العلاء بن الشخير عن رجل من بني حنظلة قال : صحبت شداد ابن أوس رضي الله عنه في سفر فقال : ألا أعلمك ما كان رسول الله **ﷺ** يعلمنا أن نقول : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر وأسألك عزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لساناً صادقاً وقلباً سليماً وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب قال وكان رسول الله **ﷺ** يقول : ما من مسلم يأخذ مضجعه يقرأ سورة من كتاب الله إلا وكل الله به ملكاً فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهبط متى هبَّ قال أبو عيسى هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه والجريري هو سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري وأبو العلاء اسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير " وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير برقم الحديث ٧١٧٥ في ج ٧ / ٢٩٣ وبرقم ٧١٧٦ ج ٧ / ٢٩٣ وأخرج أيضاً في مصنف ابن أبي شيبة برقم الحديث ٢٩٣٥٨ في ج ٦ / ٤٦ وأخرجه الإمام أحمد برقم الحديث ١٧١٥٥ في ج ٤ / ١٢٣ .
(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي بهذا اللفظ في كتاب الدعوات في باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ، ونحوه في باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح ؛ وأخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم الحديث ٥٢ و ٦٤ و ٨٢ ومسند المكثرين من الصحابة برقم الحديث ٦٥٦١ و ٦٨١٢ و ٧٩٠١ وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب الاستئذان باب ما يقول إذا أصبح من حديث أبي هريرة **ﷺ** .

فيصلي ، فيزين صلاته ؛ لما يرى من نظر رجل « وإنَّ النفوس ضعيفة ، فينبغي للعبد أن يسأل الله عز وجل أن يصرف عنه كيد الشيطان الرجيم ، وأن يجعل عمله خالصاً لله تعالى ؛ لأنَّ ما تخوفه النبي **ﷺ** علينا لاشك أنَّه أمرٌ مخوف ، وأنَّ الواجب علينا أن نلجأ إلى الله عز وجل بأن يصرف عنا الشيطان الذي يدعونا إلى البدع والمعاصي ويوقعنا فيما يحبط أعمالنا ، وأن يعيننا على أنفسنا من الوقوع فيما يضرنا ، والله سبحانه وتعالى شرع لنا أن نستعين به : [إياك نعبد وإياك نستعين] [الفاتحة : هـ] فنحن لانقدر على صرف الشيطان عن أنفسنا إلاَّ بهذا ، فإذا دعونا الله عز وجل أن يصرفه عنا صرفه عنا ، وبالله التوفيق .

(٣٦) باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى : [من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون & أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون] [هود ١٥-١٦]. وفي الصحيح عن أبي هريرة τ قال قال رسول الله ρ : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميعة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع » .

الشرح : وأقول قوله : " باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا " فإن هذا نوع من أنواع الشرك أي يريد الإنسان بعمل من أعمال الآخرة يريد به الدنيا فقط ، وقد استدلل المؤلف على ذلك بقوله تعالى في سورة هود آية ١٥ [من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون] دلت هذه الآية على أن من أراد بعمله الدنيا فقط ؛ بأن ذلك يكون ردة ؛ نسأل الله العفو والعافية ؛ وهو يعتبر من الشرك الأكبر ؛ لقوله تعالى : [أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون] وهذا الوعيد إنما يكون لمن يشرك بالله شركاً أكبر ، ويترتب عليه حبوط العمل ، ودخول النار والخلود فيها . أمّا من قصد الدنيا للإستعانة بها وهو مؤمن

بالآخرة لعلمه أنها هي الحياة الباقية فإنه فيما يظهر لا يناله هذا الوعيد إن شاء الله وهذا لما يكون فيه من المداخلة كمن درس مثلاً العلوم الشرعية من أجل أن يعلمها ، ويعمل بها ثم ينال بتلك الشهادة وظيفة يستعين بها على دنياه وآخرته ، وإنما إرادة الدنيا وزينتها تكون مذمومة في حق من لم تكن له همة في دينه ؛ بل أنه لو منع الدنيا إلا بترك الدين لفعله ؛ فهذا الذي يناله الوعيد ، فالله سبحانه وتعالى أخبرنا بأن هذا الصنف من الناس كما قال الله عز وجل في الآية ١٤ من سورة الأحزاب في وصف المنافقين : [ولو دخلت عليهم من

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٣ / ٩٤ برقم الحديث ٢٥٩٥ وبنحوه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، وفي كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال .
الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١٣٣

أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً & ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً [وفي قراءة] [لآتوها] [الأحزاب : ١٤ - ١٥] فأخبر فيها عن المنافقين أنه لو دخلت عليهم المدينة من جميع جهاتها سواء دخلها اليهود أو المشركون ، ثم طلب منهم أن يشركوا ، وأن يعودوا إلى الشرك لفعلوا ، فمن كان هذه حاله ، فالظاهر أن هؤلاء هم المقصودون دون النوع الأول ؛ الذين ذكرتهم ، والله تعالى أعلم . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية أي آية هود : [من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها] الآية والتي بعدها : " قال العوفي : عن ابن عباس في هذه الآية : إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون فقيراً ؛ يقول : من عمل صالحاً إلتماس الدنيا صوماً أو صلاةً أو تهجداً بالليل لا يعملها إلا إلتماس الدنيا يقول الله تعالى : أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة " والظاهر أن الصحيح من مثوبة : " وحبط عمله الذي كان يعمل لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين ، وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد ، وقال أنس بن مالك والحسن نزلت في اليهود والنصارى ، وقال مجاهد وغيره نزلت في أهل الرياء ، وقال قتادة : من كانت الدنيا همته ونيتته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة . وقد ورد في الحديث المرفوع نحوه من هذا ، وقال تعالى : [من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً & ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً & كلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً & انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر

درجاتٍ وأكبر تفضيلاً [وقال تعالى :] من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب [" اهـ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ : « تعس عبد الدينار ؛ تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة ؛ تعس عبد الخميعة ؛ إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ... » الحديث .
قوله « تعس » دعاءٌ عليه « عبد الدينار » « عبد الدرهم » هو الذي يتوقف رضاه على إعطاءه

١ (قال شيخنا النجمي حفظه الله : " معنى قراءة : [لآتوها] أي أعطوها أي الفتنة وهي الإجابة إلى الكفر والشرك ومعنى قراءة [لآتوها] أي فعلوها " .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١٣٤

الدينار ، والدرهم ، وسخطه على عدم ذلك ، وهذه منقصةٌ تدل على أن الدنيا إنما هي معبرٌ وليست بدار إقامة ، ووسيلة وليست غاية ؛ لكنَّ من خالط قلبه الإيمان كان بخلاف ذلك فيستقل الدنيا ، ويستضعفها ، ويزهدها فيها إن لم تكن من طريق حلال ، وما عطف على الدينار والدرهم فهو في حكمه كقوله : « تعس عبد الخميصة ؛ تعس عبد الخميعة » والخميصة والخميعة نوعان من الثياب أي الذي يرضى بوجودها ويغضب عند فقدانها .

ثم بالغ في وصفه فقال : « إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط » وزاد دعاءً عليه فقال : « تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » ومعنى هذا دعاءٌ عليه ، وأنه إذا وقع في ورطةٍ لا يخرج منها أي دعاءٌ عليه بالبقاء فيها ، وعدم الخلاص منها .

ثم شرع في وصف النوع الآخر الذي همُّه أداء ما عليه من واجبات حتى ولو حصل ذلك مع نقص حضور نفسه فقال : « طوبى لعبدٍ آخذٌ بعنان فرسه في سبيل الله ؛ أشعث رأسه » أي أنه مهتمٌ بأداء الواجبات لا يمكنه التفرغ لدهن رأسه وترجيله ؛ بل هو مغمورٌ بأداء الواجب ومكثف عليه الأعمال لكونه شخصٌ طيع يريد رضا الله ، والتقرب إليه ، والتطلع إلى فضله وازدراء الدنيا ، واحتقارها ، ولهذا قال : « أشعث رأسه مغبرةٌ قدماه » « إن كان في الحراسة كان في الحراسة » والمراد بالحراسة حراسة المجاهدين عند نزولهم ، ونومهم « وإن كان في الساقاة كان في الساقاة » والمراد بالساقاة مؤخرة الجيش ؛ صاحبها يتبع العاجزين ، ويسعفهم ، ويعينهم لا يكثر من الاستئذان ؛ بل أنه قد يستأذن فلا يؤذن له ، ويشفع فلا يشفع ؛ ويعرض الأمر فلا يقبل رأيه ولا يتبع مشورته ، فهذا حال أصحاب الطاعة المتطلعين للشواب الأخروي ، وذاك حال أصحاب الدنيا الذين تنعقد نفوسهم بالأمور المادية ، فلا يرضون إلا بها ، وبالله التوفيق .

(٣٧) باب من أطلع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد

اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس : " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر ! " .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : " عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ؛ يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم] [النور : ٦٣] أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ؛ لعله إذا ردَّ بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك "

وعن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : [اتخذوا أربابهم ورهبانهم أرباباً من دون

الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون] [التوبة : ٣١] فقلت : إنا لسنا نعبدهم ؛ قال : « ليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه » فقلت : بلى ؛ قال « فتلك عبادتهم » رواه أحمد ، والترمذي ، وحسنه .

الشرح : أقول : إن طاعة العلماء والأمرء في مخالفة أمر الله عز وجل بأن يحلوا ما حرم الله أو

(١) قال الشيخ الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان في تحقيقه لفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ج ٢ / ٦٤٣ : " الأثر أخرجه أحمد في المسند رقم (٣١٢١) وأبو بكر الأثرم في السنن كما في المغني شرح مختصر الخرقى (٩١ / ٥) وابن إسحاق كما في المطالب العالية (٣٦٠ / ١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٤٥ / ١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٩٦ / ٢) والضياء في المختارة كما في الآداب لابن مفلح (٦٦ / ٢) عن سعيد بن جبيرة ، وله شاهد من طريق عروة أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٢٣٤ / ٣) بإسناد حسن " اهـ وقال محققا القول المفيد شرح كتاب التوحيد " وابن حزم في حجة الوداع ص (٢٦٨ - ٢٦٩) " اهـ .

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليهم جميعاً في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : " هذا الكلام من الإمام أحمد رواه عنه الفضل بن زياد ، وأبو طالب قال الفضل عن أحمد نظرت في المصحف ، فوجدت طاعة الرسول

﴿ في ثلاث وثلاثين موضعاً ، ثمَّ جعل يتلو : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم] فذكر من قوله : الفتنة : الشرك إلى قوله : فيهلك ، ثمَّ جعل يتلو هذه الآية : [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً] قال الشيخ آل فريان : " أخرجه عبيد الله ابن بطة في الإبانة الكبرى رقم (٩٧) وينظر مسائل عبدالله (٣ / ١٣٥٥) " اهـ .

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " هذا الحديث قد روي من طرق ، فرواه ابن سعد ، وعبد الرحمن بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي " قال الشيخ آل فريان على فتح المجيد ج ١ / ٢١٠ : " كما في الدر المنثور (٤ / ١٧٤) وأخرجه الطبراني في التفسير رقم (٦١٦٣٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣ / ٤١١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ١١٦) وانظر بقية التخريج في كتاب الانتصار لأبي بطين (٣٤) " اهـ .

يحرّموا ما أحله فهذه تعتبر عبادةً لهم من دون الله ؛ ذلك أنّ الله عز وجل أنزل إلينا القرآن وتعبّدنا به ؛ وأوصل إلينا سنة نبيه **ﷺ** وتعبّدنا بها ؛ فهذا هو الدين الذي أمر الله عز وجل بأن يدان به ، فمن أطاع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فإنّه قد اتخذهم مشرعين ، وبذلك اتخذهم أرباباً ، والله سبحانه وتعالى يقول : [أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله] [الشورى : ٢١] لهذا أنكر ابن عباس على من كان يقول لهم قال رسول الله كذا ، وشرع كذا ؛ وهم يقولون قال : أبو بكر كذا ، وشرع عمر كذا ؛ وكان الخلاف بينه وبين بعض الصحابة أو غيرهم حصل في التمتع إذ أنّ رسول الله **ﷺ** شرع التمتع ، وأمر به من لم يسق الهدي من أصحابه ؛ أمرهم أن يحولوا حجتهم إلى عمرة ، وكان آخر أمره لهم عند المروة لما أكملوا السعي ؛ وكان لأبي بكر وعمر رأياً في هذه المسألة ؛ إذ أنهم رأوا أنّ من تمام العمرة والحج أن ينشأ لكل واحدٍ منهما سفيراً خاصاً به ، فأمرّا بذلك ؛ لامعارضةً لأمر الرسول **ﷺ** ولكن اجتهداً منهما رضي الله عنهما ، ومن أجل ذلك فقد استمر بعض الناس على هذا وجعلوا ينكرون على من تمتع بالعمرة إلى الحج فناقش عبد الله بن عباس أقواماً في ذلك ؛ فلذلك قال لهم : " يوشك أن تنزل عليكم حجارةً من السماء ؛ أقول : قال رسول الله **ﷺ** وتقولون : قال أبو بكر وعمر ! " .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : " عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ؛ يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم] أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ؛ لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك " اللهمّ إنا نعوذ بك من الزيغ .

معلومٌ أنّه لا يجوز أن تعارض سنة النبي **ﷺ** برأي أحدٍ ؛ وإن كانوا أفضل الخلق بعد الأنبياء .

وكذلك إنكار أحمد بن حنبل رحمه الله على أقوام عرفوا الإسناد وصحته ؛ يذهبون لرأي سفيان وإمّا ذمهم الإمام أحمد بن حنبل لأنهم ذهبوا إلى رأي سفيان ، وتركوا السنة ؛ ولو لم يكن كذلك ما كان لإنكاره عليهم وجاهة ، والله سبحانه وتعالى يقول : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره]

الضمير في [أمره] يعود إلى رسول الله ﷺ [أن تصيبيهم فتنة] نعوذ بالله من فتنة القلوب ؛ ربنا لا
تزرغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ؛ إن هذا

وعيدٌ أيما وعيد ؛ إنه وعيدٌ شديدٌ على من خالف أمر رسول الله ﷺ بأن قبل قول غيره ؛ وترك سنته
ﷺ أن يتلى ببلوى تزيع قلبه ، وتحوله من الإيمان إلى شيءٍ من النفاق ؛ نسأل الله السلامة من ذلك
؛ لهذا قال : « أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك » وأقول : الأصل في الفتنة أنها هي الابتلاء ،
والإمتحان ؛ ربما أن الله يتلي العبد بشيءٍ من الابتلاء لينظر هل يقدم أمره أو أمر غيره فإن أراد
الله به خيراً أوقع الإيمان في قلبه ، فترك طاعة الناس ، وقدم طاعة الله ، وقال : [إني أخاف إن
عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم] [الزمر : ١٣] اللهم إنا نسألك السلامة .

قوله : [أن تصيبيهم فتنة أو يصيبيهم عذابٌ أليم] عذابٌ : مؤلمٌ بسبب ما قدمت أيديهم والعياذ
بالله .

ثم أورد حديث عدي بن حاتم : أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : [اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا
ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون] فقلت : إنا لسنا
نعبدهم ؛ قال : « أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرمونه ، ويحلون ما
حرم الله فتحلونه » فقلت : بلى ؛ قال « فتلك عبادتهم » إن طاعة الخلق في
معصية الله فيها شيءٌ من الشرك وإن كان شركاً غير مخرج من الملة أحياناً إلا أنه شركٌ أصغر ،
ويسمى من أجل ذلك عبادةً ومن هنا يخطئ كثيرٌ من الناس ؛ فيظنون أن طاعة المخلوق في معصية
الخالق في أمورٍ جزئية يظنون أن ذلك من الكفر المخرج من الملة ؛ وهذا خطأ ، والظاهر أن ذلك
يتفاوت بتفاوت ما وقعت به الطاعة وهذه المسألة بالذات تحتاج إلى تحقيق أكثر ؛ لأننا لو قلنا أن
كل طاعة قدمت للمخلوق في معصية الخالق تعد كفرًا للنزاع من ذلك تكفير المسلمين بأمورٍ من
المعاصي ؛ ولكنّها من الشرك الأصغر ، والكفر الأصغر ؛ الذي لا يخرج من الملة .

ومثال ذلك : لو أن شخصاً أمرته زوجته بأن يشتري لها شيئاً محرماً في الشريعة ؛ فوافقها وحقق
رغبتها ؛ هل يعتبر حين أطاع زوجته قد خرج من الإسلام ، واتخذها رباً ، والعياذ بالله ؟ الجواب :
لا ؛ لأن هذه الطاعة هي طاعة في معصية الله ، ولكنها طاعةٌ جزئية ؛ لا يترتب عليها كفر المطيع .
وكذلك لو أن شخصاً ممن يزعمون أنهم علماء ، ودعاة ؛ ولكنهم مفتونون بالحزبيات ؛ كأن يكون
إخوانياً أو قطبياً أو تحريراً ينتمي إلى حزب التحرير ؛ قال لشخصٍ كان ممتنعاً عن الدخول

في الحزبيات : إنّ الحزبيات جيدة ؛ تحفز على العمل ، ونحن نرى الحزبيين يجتهدون في الدعوة أكثر عمّن يقال أنّهم سلفيون ، فأطاعهم ذلك الشخص ، ودخل في الاخوانية مثلاً أو في حزب التحرير ؛ أو القطبية ، فهل نقول أنّه كفر بطاعته لهذا المفتي الذي أفتاه ؟ الجواب : لا . وإن كان هذا المفتي يعد من الأحرار ، والرهبان ، وقد أطاعه في معصية الله .

كذلك لو أطاع نفسه التي أمرته بمعصية الله عز وجل ؛ بأن كان في حوارٍ مع أخيه أو مشادةٍ معه ، فغضب عليه فسفك دمه أو أزهد روحه ؛ فهل يعتبر قد كفر بذلك ؟ الجواب : لا .

ونقول أنّ كثيراً من الناس الذين يكفرون الناس بالمعصية يذهبون إلى هذا التأويل الخاطئ الذي يكفرون به عباد الله المسلمين ؛ ولو كان هذا من الكفر المخرج من الملة لما بقي من المسلمين أحدٌ على إسلامه ؛ ولكن كما قيل في المثل يفسد الأديان نصف فقيه ، ويفسد الأبدان نصف طبيب ، ولزيادة الإيضاح نجد أنّ الله عز وجل سمّى القاتل أحياناً في قوله : [فمن عفي له من أخيه شيءٌ فاتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان] [البقرة : ١٧٨] وقال في سورة الحجرات آية : [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنّ الله يحب المقسطين] إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون] [الحجرات : ٩ - ١٠] فسمّى الفئتين المقتتلين إخوة ، فدل ذلك على أنّهما لم يخرجوا من الإسلام بالقتال ، ومن هنا أيضاً تعلم خطأ الخوارج والمعتزلة ؛ الذين يكفرون بالكبيرة ، ومن سلك مسلكهم من أهل الحزبيات في هذا الزمن .

لو قال لنا قائلٌ : كيف ترد على من يقول أنّ تربية الشباب على احترام العلماء ، وعدم الإنكار عليهم إذا أخطئوا في اجتهداتهم أنّ هذا نوعٌ من الشرك الأكبر ؟ وأقول له : إنّ القول بأنّ هذا شركٌ أكبر قولٌ باطلٌ ، وأنّ تربية العلماء السلفيين لطلابهم على احترام العلماء لا يلزم منه السكوت عن أخطائهم ، ولكنهم يقولون أنّ الذي ينبغي لمن أنكر على العالم أن ينكر عليه بطريقة يكون فيها أدبٌ ولين ، إمّا أن يكون فيما بينهم وبين العالم ، وإمّا أن يصوغ له سؤالاً ينبهه فيه على الخطأ من غير مجابته ؛ لأنّ كلمة أنت أخطأت يا شيخ فيه شيءٌ من الاستخفاف وسوء الأدب ، فمن يقول أنّ السلفيين حينما يأمرّون طلابهم باحترام العلماء يكون في ذلك شركٌ أكبر قوله غير صحيح ؛ بل هو باطلٌ ، والمعروف عن السلفيين أنّهم يأمرّون بالنصيحة بطريقة لينة لا يكون فيها استهتار ، ولا استخفاف كما سبق أن بيّناه ، وبالله التوفيق .

(٣٨) **باب قول الله تعالى : [ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل**

من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت]

قال الله تعالى : **[ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً & وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً & فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلّا إحساناً وتوفيقاً]** [النساء : ٦٠ - ٦٣] وقوله : **[ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها]** [الأعراف : ٥٦] وقوله : **[أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون]** [المائدة : ٥٠] . وعن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »** قال النووي : حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

وقال الشعبي : " كان بين رجلٍ من المنافقين ورجلٍ من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد عرف أنّه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنّهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة ، فيتحاكما إليه ، فنزلت : **[ألم تر إلى الذين يزعمون]** الآية .

وقيل نزلت في رجلين اختصما ؛ فقال أحدهم : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

الشرح : وأقول : إن معنى هذه الآية : **[ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل**

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " هذا الحديث رواه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب الحجة على تارك المحجة بإسناد صحيح كما قاله المصنف عن النووي ، ورواه الطبراني ، وأبو بكر بن عاصم ، والحافظ أبو نعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون من صحاح الأخبار " اهـ قال الشيخ الوليد آل فريان : " أخرجه النووي في الأربعين (الحديث الحادي والأربعون) والطبراني كما في جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٦٨) =

من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ...
[الآية : أن من زعم أنه آمن بما أنزل على النبي ﷺ من كتاب ، وسنة ، فإنه لا يجوز له أن يحاكم إلى غير الله عز وجل وغير رسوله ﷺ وهذا الاستفهام هنا استفهام تعجب ؛ ومعناه ؛ اعجب يا محمد إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك ، ثم هم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت أليس قد أمروا أن يكفروا به ؟ والجواب : بلى قد أمروا أن يكفروا به ، ولكن الشيطان يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وأن التحاكم إلى غير الله عز وجل ضلالٌ بعيد ، وجريمة عظيمة وخطأ فادح ، وخسارٌ فاحش ؛ لا يشبهه خسار ، وغبنٌ عظيم ليس مثله غبن أن يترك الإنسان الحق ويذهب إلى الباطل إنَّ ما جاء به النبي ﷺ هو الحق ؛ الذي تطمئن إليه القلوب وترتاح إليه النفوس ؛ حقٌ ليس فيه باطل ، فيجب على المسلم أن يعود إلى الحق ، وأن يتحاكم إليه ؛ لأنَّ ذلك محض ما أمر الله سبحانه به في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله سبحانه وتعالى : **[اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم] [الأعراف : ٣] وإن اتبع الحق ، والرضى به ؛ موجب لدخول الجنة والنجاة من النار ، والعواقب الحميدة في الدنيا والآخرة ، وإنَّك لتعجب لكثيرٍ من الدول الذين هم مسلمون يقولون لا إله إلا الله ؛ محمدٌ رسول الله ؛ ومع ذلك يستوردون القوانين التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ويتركون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يقرأ القرآن في بيوتهم إلا في المآتم ؛ أما السنة فلا يرضون بها ، ولا يقبلونها وإنما يقبلون ما جاء من عند أعداء الله عز وجل ؛ سواء كانوا ملحدين أو نصارى أو يهودا ، وكأنَّ الله عز وجل ما أنزل القرآن إلا ليقرأ في المآتم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إنَّها والله مصيبةٌ عظيمة ، وخسارةٌ فادحة ؛ أن يتحاكم المسلمون إلى غير ما أتاهم من عند ربهم ؛ وجاء به نبيهم ﷺ الذي هو حق لا باطل فيه ، وتوحيدٌ لا شرك فيه ، وصدقٌ لا كذب فيه ؛ يضمن للناس مصالحهم ، ويحقق دمائهم ، ويحفظ حقوقهم ؛ تضمن لهم به العزة والنصر ، والملك ، والسؤدد كما ضمنت لمن كان قبلهم ، والله تعالى يقول : **[الذين إن مكناهم****

= وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٥) وأبو نعيم في الأربعين كما في جامع العلوم والحكم (٢٦٨ / ٢) وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى رقم (٢٧٩) والحكيم الترمذي وأبو نصر السجزي في الإبانة وقال : حسنٌ غريب كما في الكنز (٢١٧ / ١) والخطيب البغدادي في التاريخ (٣٦٩ / ٤) وابن الجوزي في ذم الهوى (١٨) قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢٦٩ / ٢) تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جداً من وجوه وذكرها " اهـ .
 (٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير رقم (٩٨٩٢ ، ٩٨٩٣) وابن المنذر كما في الدر المنثور (٥٨٠ / ٢) وإسحاق بن راهويه في تفسيره بإسنادٍ صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري (٣٧ / ٥) .
 (٣) أخرجه الثعلبي كما في الدر المنثور (٥٨٢ / ٢) والكلبي كما في فتح الباري (٣٧ / ٥) عن ابن عباس قال ابن حجر : وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً لكن تقوى بطريق مجاهد أخرجه الطبري في التفسير رقم (٩٩٠١) بإسنادٍ صحيح " اهـ نقل تخريج هذين الأثرين من تحقيق الدكتور الوليد آل فريان وفقه الله .

في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور [الحج : ٤١] والله سبحانه وتعالى يقول أيضاً : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون] [النور : ٥٥] .

وإنَّ الواجب على المسلمين أن يكون تحاكمهم إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسوله **p** وإلى الفقه الإسلامي ؛ المأخوذ منهما ؛ بواسطة العلماء المبرزين ، ولا يجوز العدول عنه ؛ بأي صورة من الصور ، فاليتق الله ولاية أمور المسلمين ، وليعودوا إلى الحق ؛ الذي هو شرع الله عز وجل المأخوذ من كتاب الله ، وسنة رسوله **p** وإنَّ العودة إليه ؛ هو الصلاح ، وتركه هو الفساد ، وقد أخبر الله عن المنافقين بأنَّه [وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً] أي يعرضون ، ويتولون نافرين عن الحق ؛ مشتهين للباطل ؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون [فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ] أي نالتهم عقوبة في النفس أو المال أو الأهل والأولاد [بما قدمت أيديهم] أي بما سبق لهم من الإعراض عن كتاب الله ، وسنة رسوله **p** والحقيقة أنَّ النفور عن شرع الله ، وكرهته ، ومحبة غيره من الباطل ؛ جريمة عظيمة ، ومصيبة كبرى ؛ بل كفرٌ مخرجٌ من الملة ، فلقد أباح الله عز وجل دماء الكفار ؛ أباح إزهاق أرواحهم وسفك دمائهم وسبي نسائهم وأولادهم ، وغنيمة أموالهم ؛ كل هذا أبيح بسبب كفرهم ، وعدم إيمانهم ؛ أفما أبيح هذا كله من أجله ؛ أيكون سهلاً؟! الجواب لا . ليس بالأمر السهل ؛ أي أنَّ تركه ليس بسهل وإن استسهلوه بأهوائهم قال تعالى : [فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً] هكذا يقول المنافقون ؛ يزعمون أنَّهم أرادوا إحساناً ، وتوفيقاً ودعاة أنصاف الحلول ؛ حالهم قريب من حال أولئك المنافقين ؛ تنازلوا أنتم يا أهل الإسلام عن بعض الحق الذي معكم ، ويتنازل لكم أعداء الإسلام عن بعض ما يريدون ليتم الوئام ، وتجتمع الكلمة ؛ هذا هو الإحسان الذي أرادوه ، وهذا ليس بإحسان ، وإنَّما هو إفساد في نفس الأمر وكذلك ما يزعم بعض الناس من دعوى التقارب أو التقريب الآن بين الرافضة وأهل السنة الرافضة الذين يتهمون الأميين جبريل ومحمد عليهما السلام بالخيانة ويسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويسمون بأسماء أبي بكر وعمر كلاهما وحميرهم ؛ بل ويصغرونها ؛ فيقول أحدهم لكلبه بكير ، ولحمارة عمير ، والعياذ بالله ؛ ويسبون

سائر الصحابة ما عدا عددٍ قليل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكل الصحابة أخرجوهم من الإسلام إلا ما ندر ، واتهموهم بما يستحي من ذكره السوقة ، ومع ذلك يزعمون أن التقارب معهم صلاح وإصلاح ، وهكذا إذا أنكر أهل السنة على أصحاب الدعوات المبتدعة من إخوانية ، وسرورية وقطبية ، وغيرهم إذا أنكر عليهم أهل السنة البدع التي يدعون إليها وأنكروا عليهم تساهلهم في الشرك ؛ وعدم إنكاره ، وزهدهم في التوحيد ، وعدم العناية به قالوا هذا تفريق وإفساد في الأرض ، ولقد قال إخوانهم المنافقون ؛ الذين كانوا في زمن النبي ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من المنافقين : [وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون] وهذا قول باطل ، وزعم كاذب فمتى كان هؤلاء دعاة إصلاح وإنما هم دعاة فساد ؛ فمن يزعم بأن الاتفاق مع هؤلاء إصلاح وجمع للكلمة فهو كاذب مبطل يريد الترويج للبطل ، ونبد الحق يريدون من أهل السنة أن يقبلوا البدع ، وأن يتركوا الدعوة إلى التوحيد وهذا هو عين الفساد والضلال ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ قال تعالى : [ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريبٌ] من المحسنين [إن بلادنا والحمد لله تنعم باجتماع الكلمة ، ووحدّة الصف ؛ فلما دخل إليها هؤلاء المخربون ؛ خربوا علينا أولادنا وفرقوا صفنا وأفسدوا جمعنا وخالفوا بين كلمتنا فالفساد إنما جاء منهم ، وبهم دخل إلينا وبسببهم تفرقت كلمتنا يستعملون السرية ويهدفون إلى السياسة ، ويتظاهرون بالصلاح والإصلاح ، وحفظ القرآن والدعوة إلى التبعّد والعناية بالفضائل ، وترك العقائد ؛ وهذا هو الفساد بعينه] أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون [فيا أهل السنة الزموا السنة ، واحذروا من هؤلاء أن يخربوا أكثر مما قد خربوا ، ويفسدوا أعظم مما قد أفسدوا ، والله لأن تساهلتم بهذا الأمر ليوشكن أن تنالكم العقوبة .

ثم أورد حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » وأقول : إن معنى قوله : « لا يؤمن أحدكم » أي لا يبلغ أحدكم كمال الإيمان حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ لقد جاء رسول الله ﷺ بالحق صافياً ؛ ناصعاً ؛ انظر إلى

أحكامه هل تجد فيها شيئاً تنكره العقول السليمة؟! لا والله ؛ بل كل ما فيه تؤيده العقول السليمة ؛ فإنه عين الحق ، ومحض الحكمة ؛ مع أنه حق قائم بنفسه لا يحتاج إلى شاهد ؛ لأنه شرع الله المنزل ، ودينه المكمل ، والله تعالى يقول : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] [المائدة : ٣] فأني حكم تجده فيه فاعلم أنه عين الحكمة ، ولب العدل ، وغاية الصلاح والإصلاح ؛ يعلم ذلك من يتأمل أحكام الله ؛ التي حملها إلينا رسول الله ﷺ من كتاب ، وسنة ، ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » .^(١)

ثم ذكر المؤلف رحمه الله الأثر عن الشعبي " كان بين رجلٍ من المنافقين ورجلٍ من اليهود خصومة فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد عرف الله لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة ، فيتحاكما إليه ، فنزلت : [ألم تر إلى الذين يزعمون] الآية ، والمقصود به المنافق ، وقيل نزلت في رجلين اختصما ؛ فقال أحدهم : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف " إلى آخر القصة ، وهذه القصة ؛ والتي قبلها ؛ يؤخذ منهما :

أن من ردَّ حكماً من أحكام رسول الله ﷺ كرهاً له ؛ محباً لغيره ؛ فإنه يعتبر قد كفر ؛ ولو كان في مسألة واحدة ؛ وهذا ما حمل عمر بن الخطاب ؓ أن يقتل ذلك المنافق ؛ لأنه كره حكم رسول الله ﷺ ولم يرض به ، وأحب حكم كعب بن الأشرف .

ومن هنا أيضاً نأخذ : أن من استبدل شرع الله بالقوانين ؛ معتقداً أن القوانين أحسن في نظره فإنه قد كفر ، وخرج من الإسلام ؛ بسبب ذلك ؛ لكن إن حكم بحكم غيره لسبب من الأسباب مع علمه بأن حكم الله هو الحق ؛ فإنه حينما يقدم غيره ، والحال هذه يعتبر عاصياً ، وفاسقاً ولأنه حينئذ يكون قد أتى حراماً ، ولم يخرج من الإسلام ، وهذا هو القول الفصل في المسألة فيما أظن وأعتقد وبالله التوفيق .

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهيدين ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين بترقيم إحياء التراث ١٦٦٩ من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه ، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٩٣٧ .

(٣٩) باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : [وهم يكفرون بالرحمن] [الرعد : ٣٠] .
وفي صحيح البخاري قال علي ؓ : " حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله " . وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس رحمه الله تعالى عن أبيه عن ابن عباس : أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات ؛ استنكاراً لذلك ! فقال ابن عباس : " ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقّة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه " انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن ؛ أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم : [وهم يكفرون بالرحمن] .

الشرح : قوله باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات أي ما حكمه ؟ هل يكفر بذلك أو يكون أتى شيئاً حراماً ؛ لا يبلغ إلى حد الكفر ؛ هذا محل نظر ، والذي يظهر لي أنّ من أنكر شيئاً من أسماء الله وصفاته الثابتة بالقرآن والسنة ؛ التي لا يشركه فيها أحد ؛ وهي معروفة أنّها من أسماء الله وصفاته ؛ أنّ من أنكر شيئاً من ذلك ؛ فإنّه يعتبر كافراً ؛ أمّا إن جحد شيئاً من صفات الله عز وجل لقيام شبهة عنده ، وكان يريد بهذا الجحد تنزيه الله في زعمه أو تأول الصفات كما فعلت الأشاعرة ، فهذا لا يكفر فيما يظهر ، وبهذا التفصيل يتضح الحق إن شاء الله .

وفي صحيح البخاري قال علي ؓ : " حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله " يؤخذ من هذا الأثر أنّه ينبغي لطالب العلم أن يحدث الناس بما يعرفون ؛ فإنّه لعله إذا حدثهم بما لا يعرفون أدى بهم ذلك إلى التكذيب ، فيكون المحدث قد تسبب في تكذيب الله ، ورسوله والذي يظهر والله أعلم أنّ الأمور التي تخفى على العامة ينبغي طيها عنهم ؛ فإن احتاج إلى التحديث وجب عليه أن يبين ، ويوضح حتى يعرف العامي الطريقة الحقّة ، والحقيقة أنّ الجاهل بهذا أي الجاهل ببعض الأمور ينبغي تعليم العامة لها حتى لا يستنكرونها ، فلعل الإنكار إنما يكون —

(١) الأثر أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب من رخص بالعلم قوماً دون قوم .
(٢) الأثر رواه أيضاً البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ورواه مسلم في صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما في الموضع السابق .

لشيء لم يسمعه من ذي قبل ، ولقد أنكر الله عز وجل على أهل الكتاب بأنهم يظهرون بعضه ويخفون البعض ، وقد نحينا عن مشابهمهم ، وإنما يأتي الاستنكار حينما يكون هذا العامي مقيماً بين أناسٍ يحذرون من سماع بعض الأحاديث التي فيها صفة الرحمن لله عز وجل ؛ فيأتيه الخوف والفرق مما سمع من هؤلاء ، فمن أقام بين الجهمية أو المعتزلة ؛ الذين ينكرون صفات الله وأسماءه ويسمع منهم الإنكار لأسماء الله وصفاته ؛ لاشك أنه يرتعد إذا سمع هذه الصفات ، ويخاف ويقشعر جلده ؛ لأنه لم يتوطن على معرفتها ، وعلى سماعها ، ومثل هذا ينبغي أن يبين له ، فمثلاً يقال نحن إذا أثبتنا لله اليد ؛ فإنما ثبت له يداً تليق بجلاله ، منزهة عن الجارحة ؛ التي هي يد المخلوق ، وهكذا يقال في الأصابع ، ويقال في الوجه ، ويقال في الرجل ، ويقال في القدم ويقال في الساق ، فإذا وضع لهذا العامي ؛ فإنه حينئذٍ سيعتقد الفرق بين صفة الخالق ، وصفة المخلوق ويزول عنه الخوف ، وتذهب عنه القشعريرة ، وهذا هو الواجب على أهل السنة إذا رأوا من أحدٍ استنكاراً لصفة من صفات الله أو اسمٍ من أسمائه بينوا له ، فإن أصر بعد البيان فهو مفتون ولهذا قال ابن عباس **ط** حين رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي **ﷺ** في الصفات استنكاراً " ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقّةً عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه " الفرق هو الخوف أي ما هو السبب في خوفهم ؛ يجدون رقّةً عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه^١ ، فقد عدّ ابن عباس انتفاض ذلك الرجل من سماعه لصفة الرب الجليل عد ذلك هلكة ، ولكن ينبغي أن يعلم أن الاتفاق في الأسماء بين صفة الله وصفة خلقه لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق ؛ فإذا قلنا أن الله حي ، واعتقدنا ذلك وصفناه بالحياة ، ووصفنا المخلوق بأنه حي فإننا في هذه الحالة يجب أن نعرف الفارق بين حياة الله وحياة خلقه ، فحياة الله قديمة بلا ابتداء ، وباقية بلا انتهاء ؛ وهي كاملة كما وصف نفسه بقوله : **[** الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم **]** [البقرة : ٢٥٥] أما حياة المخلوق فهي وجدت بعد العدم ، وسيكون لها نهاية ؛ وهي فيما بين ذلك لا تبقى إلا بإبقاء الله لها وهي باقية على أمور لا تبقى إلا بها كالطعام ، والشراب ، والنوم في حق الإنسان ، فالله وصف نفسه بأنه حيٌّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فالفرق بين حياة الله وحياة المخلوق فرق واضح بين وهكذا في جميع الصفات .

١ (قال شيخنا أحمد بن يحيى النجمي حفظه الله : " المحكم هو الذي له تأويل (معنى) واحد ، والمتشابه هو الذي لا يعرف تأويله ، وفيه متشابه قد يكون له تأويلاتٌ فمثلاً الحروف المقطعة هذه من المتشابه " اهـ .

والمهم أن اتفاق الأسماء أي أسماء الله وأسماء الناس ؛ إذا اتفقت الأسماء والصفات فإن الحقائق مختلفة ؛ هكذا يقال في السمع ، وفي البصر ، وفي جميع صفات الله عز وجل ، فإذا بُيِّنَ للإنسان لعله يعلم الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق ، واسم الخالق واسم المخلوق ، وقد يسمى المخلوق بأنه ملك ، ويسمى الخالق ملكاً ؛ لكن ملك الله شامل ، وملك المخلوق محدود ، وهو في نفس الوقت عارية ، والملك الحقيقي لله عز وجل [والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] [فاطر : ١٣] وهكذا يظهر الفرق جيداً .

ثم أورد المؤلف استنكار قريش لاسم الرحمن ، وأنَّ الله أنكر عليهم ذلك قال تعالى : [وهم يكفرون بالرحمن] الرحمن اسمٌ من أسماء الله عز وجل ، والكفر به إنكاره ، ولمَّا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اسم الرحمن أنكرت قريش ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، والرحمن مشتقٌّ من الرحمة وهو أشمل من متناوله ، والرحيم كذلك ؛ وهو أخصُّ من حيث متناوله قال تعالى : [وكان بالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا] أمَّا اسم الرحمن فهو شاملٌ ، ويقال رحمن الدنيا والآخرة ، فالرحمة التي جعلها الله في عبادة كما جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جعل الله الرحمة في مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه » رواه البخاري ، ولمسلم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه : « إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة » اللهم ارحمنا فيمن ترحم ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في باب جعل الله الرحمة في مائة جزء في ج ٥ / ٢٢٣٦ برقم الحديث ٥٦٥٤ ومسلم في باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه في ج ٤ / ٢١٠٨ برقم الحديث ٥٣٢٧ .

قال الله تعالى : [يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها] [النحل : ٨٣] قال مجاهد ما معناه هو : " قول الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي " وقال عون بن عبد الله : يقولون : " لولا فلان لم يكن كذا " وقال ابن قتيبة : " يقولون هذا بشفاعة آلهمنا " .

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أن الله تعالى قال : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ » الحديث ، وقد تقدم ، وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة ؛ يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ، ويشرك به . قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير .

الشرح : وأقول : إنَّ هذا الباب مقصودٌ لبيان حكم إسناد النعم إلى غير الله عز وجل ؛ وهذا نوعٌ من الشرك إلا أنَّ الغالب أنَّ الذين يفعلون هذا أو يقولونه لا يقصدون به تحقيق نسبة النعم إلى غير الله عز وجل ، وإنما يجري على ألسنتهم من غير قصد لذلك ؛ فإن قصد أنَّ تلك النعمة أو النعم مضافةٌ إلى من أضافها إليه ؛ وأنَّ ذلك الغير هو المفضل بها دون الله عز وجل فهذا شركٌ أكبر ؛ لكن إذا أضافها إليه بلسانه ؛ وهو معتقدٌ بقلبه أنَّ الله هو المنعم على العباد ؛ فهذا شركٌ أصغر لا يخرج من الإسلام إلا أنه يخدش التوحيد ويقدح فيه ؛ كما في حديث زيد بن خالد : « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي وكافرٌ بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنو كذا وكذا ، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب » والميزان كما قلت هو ما في القلب ؛ فمن علم أنَّ النعم كلها من الله صغيرها وكبيرها ، فذلك هو المؤمن الموحد ؛ فإن جرى على لسانه ما يخالف ذلك كان ذلك من قبيل الشرك الأصغر إلا أنه يخدش كمال التوحيد وهكذا قول من قال لولا الكلب لأتانا اللصوص ؛ لولا فلان لحصل كذا ، والمخرج من ذلك أن يبدأ في إسناد النعم بالله ثم يعطف سبب المخلوق عليها بشم ؛ لولا الله ثم كذا لحصل كذا ، فإذا فعل ذلك ؛ فإنه يعتبر قد أضاف النعمة إلى واهبها ؛ وهو الله ، وخرج من الشرك صغيره وكبيره وبالله التوفيق .

(١) انظر ابن جرير الطبري في التفسير (١٥٧ / ١٤) .

(٢) انظر الحديث وتوجيهه في ص ١٧٧ من كتاب الاستبصار في الأثر . [فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون]

قال الله تعالى : [فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون] [البقرة : ٢٢] وقال ابن عباس في الآية : " الأنداد : هو الشرك ؛ أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ؛ وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص ،

ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ؛ لاتجعل فيها فلاناً ؛ هذا كله به شرك " رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب **Ⓣ** أنّ رسول الله **Ⓜ** قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم ، وقال ابن مسعود : " لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً " (٤)

وعن حذيفة **Ⓣ** أنّ رسول الله **Ⓜ** قال : « لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح ، وعن إبراهيم النخعي : " أنّه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ؛ قال : ويقول : لولا الله ثم فلان ، ولايقول لولا الله وفلان .

الشرح : الند : هو النظير والمساوي ، والمقصود لاتتخذوا أنداداً لله عز وجل ، فتشركوا معه

- ١ (وفي نسخة فتح المجيد التي حققها الدكتور الوليد آل فريان : " والله وحياتك يا فلانة وحياتي " .
- ٢ (قال الدكتور الوليد آل فريان : " أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير رقم ٢٣٠ وسنده حسن كما في هامش ابن كثير (١ / ١١٠) وقال محققا القول المفيد : " وقال الشيخ سليمان في تفسير العزيز ص (٥٨٧) وسنده جيد " اهـ .
- ٣ (الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في ج ٣ / ٢٢٣ برقم الحديث ٣٢٥١ والترمذي في ج ٤ / ١١٠ برقم ١٥٣٥ وقال حديث حسن والبيهقي في ج ١٠ / ٢٩ برقم ١٩٦١٤ والحاكم في المستدرک على الصحيحين في ج ٤ / ٣٣٠ برقم الحديث ٧٨١٤ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وبنحوه في مسند الإمام أحمد في ج ٢ / ٦٩ وما بعدها برقم ٥٣٧٥ و ٥٥٩٣ و ٦٠٧٣ وصح رواية أحمد الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج ٢ / ١٠٦٧ برقم الحديث ٦٢٠٤ .
- ٤ (الأثر أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير في ج ٩ / ١٨٣ برقم الحديث ٨٩٠٢ والإمام عبد الرزاق في مصنفه في ج ٨ / ٤٦٩ برقم ١٥٩٢٩ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٣ / ٧٩ برقم ١٢٢٨١ .
- ٥ (الحديث أخرجه الإمام أبو داود في ج ٤ / ٢٩٥ برقم الحديث ٤٩٨٠ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٦ / ٢٤٤ برقم ١٠٨٢٠ وأحمد في ج ٥ / ٣٨٧٥ برقم ٢٣٣١٣ والطيالسي في ج ١ / ٥٧ برقم ٤٣٠ وابن أبي شيبة في مصنفه في ج ٥ / ٣٤٠ برقم ٢٦٦٩٠ وفي ج ٦ / ٧٤ برقم ٢٩٥٧٢ وقد صحح الألباني الحديث في صحيح =

فإنّ ذلك لايجوز ، وجعل المخلوق نداً للخالق يعم الشرك الأكبر والأصغر ؛ منه ما هو مخرج من الملة ، ومنه ما لا يخرج منها ؛ ولهذا قال ابن عباس : " الأنداد : هو الشرك " فسرّها بالشرك كبيره وصغيره حتى أنّ حلف الصحابة بالآباء قبل أن يمنع كان نوعاً من الشرك ؛ مع أنّه غير مخرج من الملة ، ولهذا قال ابن عباس : " الشرك : أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص " تقدم في شرك الإسناد أنّ هذا من شرك إسناد النعم ؛ وهو غير مخرج من الملة : " وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله

وفلان ؛ لاتجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك " هذا يكون من الشرك الأصغر ،
والخروج منه أن يقول لولا الله ، ثم فلان .

وعن عمر بن الخطاب **ط** أن رسول الله **ﷺ** قال : « من حلف بغير الله
فقد كفر أو أشرك » الحلف بغير الله شرك أصغر ، وسمي كفراً وشركاً ؛ لأنه جحدٌ لخصوصية
الله بالتعظيم ، فالله أعظم من كل عظيم ، وأولى من كل أحد من المخلوقين أن يحلف به ؛ لأنَّ
الحلف تعظيم للمحلوف به لكنَّه لا يخرج من الملة إلا إذا عرف من حال صاحبه أنه يعظم المخلوقين
أكثر من تعظيم الله ، وقد بلغنا أنَّ أناساً ممن يتهمون في سرقة أو غيرها يطلب منهم الحلف بالله
للبراءة فيحلفون ، ويطلب منهم الحلف بغير الله للبراءة فلا يحلفون ؛ وهذا يدل بأنهم يعظمون
المخلوق أعظم من الخالق ويخافون منه أعظم من خوف الخالق ، وهذا يعتبر شركاً ، وكفراً مخرجاً من
الملة .

أمّا مطلق الحلف فلا يحكم على صاحبه بالكفر ، ولا بالشرك الأكبر ؛ وقد كان الحلف بغير الله
مباحاً في أول الإسلام على عهد رسول الله **ﷺ** ثم منع بعد ذلك ؛ وقد جاء في الحديث المتفق عليه
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله **ﷺ** أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب
يحلف بأبيه فقال : « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »
فهذا يدل على أنَّ مطلق الحلف لا يكون من الشرك الأكبر .

= الجامع في ج ٢ / ١٢٣٤ برقم الحديث ٧٤٠٦ وأشار إلى تخريجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٣٧ .

٦ (أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت رقم (٣٤٧) .

١ (الحديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها ما جاء في باب لاتحلفوا بآبائكم في ج ٦ / ٣٤٤٩ برقم الحديث ٦٢٧٠
ومسلم في باب النهي عن الحلف بغير الله في ج ٣ / ١٢٦٧ برقم الحديث ١٦٤٦ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

وقال ابن مسعود **ط** : " لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف
بغيره صادقاً " وهذا فيه تنفير من الحلف بغير الله عز وجل ؛ ذلك لأنَّ أكبر الكبائر أهون
من الشرك الأصغر ، وقد جاء في الحديث : « أن أعرابياً جاء إلى النبي **ﷺ** فقال يا رسول الله **ﷺ** ما
الكبائر ؟ قال : الإشراف بالله . قال ثمَّ ماذا ؟ قال : عقوق الوالدين . قال ثمَّ ماذا ؟ قال : اليمين
الغموس . قلت : وما اليمين الغموس ؟ قال : الذي يقطع مال امرئٍ مسلم هو فيها كاذب »
فدل قول ابن مسعود هذا على أنَّ الحلف بالله كاذباً ؛ الذي يعد من جنس اليمين الغموس أقل من
الحلف بغير الله عز وجل ؛ وذلك أنَّ صغير الشرك أكبر من كبير الكبائر ، وفي حديث حذيفة **ط**
أنَّ رسول الله **ﷺ** قال : « لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا

ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح . هذا تعليم من الصحابي الجليل للأمة حتى لا يقعوا في الشرك الأصغر ؛ فإن من قال ما شاء الله ثم شاء فلان احتاط لنفسه بالبعد عن مواطن الشرك .

وجاء عن إبراهيم النخعي : " أنه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ؛ قال : ويقول : لولا الله ثم فلان ، ولا يقول لولا الله وفلان " أوصيك يا عبد الله أن تحذر من الشرك صغيره وكبيره ، وأن تباعد عنه بالتحرز من الألفاظ الموهمة ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في أول كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

١٥١

(٤٢) باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحلفوا بأبائكم ؛ من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله » رواه ابن ماجة بسند حسن .

الشرح : قوله باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله أي أنه لم يعظم الله حق تعظيمه من لم يرض بالحلف بالله ، ومن هنا جاءت مناسبتة للتوحيد ، فتوحيد الله عز وجل هو الإقرار له بالعظمة ، والكبرياء ، وأنه هو الخالق لهذا الكون ؛ المتصرف فيه ، وأن اسمه سبحانه وتعالى يجب أن يعظم إجلالاً له جلّ وعلا ، ولا يجوز أن يبتذل ، ويستخف بحقه ؛ لهذا أمر رسول الله ﷺ أن يحلف الناس

بربهم ، وأن من حلف بالله فإن الواجب عليه أن يصدق في حلفه ، وفي يمينه ، وأن الواجب على من حلف له بالله أن يرضى ؛ وإن غلب على ظنه بأن الحالف كاذب ؛ اعتقد بأن الله عز وجل سيجزيه بما يجزي به الكاذبين ؛ المتجرئين على الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا جاء ؛ ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله ؛ وهذا وعيد يدل على أن من لم يرض باليمين بالله عز وجل ، ويقنع به ، ويعلم بأن في الله خلف من كل شيء ؛ فهذا دليل على ضعف إيمانه وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه ابن ماجة في الكفارات باب من حلف له بالله فليرض وقال في الزوائد رجال إسناده ثقات ، وحسنه الحافظ في الفتح ج ١١ / ٥٣٦ وحسنه أيضاً الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وصححه الشيخ سليمان رحمه الله في التيسير ص (٩٥٦) على شرط مسلم " انظر تخرج محققا كتاب القول المفيد وقال الدكتور الوليد آل فريان :: " وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤٣ / ٢) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

(٤٣) باب قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة τ : " أن يهوديا أتى النبي ρ فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة . فأمرهم النبي ρ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت " رواه النسائي^(١) وصححه .

وله أيضاً عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي ρ : ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده " ولابن ماجة : عن الطفيل τ - أخي عائشة لأمها - قال : « رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود . قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزيز ابن الله . قالوا : وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما

شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفٍ من النصارى فقلت : إنَّكم لأنتم القوم لولا أنَّكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وإنَّكم لأنتم القوم لولا أنَّكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت . ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : هل أخبرت بها أحداً ؟ قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد فإن طفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم . وإنَّكم قلتم كلمة يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده .»

الشرح : هذا الباب فيه نُهي عن التشريك في المشيئة ولذا عطف بقوله : « وشئت » أي بالواو

- (١) الحديث أخرجه الإمام النسائي في سننه (المجتبى) في ج ٧ / ٦ برقم الحديث ٣٧٧٣ والحاكم في المستدرک على الصحيحين في ج ٤ / ٣٣١ في كتاب الإيمان والنذور برقم ٧٨١٥ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٣ / ١٢٤ برقم ٤٧١٤ وج ٦ / ٢٤٥ برقم ١٠٨٢٢ والطبراني في المعجم الكبير في ج ٢٥ / ١٤ برقم ٧ .
- (٢) أخرج هذه الرواية الإمام البيهقي في السنن الكبرى في ج ٦ / ٢٤٥ برقم ١٠٨٢٥ وفي ج ٣ / ٢١٧ برقم ٥٦٠٣ والإمام أحمد في ج ١ / ٢١٤ في مسند عبد الله بن عباس برقم ١٨٣٩ والخطيب في تاريخ بغداد في ج ٨ / ١٠٤ برقم الحديث ٤٢١٨ .
- (٣ - ٤) وفي نسخة دار الصميعي التي قام بتحقيقها الدكتور الوليد آل فريان : " وأنتم لأنتم القوم " .
- (٥) الحديث أخرجه ابن ماجة في الكفارات باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت ، وابن حبان في صحيحه في ج ٣ / ٢٨ برقم الحديث ٥٧٢٥ ، وفي المعجم الكبير للطبراني في ج ٨ / ٣٢٤ برقم ٨٢١٤ و ٥٧٢٥ ، وفي المعجم الكبير للطبراني في ج ٨ / ٣٢٤ برقم ٨٢١٤ و ٨٢١٥ ، وفي مصنف عبد الرزاق في ج ١١ / ٢٨ برقم ١٩٨١٣ وابن حبان في صحيحه في ج ٣ / ٢٨ برقم ٥٧٢٥ والدارمي في ج ٢ / ٣٨٢ برقم الحديث ٢٦٩٩ وأحمد في ج ٥ / ٧٢ برقم ٢٠٧١٣ .

وحينئذٍ كان شريكاً لله في المشيئة ؛ وهذا لا يجوز .

وقد أورد فيه حديث قتيلة : " أنَّ يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنَّكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت" الحديث .

يؤخذ من هذا : - أولاً : أنَّ الحلف لا يجوز إلا بالله سبحانه وتعالى ؛ فلا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالنبي ، ولا بجبريل ، ولا بأحدٍ من المخلوقين كائناً من كان ؛ إذ أنَّ الحلف تعظيم ، وتعظيم غير الله شرك ؛ إذا حلفت بهذا المعظم فإنَّك حينئذٍ تكون قد عظمتَه تعظيماً كتعظيم الله سبحانه وتعالى ؛ فإن احتج أحدٌ بأنَّ الله أقسم بأشياء كثيرة ؛ فينبغي أن يعلم هذا الذي يحتج هذا الاحتجاج أنَّ الله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه ، وإذا أقسم بما شاء من خلقه فإن قسمه به تشريفاً له ؛ أمّا نحن المخلوقين فلا يجوز أن نقسم بأحد غير الله سبحانه وتعالى ، وقد جاء في الحديث عن ابن عمر « أنه ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه ، فناداهم رسول الله ﷺ ألا إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت » وهذا ثابتٌ في صحيح البخاري ، فمن كان حالفاً بالنبي أو بالكعبة ؛ فليقل : ربِّ محمد أو ربِّ الكعبة وما أشبه ذلك .

ثانياً : النهي عن التشريك في المشيئة ؛ فلا يجوز للمكلف أن يقول لمكلفٍ مثله ما شاء الله وشئت أو لولا الله وأنت ؛ بل يجب أن يقول : ما شاء الله ثم شئت ، ولولا الله ثم أنت .
كذلك حديث ابن عباس : أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده " فالمشيئة هي في الحقيقة مشيئة الله ؛ فلا يمكن لأحدٍ أن يشاء غير ما شاء الله ؛ إذ أنَّ القدر قد كتب ، فالنافذة مشيئة الله ، ومشيئة العباد تأتي تبعاً لمشيئة الله عز وجل ، ولهذا جاء

ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلو أردت شيئاً والله لم يشأ أن يقع لم تقدر على إنفاذ تلك المشيئة إلا إذا أراد الله عز وجل ذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول : [إن هو إلا ذكر للعالمين & لمن شاء منكم أن يستقيم & وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين] [التكويد : ٢٧ - ٢٩] .
ثم أورد رؤيا الطفيل - أخي عائشة لأمرها - قال : » رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود . قلت :

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب من لم ير إكفار من قال ذلك متولواً أو جاهلاً ، وأخرجه أيضاً في كتاب الإيمان باب لا تحلفوا بآياتكم وأخرجه الإمام مسلم في أول كتاب الطهارة الموجز المصنف لتوحيد الخالق الممجّد

إتاكم لأنتم القوم لولا أتاكم تقولون : عزيز ابن الله . قالوا : وإتاكم لأنتم القوم لولا أتاكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد » أي فتشركون في المشيئة ، وبهذا يتبين أنَّ التشريك في المشيئة لا يجوز ، وأنَّ الخلاص من ذلك أن يقول العبد ما شاء الله وحده ؛ أو يقول ما شاء الله ثم شاء فلان .

ملحوظة :

ينبغي أن يعلم أنَّ التشريك في المشيئة يعد من الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة ، وبالله التوفيق .

(٤٤) بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ أَذَى اللَّهَ

وقول الله تعالى : [وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر] [الجاثية : ٢٤] .
وفي الصحيح عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار » وفي رواية : « لاتسبوا الدهر ، فإنّ الله هو الدهر » .

الشرح : الله سبحانه وتعالى هو الذي يقلب الدهر ؛ أي يقلب الزمان كيف يشاء ، فلا بد في الزمان من تقلبات يأتي فيه حر وبرد في الصيف والشتاء ، ويأتي في الزمان عسر ويسر ، وشدة ورخاء ، وحياة وموت ، وصحة ومريض ؛ أحياناً يسلط الله الآفات ، ويبتلي بالبلايا ، وأحياناً يمنح الله عباده العافية ، ويعطيهم النعم المتوالية ؛ أحياناً يبتلي بالحروب ، واستحكام الخوف وقلة الأمن ، ونحن نسمع بين حين وآخر ؛ إمّا زلازل مدمرة ، وإمّا فيضانات تأخذ الأخضر واليابس ، وتحتاج القرى ، وتذهب بالغلال ، وأحياناً تأتي أعاصير تحرق ما وقعت عليه والناس يرون هذه التقلبات ويعيشونها ، وبالأخص في زمننا هذا ، والكثير منهم لا يفكرون ، ولا يتأملون والله سبحانه وتعالى إمّا يسلط هذه الكوارث ليذكر عباده بأنّه هو المتصرف في الدهر ، فينبغي لهم أن يحرصوا على رضاه ،

وأن يتعدوا عن كل ما يسخطه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك أرضوا ربهم وضمنوا لأنفسهم الفلاح ، والفوز ، فلا يجوز للإنسان أن يسب الدهر إذا رأى ما يكره أو يسند إلى الزمان الشيء الذي قدره عز وجل ومنحه عباده ؛ لا يجوز هذا ، ولا ذاك ، فإن الله هو الذي يقلب الدهر ، ويصرفه لأنه هو الذي أوجد الليل والنهار ، والشمس والقمر ؛ وهو الذي أوجد الدهر ، فلا يجوز أن ينسب إلى الدهر شيء من النعم ، ولا يجوز أن يسب الدهر تسخطاً لما وقع فيه ، ومن الملاحظ أن كثيراً من الناس يسمّون الكوارث من زلازل مدمّرة ، وأعاصير مهلكة لما وقعت عليه ، وفيضانات ، وغير ذلك يسمّون هذه الأمور كوارث طبيعية ، وهذا يعتبر شركاً وقد يكون من الشرك الأكبر حينما ينسبون هذه الكوارث إلى الطبيعة ، وينسون خالق هذا الكون ، والمتصرف فيه ، والله سبحانه يقول في ردّه على المشركين : [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم —

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب : [وما يهلكنا إلا الدهر] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها باب النهي عن سب الدهر .

الشرح الموجز المممد لتوحيد الخالق الممجد

ظهير [سبأ : ٢٢] ويقول : [إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير] [فاطر : ١٤] فيجب على المسلم أن يعلم أن الله عز وجل هو المتصرف في هذا الكون بأسره ليس لأحد معه ملك ولا شراكة ، وبالله التوفيق .

(٤٥) باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة ر عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَىٰ مَلِكُ الْأَمْلَاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ » قال سفيان : مثل شاهان شاه .

وفي رواية : « أَغْيِظَ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثَهُ » .
قوله : « أَخْنَعٌ » يعني : أَوْضَعُ .

الشرح : أقول في هذا الباب كراهة التسمي بقاضي القضاة ، وملك الملوك أو ملك الأملاك إذ أَنَّ اللَّهَ هُوَ قَاضِي الْقَضَاةِ ؛ أَيِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ، وكذلك ملك الملوك أو ملك الأملاك ، فالله هو الملك ، وقد أثبت الله عز وجل اسم الملك في القرآن بقوله : [وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا] [الكهف : ٧٩] فالتسمي بالملك جائز ؛ لكن الخذور والممنوع أن يتسمى بملك الملوك أو ملك الأملاك ؛ وهذه الصفة لاتليق إلا بالله عز وجل ، ولا يجوز لأحد أن يتسمى بها ومثل ذلك قاضي القضاة ؛ إذ أَنَّ قَاضِي الْقَضَاةِ هُوَ اللَّهُ ، ولكن يقال رئيس القضاة أو ما أشبه ذلك .

لربما قيل : ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد الذي يحذر من الشرك ، ويأمر بالتوحيد : فأقول : التشريك في التسمية بأن يتسمى شخص بأنه ملك الملوك ، فهذا فيه مظاهرة لله عز وجل بهذه التسمية ، فلذلك منعت ، ويقاس عليه التسمي بقاضي القضاة ؛ فلا يجوز لأحد أن يتسمى بهذا

الاسم ؛ لا بقاضي القضاة ، ولا بملك الأملاك أو ملك الملوك لما في هذين الاسمين من المضاهاة لله عز وجل .

أمّا كلمة شاهان شاه ؛ فهو بمعنى ملك الملوك ؛ بلغة فارس ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب أبغض الأسماء إلى الله تعالى ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الآداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك .

٢ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الآداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١٥٨

(٤٦) باب احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح **ط** : أنّه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي **ﷺ** : « إنّ الله هو الحكم ، وإليه الحكم ، فقال : إنّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني ، فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين فقال : ما أحسن هذا ، فمالك من الولد ؟ قلت : شريح ومسلم وعبد الله ؛ قال فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح قال : فأنت أبو شريح » رواه أبو داود ، وغيره .

الشرح : في هذا الحديث فيه تغيير الاسم الذي يكون فيه مشابهة لاسم الله عز وجل ، وهذا أبو شريح الخزاعي جاء إلى النبي **ﷺ** وهو يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي **ﷺ** : « إنّ الله هو الحكم وإليه الحكم » ولما سأله عن أسماء أبنائه ، وأخبره بذلك كنّاه أبا شريح ، وعلى هذا فإن الواجب احترام أسماء الله تعالى ، وعدم الاعتداء عليها بشيء من المشابهة ، وهذا من الاحترام الواجب لأسماء الله تعالى ؛ قلت ومن أسماء الله تعالى الحكم العدل ، والله تعالى يقول : [والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون] [الأعراف : ١٨٠] وتجوز المشابهة لأسماء الله في ما ورد به الإذن في النصوص كالمملك ، وما أشبه ذلك وبالله التوفيق .

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في ج ٤ / ٢٨٩ باب في تغيير الاسم برقم الحديث ٤٩٥٥ والإمام النسائي في سننه (المجتبى) في ج ٨ / ٢٢٦ باب إذا حكموا بينهم رجلاً قضى بينهم برقم ٥٣٨٧ والإمام النسائي في السنن الكبرى في ج ٣ / ٤٦٦ باب إذا حكموا رجلاً ورضوا به برقم ٥٩٤٠ والإمام البيهقي في سننه في ١٠ / ١٤٥ باب ما جاء في التحكيم برقم ٢٠٢٩٨ .

(٤٧) باب من هزل بشيءٍ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : [ولئن سألتهم ليقولنَّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن] [التوبة : ٦٧] .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة **ψ** - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجلٌ في غزوة تبوك : « ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله **ρ** وأصحابه القراء - فقال له عوف بن مالك **τ** : كذبت ، ولكنك منافق لأخبرنَّ رسول الله فذهب عوف إلى رسول الله **ρ** ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله **ρ** وقد ارتحل ، وركب ناقته ، فقال يا رسول الله : إنما كنا نخوض ، ونتحدث حديث الركب ؛ نقطع به عتاً الطريق ؛ قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله **ρ** وإنَّ الحجارة تنكب رجليه ؛ وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله **ρ** : [أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه .

الشرح : يؤخذ من هذا كفر من هزل بشيءٍ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ، فمن استهزئ بشيءٍ من ذلك ؛ فإنه يعتبر قد كفر كفراً يخرج منه الملة .

يقصد بقول هذا الرجل^(٢) ؛ يقصد بقوله هذا رسول الله ، والعياذ بالله ، ويقصد به أصحابه القراء . إنَّ رسول الله **ρ** كان غاية في الشجاعة ؛ كانوا يتقون به إذا احمرَّ الحدق ، فلما انهزم بعض من كان معه يوم حنين ؛ جعل النبي **ρ** يركض ببغلة إلى العدو ؛ ويقول :

« أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(٤) »

- ١) وفي نسخة دار التوحيد التي قامت بطبع شرح كتاب التوحيد لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ورد فيها رواية : " نقطع به عناء الطريق " اهـ .
- ٢) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره في ج ١٠ / ١٧٣ عند تفسير سورة التوبة آية ٦٧ وقال الدكتور آل فريان : " وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٤ / ٢٣٠) وإسناده حسن " اهـ .
- ٣) أي قول المنافق كما في الحديث : " ما رأينا مثل قرأنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب أنسناً ، ولا أجبن عند اللقاء " .
- ٤) الحديث متفق عليه من حديث البراء بن عازب r فقد أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير باب في بغلة النبي p البيضاء وفي باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر ، وفي باب من قال خذها وأنا ابن فلان ، وفي باب قول الله تعالى : [ويوم نحين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا] وكذا أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين .

ويوم أحد كان كذلك ثابت الجأش ؛ قوياً حتى ضرب المغفر على رأسه ، وغاص في وجنته فشجَّ بذلك ، وقال : « كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم » أو «^(٢) حضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل » ولقد كان القراء يشبتون غاية في الشبات ؛ ثبتوا يوم قتال مسيلمة حتى إنَّ الواحد منهم ليحفر لرجليه كما يقال حتى لا يفر ، وقتل منهم يوم حرب مسيلمة خمسمائة (٥٠٠) قتيلاً من القراء ؛ حتى خاف الصحابة أن القرآن يضيع بعضه .

والمهم أن كذب هذا الرجل واضح غاية الوضوح ، وإنما حمّله على ذلك النفاق ، والله سبحانه وتعالى يقول : [لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين] [التوبة : ٦٦] فيجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء من الاستهزاء بكتاب الله أو بسنة رسول الله p فإنَّ في ذلك الهلكة .

ملحوظة :

معنى أرغب بطونا " أي يصف المنافق الرسول p وأصحابه رضي الله عنهم بكثرة الأكل وهذا ذمُّ لهم ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ، والإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد ، وقد تقدم بيان ما فيه من الفوائد تحت باب قول الله تعالى : [أبشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون] .
٢ (هذه الرواية وردت عند الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ، وعند الإمام أحمد رحمهما الله في مسند باقي المكثرين من حديث أنس بن مالك ؓ برقم ١٢٤٢٠ و ١٢٧٢٥ بترقيم إحياء التراث .

(٤٨) (باب قول الله تعالى : [ولئن أذقناه رحمةً منّا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي]

وقول الله تعالى : [ولئن أذقناه رحمةً منّا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إنّ لي عنده للحسنى فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذابٍ غليظ] [فصلت : ٥٠] قال مجاهد : هذا بعلمي ، وأنا محقّق به ؛ وقال ابن عباس : يريد من عندي ، وقوله : [إنّما أوتيته على علمٍ عندي] [القصص : ٧٨] قال قتادة : على علمٍ مّيّ بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علمٍ من الله أيّ له أهلٌ . وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة ؓ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرتني الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطاني لونا حسناً وجلداً حسناً . قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو قال البقر - شك إسحاق إلّا أنّ الأبرص أو الأقرع ؛ قال أحدهما : الإبل ، وقال الآخر البقر - فأعطني ناقة عَشْرَاء فقال : بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع ؛ فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني هذا الذي قد قذرتني الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطاني شعرا حسناً . قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، فأعطني بقرة حاملا ، فقال : بارك الله لك فيها ؛ قال : فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلي بصري ، فأبصر به الناس . قال : فمسحه ، فرد الله إليه بصره . قال : فأني المال أحب إليك ؟ قال : الغنم

١ (أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ج ٢٥ / ٣ عند سورة فصلت آية ٥٠ وابن زنين في تفسيره في ج ٤ / ١١٥ عند تفسير سورة الزمر وفي ج ٤ / ١١٥ من الآية ٤٩ إلى آية ٥٢ والبخاري في كتاب التفسير باب في تفسير سورة حم السجدة في ج ٤ / ١٨١٥ .

٢ (أخرجه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦ / ٤٤٠) .

٣ (أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي كما في المصدر السابق .

٤ (أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير في ج ٢٤ / ١٢ وقال الدكتور وليد آل فريان في فتح المجيد : " وأخرجه الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٧ / ٢٣٤) .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١٦٢

فأعطي شاة والدأ ، فأنتج هذان ، وولّد هذا . قال : فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين ، قد انقطعت بي

الحيال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ؛ أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال ؛ بغيراً أتبلغ عليه في سفري ؟ فقال : الحقوق كثيرة ؛ فقال له : كأني أعرفك ؛ ألم تكن أبرص يقذك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت . قال : وأتى الأقرع في صورته ، فقال له : مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد على هذا ، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ؛ قال : وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل ؛ انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ؛ أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى ، فرد الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتكم ، فقد رضي عنك ، وسخط على صاحبك » أخرجاه .

الشرح : هذا الباب فيه النهي عن الإدلال على الله بالعمل أو المنزلة ؛ وحيث أنّ ذلك يصير به الإنسان نفسه شريكاً مع الله ؛ حيث نسب النعمة التي أنعم الله بها عليه إلى علمه ، ومعرفته أو إلى مقامه عند ربه ومنزلته .

فإن كان المعنى أنّ هذا حصل لي بعلمي ، ومعرفتي بوجوه المكاسب ؛ فهذا إدلالٌ بعمله ، وأنّه بعمله ذلك حصل له ما حصل ، وفي ذلك جحدٌ لنعمة الله عز وجل ، وإن كان المعنى هو الإدلال بالمنزلة ؛ فكذلك أيضاً فيه جحدٌ لنعمة الله وفضله ؛ حيث أنّ الله سبحانه وتعالى يتفضل على عباده بالنعم من غير حقٍّ لهم عليه ؛ إذ كل النعم هي من الله فضلٌ ، ولكون هذا فيه شيءٌ من الجحود لنعم الله ، وجعل الإنسان لنفسه منزلةً استحق بها ذلك ؛ فلذلك كان هذا داخلاً في

الشرك ، ومناقضٌ لكمال التوحيد .

وعلى هذا المعنى جاء ابتلاء الثلاثة ، فاثنتان منهم سقطوا في هذا الابتلاء ، وحملهم ما عندهم من الجهل إذ نسوا ما كانوا عليه ، وما صيرهم الله إليه ، فمنعوا ، وحملهم الشيطان على البخل وجحود نعمة الله ، فسقطوا في الابتلاء ، والامتحان ، وأما الثالث ؛ وهو الأعمى الذي كان أعمى ؛ فإنه عرف نعمة الله عليه ، وبذل لربه سبحانه وتعالى ؛ شاكرًا لنعمته ، ومثنياً عليه بما فكان له الفلاح ، والفوز نعوذ بالله من السقوط في الامتحان والابتلاء ، ونعوذ به من غضبه جلّ وعلا ؛ ألا يرى الإنسان أنه كان مبتلى مصاباً بعاهة ، ومستقذراً من قبل الناس ، فشفاه الله من ذلك الداء ، وأعطاه المال الذي ساد به ، وكان مقبولاً عند الخلق ؛ هذا لو تفكّر العبد فيما كان عليه ، وما آل أمره إليه لكان في ذلك عظةً له وعبرة تحمله على أن يشكر الله على ما أعطاه من المال ، واللون الحسن ؛ ولكن نعوذ بالله من الخذلان .

ويؤخذ من هذه القصة :

أنّ العبد لا يركن ؛ ولا يأمن ، فقد يكون ما أعطاه الله إياه ابتلاءً ، وامتحاناً ؛ كما قال جلّ من قائل : [وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلّا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون] [سبأ : ٣٧] وبالله التوفيق .

(٤٩) **باب قول الله تعالى : [فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون]**

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله ؛ كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب .
وعن ابن عباس ؓ في الآية ؛ قال : لما تغشاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس : فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ؛ لتطيعنني أو لأجعلنّ له قرني أيل ، فيخرج من بطنك ، فيشقه ، ولأفعلنّ ، ولأفعلنّ ؛ يخوفهما ؛ سمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت ، فأتاهما ، فذكر لهما ، فأدركهما حبّ الولد ، فسمياه عبد الحارث ، فذلك قوله : **[جعلا له شركاء فيما آتاهما]** رواه ابن أبي حاتم .
وله بسند صحيح عن قتادة ؛ قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته .

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : **[ولئن آتيتنا صالحاً]** قال : أشفقنا أن لا يكون إنساناً ، وذكر معناه عن الحسن ، وسعيد ، وغيرهما .

الشرح : قول ابن حزم : " اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله ؛ كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب " ابن حزم هو عالم الأندلس في زمنه ؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري توفي سنة ٤٥٦ هـ وله ٧٢ سنة ، وقد حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عبّد لغير الله ؛ لأنّه شرك في الربوبية ، والإلهية ، ولأنّ الخلق كلهم

(١) سورة الأعراف آية ١٩٠

(٢) ابن حزم في مراتب الإجماع (١٥٤) .

(٣) ابن أبي حاتم في التفسير وأخرجه سعيد بن منصور ، وابن المنذر ؛ كما في الدر المنثور (٣ / ٦٢٤) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير رقم (١٥٥٢١) .

(٥) ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور (٣ / ٦٢٦) نقلًا عن الدكتور الوليد آل فريان ؛ وأخرجه ابن جرير الطبري في ج ٩ / ١٤٤ عند تفسير سورة الأعراف آية ١٩٠ وابن زنين في ج ٢ / ١٥٩ وابن كثير في تفسيره ٢ / ٢٧٥ .

ملكٌ لله ، وعبيدٌ له ؛ خلقهم لعبادته ، وأمرهم بتوحيده ، فلا يجوز لأحدٍ منهم أن يعبد ولده لغير خالقه ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله ، ومن هنا نعلم أن ما يعملُه الرافضة من تعبد أبناءهم لغير الله عز وجل كعبد الزهراء ، وعبد الكاظم ، وعبد الحسين ، وما إلى ذلك أنه شركٌ بالله .
 أمّا استثناء عبد المطلب ، وأنَّ هذه التسمية لا يقصد بها العبودية ، فهذا فيما يظهر متفقٌ عليه ولاشك أنَّ التعبد لله رب العالمين هو الواجب على المسلم ، وقد قال النبي **ﷺ** في غزوة حنين :
 أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(١)

وعن أنس بن مالك يقول: « بينما نحن جلوس مع النبي **ﷺ** في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ، والنبي **ﷺ** متكئ بين ظهرائهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ؟ فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ، فقال له النبي **ﷺ** : قد أجبتك » الحديث^(٢) ، فيكون مستثنى بهذا الإقرار .

وعن ابن عباس **رضي الله عنهما** في الآية ؛ قال : لمّا تغشاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس : فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ؛ لتطيعنني أو لأجعلنَّ له قرني أيل . الحديث .

أقول : في صحة هذا منسوباً إلى آدم نظر ، ولكن كونه من ذرية آدم من فعل ذلك فهذا لا يبعد إذ أنَّ صدور الشرك من آدم وزوجته ؛ مع علمهما بكيد عدوهما الشيطان الرجيم في ثبوته نظر إذ أنَّ قوله : « لتطيعنني أو لأجعلنَّ له قرني أيل » هذا يعني تصديق للشيطان في أنَّه يقدر أن يحول ما في بطنها من خلقه إنسان إلى خلقه حيوان ، ومن صدق بهذا فإنه يعتبر قد أشرك شركاً أكبر ولكن طاعته في التسمية لا تكون من الشرك الأكبر ؛ بل تكون من الشرك الأصغر ، وعلى ذلك فقول قتادة جعلاً له شركاء في طاعته ؛ ولم يكن في عبادته ، ولعلَّ ذلك حصل لهما برؤيا ظناً أنَّها حقٌ وهي باطل .

وأخيراً : أقول اللهمَّ إنا نبرأ من اتهام آدم بذلك ؛ أمّا كونه من ذريتهما فهذا لا يبعد ، وبالله التوفيق .

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ١٥٨ الحاشية رقم ٤ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب ما جاء في العلم وقول الله تعالى : [وقل رب زدني علماً] .

(٥٠) **باب قول الله تعالى : [ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون]**

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس **ط** : يلحدون في أسمائه يشركون وعنه : سمّوا اللات من الإله ، والعزّى من العزيز ؛ وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

الشرح ^(١) وأقول قوله تعالى : [ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه] هذا أمر من الله سبحانه وتعالى لعباده بأن يدعوه بالأسماء الحسنى ، وفي الحديث المتفق عليه : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » ^(٢) وأسماء الله عز وجل أكثر من ذلك بدليل ما جاء في الحديث عن النبي **ﷺ** قال : « مَا أَصَابَ أَحَدٌ قَطُّ هَمًّا ، وَلَا حَزَنًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أَمْتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ؛ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ؛ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ؛ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ؛ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ ؛ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ؛ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؛ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حَزَنِي ، وَذَهَابَ غَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ حَزَنَهُ ، وَهَمَّهُ ، وَأَبْدَلَ مَكَانَهُ فَرَحًا ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفَلَا نَتَعَلَّمُهُ ؟ فَقَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا » عزاه ابن كثير إلى مسند أحمد بن حنبل رحمه الله من طريق يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله **ﷺ** وقال بعد ذلك ؛ فقد أخرجه أبو حاتم ، وابن حبان البستي في صحيحه بمثله . ^(٤)

قوله : « الحسنی » وهي كل اسمٍ تضمنَ كمالاً كالعليم ، والحكيم ، والرحيم ، وما أشبه —

- ١ (سورة الأعراف آية ١٨٠ .
- ٢ (أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور (٣ / ٦١٦) .
- ٣ (متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في كتاب الدعوات باب الله مائة اسم غير واحد ، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها من حديث أبي هريرة **ط** .
- ٤ (الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه في ج ٣ / ٢٥٣ برقم الحديث ٩٧٢ باب ذكر الأمر لمن أصابه حزنٌ والحاكم في المستدرک علی الصحیحین في ج ١ / ٦٩٠ برقم ١٨٧٧ في كتاب الدعاء والتكبير والتسبيح والذكر وأحمد في ج ١ / ٣٩١ برقم ٣٧١٢ في آخر أحاديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذا رواه في ج ١ / ٤٥٢ برقم ٣١٨ وأخرج الحديث أيضاً في مسند الحارث (زوائد الهيثمي في ج ٢ / ٩٥٧ برقم ١٠٥٧ وأبو يعلى في ج ٩ / ١٩٨ برقم ٥٢٩٧ والطبراني في المعجم الكبير في ج ١٠ / ١٦٩ برقم ١٠٣٥٢ وعبد الرزاق في مصنفه في ج ١١ / ٣٢٣ برقم ٢٠٦٥٩ وابن أبي شيبة في ج ٦ / ٤٠ برقم ٢٩٣١٨ .

ذلك ؛ لكن إذا وصف الله أو سَمِيَ بما لم يكن فيه مدحٌ كقوله تعالى : [قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيدٌ بيني وبينكم] [الأنعام : ١٩] فسمّاه شيئاً ، ولكن لكون الشيء لا يكون فيه مدحٌ ولا يدل على صفة كمال فلا يدعى به ، فلا يقال يا شيء أعطني أو ارزقني .

وكذلك مما جاء في الحديث : « لا شخص أغير من الله » فهذا أيضاً لا يتضمن كمالاً ، فلا يدعى به ، وصف الله نفسه بأوصاف على سبيل المقابلة ؛ لا تكون مدحاً إلا إذا جاءت على سبيل المقابلة ، فقال تعالى : [ويمكرون ويمكر الله] [الأنفال : ٣٠] وقال : [إنهم يكيّدون كيّداً & وأكيّد كيّداً] [الطارق : ١٥ - ١٦] وقال : [وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال] [الرعد : ١٣] وهذه الخصال إذا انفردت تكون ذمّاً ؛ لكن وردت في سياق المقابلة ؛ لما يعمل الكفار من المكر بدينه ، وأوليائه ، والكيّد لهم ، والخذاع لهم ؛ كما في قوله : [إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم] [النساء : ١٤٢] فهذه الأسماء لا يدعى بها ؛ لأنّها لم تشتمل على مدحٍ إلا على سبيل المقابلة ، والمجازاة لأعداءه .

والمهم أنّ الله لا يدعى إلا بالأسماء الحسنى ؛ التي اشتملت على نعوت كمال ، وخصال جلال . أمّا قوله : [وذروا الذين يلحدون في أسماءه] فالإلحاد هو الميل بالشيء عن سمته ؛ قال ابن كثير : " وأصل الإلحاد في كلام العرب العدل عن القصد ، والميل ، والجور ، والانحراف ، ومنه اللحد في القبر ، وذلك أنّ العرب ألحدوا في أسماء الله ، فجعلوها لغيره ، واشتقوا أسماء آلهتهم منها فسموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز ؛ كما روى ذلك ابن جريج عن مجاهد ، وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس الإلحاد التكذيب ، ولهذا جاء عن ابن عباس يلحدون يشركون وقال الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها " اهـ بتصرف .

وأقول هذه أوصاف عاب الله فيها المشركين ، وذمهم بها ؛ لذلك فإنّ الواجب على المسلمين أن يجلوا أسماء الله ، ويعرفوا حقها ، وما اشتملت عليه من الكمال ؛ الذي لا يوازيه فيه أحد ونحن إذا تأملنا أسماء الله نجدّها كاملة أعظم الكمال ، وحسنة في غاية الحسن ، فإذا وصفنا الله عز —

(١) وردت هذه اللفظة معلقة عند الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول النبي **p** : " لا شخص أغير من الله ، وقال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك : " لا شخص أغير من الله " وأخرجه الإمام مسلم في أول كتاب اللعان من حديث المغيرة بن شعبه **ؓ** قال : قال سعد بن عباد **ؓ** : " لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربت بالسيف غير مصفح عنه ، فبلغ ذلك رسول الله **p** فقال : أتعجبون من غيرة سعد ، فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ؛ من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله ؛ من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدحة إليه من

وجل بالحكمة ، ونظرنا في مخلوقاته ؛ نجد أنّ الله عز وجل قد جعل لكل مخلوق ما يناسبه فالإنسان كرمه الله ، وسواه في أحسن خلق ، فإن أطاع ربه ، وعرف حقه عليه أعطاه من مواهبه وقدرته ، وإفضاله الشيء الكثير ، والجزاء الحسن ، ومن ذلك قوله : [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة] [يونس : ٢٦] وقوله : [ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم & ثم رددناه أسفل سافلين & إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون] [التين : ٤ - ٦]

وقوله : [من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون] [النحل : ٩٧] فانظر أخي المسلم كيف خلق الله كل شيء وهيبته للمقصود منه ، فالتى خلقت للحمل كالإبل ، والخيول ، والبغال ، والحمير ؛ انظر كيف خلقت مناسبةً للحمل عليها ، والركوب ، وهكذا جعل الله لكل شيء ما يناسبه :

من صور النطفة في الأرحام	وأنطق الإنسان بالكلام
أمن بشكل الآدمي قد عني	سواه في خلقٍ عظيم متقن
إذ جعل الوجه بأعلى والبصر	لكي يكون مدركاً لما نظر
وإن تكن قد جعلت في الركبتين	ما نظرت غير محل القدمين
ثم اللسان والشفاه قد عرى	عن شعرٍ لحكمةٍ لا تزدري
سل شعر الأجنان من قوسه	بحكمةٍ للعين قد ألبسه
وكل أصبعٍ بظفرٍ شدها	لكي يقويها به أمدّها
قد جعل المدخل في أعلى الجسد	ومخرجاً في أسفلٍ للنبيذ قد
هيئه ري بتفصيلٍ عجيب	يهدي إلى الإيمان ذا العقل الأريب

وبالله التوفيق .

(٥١) باب لا إله إلا الله على الله

في الصحيح عن ابن مسعود **ر** قال : كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ **ر** فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلَامَ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ **ر** : « لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَام » .

الشرح : وأقول المستنكر هنا قولهم السلام على الله من عباده لأنَّ السلام معناه دعاء بالسلامة من النقائص والآفات ، والله سبحانه وتعالى غني عن ذلك لم يكن في حاجة أحد من عباده لأنَّه هو السلام ، ومنه السلام أي هو اسمه السلام ، ومنه السلام فهو يمنح عباده السلامة ، ويوفقهم لما فيه صلاحهم ، وسلامتهم في الدنيا والآخرة ، وقد كان النبي **ر** إذا انصرف من الصلاة استغفر ثلاثاً ثم قال : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » قال في فتح

الجيد : " ومعنى قوله **p** : « إِنَّهُ هُوَ السَّلام » أَنَّه تعالى سأل من كل نقص ، ومن كل تمثيل ، فهو الموصوف بكل كمال ؛ المنزه عن كل عيبٍ ونقص " قلت العباد كلهم بحاجةٍ إلى ربهم سبحانه وتعالى يذكرونه باسمه السلام ، ويطلبون منه السلامة في مبادئ الأمور ، وعواقبها ، ولهذا وجه النبي **p** أمته إلى أن يسألوا ربهم سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة التي تتم بها سلامتهم ولهذا يكون دعاء الرسل يوم القيامة على الصراط : « اللهم سلم سلم » وقد روى أبو بكر **ؓ** أن النبي **p** قال له لما سأله أن يعلمه دعاءً يدعوا به : « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » نسأل الله عز وجل أن يسلمنا من كل سوء ومكروه ، وأن يشبثنا على الحق حتى نلقاه ونُحن على ذلك ، وبالله التوفيق .

- ١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة .
- ٢ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان سببه .
- ٣ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب فضل السجود ، وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : [وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة] من حديث أبي هريرة **ؓ** وأورد الحديث الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من حديث أبي سعيد الخدري **ؓ** .
- ٤ (الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام ، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء في الصلاة ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : [وكان الله سميعاً بصيراً] وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر .

(٥٢) باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة **ؓ** أن رسول الله **p** قال : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ؛ اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة ؛ فإن الله لا مكروه له » .

ولمسلم : « وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه » .

الشرح : قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : " بخلاف العبد ؛ فإنه قد يعطي السائل مسألته حاجته إليه أو خوفه منه أو رجائه ، فيعطيه مسألته وهو كاره .

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول ؛ مخافة أن يعطيه وهو كاره ؛ بخلاف رب العالمين تعالى ؛ فإنه لا يليق به ذلك ؛ لكمال غناه عن جميع خلقه ؛ وكمال جوده وكرمه ، وكلهم فقيرٌ إليه ؛ محتاجٌ لا يستغني عن ربه طرفة عين ، وعطاؤه كلام ، وفي الحديث : « يمين الله ملأى ؛ لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ؛ أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ؟ لم يَغْضُ ما في يمينه ، وفي يده الأخرى القسط يخفضه ، ويرفعه » يعطي تعالى لحكمة ، ويمنع لحكمة ؛ وهو الحكيم الخبير " اهـ .

وأقول : إنَّ مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد حتى لا يشبه الله عز وجل بخلقه ؛ فإنه إن قال : « اللهم اغفر لي إن شئت » فكأنما ظنَّ به البخل أو العُدْم أو تعاظم المسألة ؛ كما أنَّ هذه صفة المخلوقين ، وقام الحديث عند مسلم : « وليعظم الرغبة ، فإنَّ الله لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه » . ملحوظة :

ينبغي أن نعلم أنَّ الله عز وجل كريمٌ بل هو أكرم الكرماء ، وأنَّ الله غنيٌّ لا يعدم ، وكريم لا يبخل فإن لم تحصل للإنسان طلبته التي طلبها من ربه ؛ فإنه ينبغي أن يعلم أنَّ ذلك إنما كان مانعٍ من الموانع ؛ وهو إمَّا أن يكون أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يعطه مسألته من أجل أنه يريد أن يدخر له ذلك عنده إلى يوم القيامة أو من أجل أنَّ الله يريد أن يصرف عنه من الشر بقدر مسألته تلك أو من أجل أنَّ الله عز وجل يرى المصلحة في عدم إجابته في الدنيا أو من أجل أن دعوته كان ينقصها

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة فإن الله لا مكروه له ، وأخرجه في كتاب التوحيد باب المشينة والإرادة ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت .
٢ (أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت .

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

١٧١

الإخلاص والإيمان أو غير ذلك من الموانع ... فلا يجوز للعبد أن يظنَّ بربه ظنًّا سيئًا ؛ بل يجب عليه أن يعتقد أن عدم الإجابة حاصلٌ من قبل نفسه هو ، وفي الحديث : « ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إمَّا أن تعجل له دعوته ، وإمَّا أن يدخرها له في الآخرة ، وإمَّا أن يصرف عنه من السوء مثلها ؛ قالوا : إذا نكثنا ؛ قال : الله أكثر » رواه أحمد ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسند باقي المكثرين من الصحابة من حديث أبي سعيد الخدري **ط** برقم الحديث ١٠٧٤٩ بترقيم إحياء التراث ، وقال عنه الإمام الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم الحديث ٤٨٣ في ج ٩ / ٦٧ طبعة مكتبة المعارف : " أخرجه أحمد (٣ / ١٨) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والحاكم (١ / ٤٩٣) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو كما قال " اهـ .

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

(٥٣) باب لا يقول عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة **ط** أنّ رسول الله **م** قال : « لا يقولنّ أحدكم : أطعم ربك وضيء ربك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل فتاي وفتاتي ، وغلامي »

الشرح : في هذا الباب النهي^(١) عن إطلاق الرب على المولى الأعلى ؛ يعني المالك أو المعتق والنهي عن إطلاق عبدي وأمتي على المولى الأسفل ؛ وهذا نهي عن التشبيه في اللفظ ؛ وإن كان جائزاً إلا أنّ الأولى والأبلغ في الأدب ألا يقول المولى الأسفل لمولاه الأعلى ألا يقول له : ري ولا يقال : أطعم ربك ، وضيء ربك ، ومن باب الأدب أن يقال : فتاي ، وفتاتي بدل عبدي وأمتي ؛ من أجل أن يكون ذلك تحقيقاً للتوحيد ، فينهى عن التشابه في الألفاظ أدباً مع الله عز وجل ؛ لما في ذلك من كمال التوحيد ، فأبدل بدل رب سيد ومولى ، وبديل عبدي وأمتي فتاتي وفتاتي ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العتق باب كراهة التطاول على الرقيق ، ومسلم في كتاب الأدب باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة .

الشرح الموجز للممجد لتوحيد الخالق الممجد

١٧٣

(٥٤) باب لا يريد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من استعاذ بالله فأعيزوه ومن سأل الله بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

الشرح : ترجمة هذا الباب أنه لا يريد من سأل بالله ؛ فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى وخول ، ويسر للعبد الرزق ، والمال ، ويسر له الأسباب الجالبة للخير ، وقواه على ذلك ذهنيًا وجسديًا ، فإذا سئل أحد بالله فإنه ينبغي للمسؤول أن يتذكر نعمة الله عليه ، وإكرامه إياه بأن جعله مسؤولاً لاسئلاً ، ومعطياً متفضلاً على غيره بسبب ما خوله إياه ، ومن حق هذا المنعم عليه أن يعطي من أجله أي من أجل الله ، وليس معنى ذلك أن يعطي السائل ما سأل ، ولكن أن يعطيه على قدر استطاعته بحسب ما تيسر له ، ولهذا جاء في الحديث : « من سأل بالله فأعطوه » أي ابذلوا له ، وأطيعوا ربكم في البذل له ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ندب العباد إلى الإنفاق في غير ما آية قال جل من قائل : [فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى & وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى & فَسَنِيسِرْهُ لِلْإِسْرَى] [الليل : ٥ - ٧] وقال : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ & الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] [البقرة : ٢٦٧ - ٢٦٨]

وقال سبحانه : [ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب] [البقرة : ١٧٧] وقال جل من قائل : [والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم] [المعارج : ٢٤ - ٢٥] .
والمهم أن الله ندب عباده للإِنفاق كل بحسب حاله .

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه (المجتبى) في ج ٥ / ٨٢ برقم الحديث ٢٥٦٧ باب من سأل بالله عز وجل وأبو داود في سننه في ج ٢ / ١٢٨ باب عطية من سأل بالله ، وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه في ج ٨ / ١٩٩ برقم ٣٤٠٨ باب ذكر الأمر بالمكافأة لمن صنع المعروف والشهاب في مسنده في ج ١ / ٢٦٠ برقم ٢٩٥ و ٤٢١ والخاري في الأدب المفرد في ج ١ / ٨٥ برقم ٢١٦ والطبراني في المعجم الكبير في ج ١٢ / ٣٩٧ برقم ١٣٤٦٥ والحاكم في المستدرک على الصحيحين في ج ١ / ٥٧٢ برقم ١٥٠٢ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٤ / ١٩٩ برقم ٧٦٧٩ والطيالسي في مسنده في ج ١ / ٢٥٧ برقم ١٨٩٥ وأخرجه أحمد في مسنده في ج ٢ / ٦٨ في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب برقم الحديث ٥٣٦٥ وفي ج ٢ / ٩٩ برقم ٥٧٤٣ وفي ج ٢ / ١٢٧ برقم ٦١٠٦ وفي مسند عبد بن حميد في ج ١ / ٢٥٦ برقم ٨٠٦ .

وفي هذا الحديث أمرٌ بإعطاء من سأل بالله على حسب المتيسر للمسؤول .
وقال أيضاً في الحديث : « ومن استعاذ بالله فأعيذوه » أي إذا استعاذكم أحدٌ بالله ؛ فينبغي لكم أن تعيذوه ؛ إذا قدرتم على ذلك ؛ إلا من استعاذ من حدٍّ أو حقٍّ واجبٍ عليه ؛ فإنه لا يعاذ من الحد ، ولا من القصاص .

قوله : « ومن دعاكم فأجيبوه » كذلك أيضاً من حق المسلم على المسلم إجابة دعوته إذا استطاع ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم ست قيل وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له وإذا دعاك فأجبه ، وإذا عطس فحمد الله فسمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه »^(١)

قوله : « ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه » أي كافئوه على الصنيعة ، والمعروف إن قدرتم على ذلك ؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له ، فجعل الدعاء مكافئةً .

قوله : « حتى تروا » أي تظنوا أنكم قد كافئتموه .
ويؤخذ من هذا الحديث : أن النبي ﷺ دل أُمَّته على كمال الخير ، وخصال الفضل ، فمن عمل بطاعة ربه سبحانه وتعالى ، واتبع ما أرشد إليه النبي ﷺ فإنه يعيش على خير ، ويموت على خير نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذلك .

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أن من تعظيم الله عز وجل الإعطاء من أجله ، وبالله التوفيق .

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند باقي المكثرين برقم ٨٦٢٨ و ٩٠٨٠ إلا أنه جاء بلفظ : " وإذا عطس فشمته " بدل فسمته " وإذا مات فاصحبه " بدل " وإذا مات فاتبعه " .

١٧٥

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

(٥٥) باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر^٢ قال قال رسول الله ﷺ : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه أبو داود .

الشرح : وحيث أن الحديث أخرجه أبو داود برقم ١٦٧١ وفي سنده سليمان بن قرم بن معاذ قال يحيى بن سعيد : " ليس بشيء " وقال عبد الحق ، وابن القطان : " ضعيف " وضعفه الألباني في المشكاة رقم ١٩٤٤ وقد عارضه ما يدل على جواز ذلك أحاديث منها الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهلها ، فدعا بهذا الدعاء : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ؛ أنت رب المستضعفين وأنت ربي ؛ إلى من تكلني؟! إلى بعيد يتجهمني ؛ أو إلى عدو ملكته أمري؟! إن لم يكن بك غضبٌ فلا أبالي ؛ غير أن عافيتك هي أوسع لي » وفي آخره : « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : أن يحلَّ عليَّ غضبك ؛ أو ينزل بي سخطك ؛ لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » وورد في دعاء آخر : « اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد - وفي آخره - أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض » وفي دعاء آخر^(٣) : « أعوذ بوجه الله الكريم ، وبسم الله العظيم ، وبكلماته التامة ؛ من شر السامة واللامة ، ومن شر ما خلقت أي رب ؛ ومن شر هذا اليوم ، ومن شر ما بعده ، ومن شر الدنيا والآخرة » والجمع

١ (أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الزكاة باب كراهية المسألة بوجه الله في ج ٢ / ١٢٧ برقم الحديث ١٦٧١ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٤ / ١٩٩ برقم ٧٦٧٨ وقال الشيخ سليمان أبا الخيل والشيخ خالد المشيقح محققا القول المفيد على كتاب التوحيد

للشيخ محمد بن صالح العثيمين في ج ٣ / ١١٦ : " وأخرجه ابن منده في الرد على الجهمية ص (٩٨) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٣٠٦) والخطيب في الموضح ١ / ٣٥٢ و ٣٥٣ عن جابر رضي الله عنه ، وقال المنذري في مختصر السنن ٢ / ٢٥٣ : " وسليمان بن قرقم تكلم فيه غير واحد " والحديث ضفعه عبد الحق وابن القطان كما في الفيض ٦ / ٥١ والمنأوي في التيسير ٢ / ٥٠٥ لكن يشهد لعموم النهي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " ملعون من سأل بوجه الله ، ملعون من سئل بوجه ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا " أخرجه الطبراني كما في المجمع ٣ / ١٠٣ وحسنه العراقي كما في الفيض ٦ / ٤ والمنأوي في التيسير ٢ / ٤٧٨ وقال الشيخ الوليد آل فريان في تحقيقه لكتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ج ٢ / ٧٦١ : " وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣ / ١١٠٧) وقال : هذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إلا من رواية سليمان بن قرقم والدليمي في الفردوس رقم (٧٩٨٦) والبيهقي في السنن (٤ / ١٩٩) والأسماء والصفات (٣٨٨) وفيه سليمان بن قرقم سيء الحفظ يتشيع كما في التقريب (٢٥٣) " اهـ .

(٢) قال الدكتور الوليد آل فريان في تخريج هذه الأحاديث : " أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء رقم (١٠٣٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٣٥) رواه الطبراني ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ، وبقيّة رجاله ثقات ، والطبراني في التاريخ (٢ / ٣٤٥) من حديث عبد الله بن جعفر ، وأصله في صحيح البخاري رقم (٣٢٣١) ومسلم في الصحيح رقم (١٧٩٥) من حديث عائشة .

(٣) الحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه في ج ٥ / ١٥٦ برقم ٩٢٣٤ وابن أبي شيبة في ج ٦ / ٦٦ برقم ٢٩٥٢١ وأخرج نحوه الطبراني في الكبير في ج ٨ / ٣٦٤ برقم ٨٠٢٧ من حديث أبي أمامة ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١١٧) وفيه فضالة بن جبيرة ؛ وهو ضعيف مجمع على ضعفه ، وأخرج بنحوه أيضاً ابن أبي شيبة في ج ٦ / ٦٩ برقم ٢٩٥٣٩ وفي الأحاديث الطوال لسليمان الطبراني في ج ١ / ٢٦٦ في حديث الصور .

بين هذه الأحاديث وحديث الباب هو أنّ هذه الأدعية التي ورد فيها السؤال بوجه الله ؛ سأل النبي ﷺ فيها ربه سبحانه بما يكون سبباً في دخول الجنة ، والنجاة من النار ، فلا يتعارض مع حديث الباب ؛ بل يقويه ، ويدل على جواز مثل ذلك ؛ يعني أنّه يجوز ما يكون سبباً في دخول الجنة ، والنجاة من النار .

ويؤخذ من هذا الحديث : أنّ وجه الله عظيم ؛ فلا يسأل به إلاّ عظيم ، وينزه عن التوافه والدنيا تعتبر حقيرة بالنسبة لوجه الله .

ويؤخذ من الحديث : إثبات صفة الوجه لله تعالى ، ونسأل الله الكريم ؛ رب العرش العظيم ؛ أن يرزقنا الجنة ، ويعيدنا من النار ، وبالله التوفيق .

(٤) أخرج بنحوه أبو يعلى في مسنده في ج ٤ / ٣٠٦ برقم ٢٤١٧ والطبراني في المعجم الأوسط في ج ٦ / ١٦٦ باب من اسمه محمد ، وفي المرضى والكفارات لعبد الله محمد أبو بكر القرشي في ج ١ / ١٤٨ باب في ذكر مصافحة أهل المودة برقم ١٨٧ وقال الدكتور الوليد آل فريان " وأخرج بنحوه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٩) من حديث ابن مسعود ، وعلي بن أبي طالب

وقال : وهو إسناده صحيح ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٣٩٣) عن سعيد بن المسيب موقوفاً وأخرج الشاهد منه : أبو داود في السنن رقم (٥٠٥٢) والدينوري في عمل اليوم والليلة رقم (٧١٣) من حديث علي ، وأخرجه الطبراني في كتاب الدعاء رقم (١٣٩٩) من حديث عائشة " هـ .

(٥٦) باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : [يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا] [آل عمران : ١٥٤] وقوله : [الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا] [آل عمران : ١٦٨] .

في الصحيح عن أبي هريرة ر أن رسول الله ﷺ قال : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » (١)

الشرح : المراد باللّو هي التي تقال عند المصائب ؛ ونزول الأمور المكروهة ؛ لو فعلنا كذا ما كان كذا ، ولو كان كذا ما كان كذا ، ولكون لو تدل على الإشعار بعدم الصبر ، وكثرة الأسى والحزن على ما فات ؛ حيث يزعم قائلها أنه لو حصل ما ظنّه مما يكون فيه خلاص من القدر لما وقع ذلك المكروه ، وحيث أنه ينسب بالاعتراض ، وزعم القائل أن ما قدّر سيكون منه خلاص لو كان كذا ، فلذلك كان قول لو كان كذا ما حصل كذا أمراً مذموماً ، وينبغي الإذعان لقدر الله فإن قدر الله لا خلاص منه ، ولا مناص ؛ إذ ما قدّر فلا بد أن يكون ، ولهذا جاء في الحديث حديث أبي هريرة المذكور في الباب الحث على الحرص على ما ينفع قبل وقوع النوازل والاستعانة بالله عز وجل على التخلص من المكروه قبل نزوله ؛ مع التوكل على الله ، فإن أراد الله لك الخلاص فعل بك ذلك ، وإن لم يرد الله ؛ فإنه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

أمّا إذا أصابك ما يوجب الأسى ، والحزن ؛ فإنّ المفترض عليك أن ترضى بقدر الله ، وأن تباعد عن لو ، وما نتج عنها ، فإنّها من عمل الشيطان .

وما أعظم دلالات النصوص النبوية ؛ التي هي وحي من الله ، وإنّ اتباعها فيه الخير ، وفيه النجاة ؛ حتى وإن نزل بك المكروه ؛ ينبغي لك أن ترضى بقدر الله عز وجل ، وإن كان هناك شيء حصل لك ما يسوءك بسببه ؛ فهو من تقصيرك في الأسباب ، وضعف توكلك ؛ لهذا قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجزن »

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله .

وإن أصابك شيءٌ فلا تقل : لو أني فعلت كذا
لكان كذا وكذا
ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل « فيا أخي المسلم اعمل الأسباب ما دامت مواتية ،
وتوقئ الشر

بقدر ما تستطيع قبل نزوله ، ومتى نزل فاعلم أن الله قد قدَّر هذا ، فاصبر ، واحتسب ، واعلم أنه
ما يكون شيءٌ إلاَّ بقدرٍ سابق كما قال تعالى : [ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ
في كتابٍ من قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير & لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما
آتاكم ، والله لا يحب كل مختالٍ فخور] [الحديث : ٢٢ - ٢٣] فهذه الآية تدل على أنه ما يكون شيءٌ
في الكون إلاَّ وقد كتب ؛ من قبل وجود الكون ؛ كما قال سبحانه وتعالى : [إلاَّ في كتابٍ من قبل
أن نبرأها] من قبل أن يخلق الخليفة ، فاصبر ، واحتسب ، فلعل في ذلك خيرٌ لك ؛ رفعة درجات
؛ أو تكفير سيئات ، وحكمة الله عز وجل في خلقه سرٌّ من أسرارهِ لا يطلع عليها أحدٌ غيره سبحانه
وتعالى ، فما أعظم التوجيهات الإلهية ، والإرشادات النبوية نسأل الله أن يعطينا من الخير العاجل
والآجل ، وأن يصرف عنا الشر العاجل والآجل ، وإن ابتلانا بشيءٍ ؛ فنسأله أن يبصرنا بالحق فيه
، ويرضيها بحكمه ، وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « لو أني استقبلت من أمري ما
استدبرت لم أسق الهدي ، وجعلتها عمرة » فهذا النص دليلٌ على استعمال اللو في تمني الأمر
الفاضل إذا فات بأميرٍ مفضول ، وأنَّ ذلك لا يدخل في اللو المنهي عنها ، فقد تمنى رسول الله ﷺ أن
لو وفق لعدم سوق الهدي ، وجعل نسكه عمرةً متمتعاً بها إلى الحج ليقنتدي به أصحابه ، وسائر
الامة ، ولكن تعارض هنا أمران في كل منهما مصلحة مشروعة : -

الأمر الأول : سوق الهدي ، وجمع الحج والعمرة ؛ والبقاء على الإحرام إلى يوم النحر ؛ حتى يبلغ
الهدي محله زماناً ومكاناً .

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خير ، وعند البخاري بلفظ : " لو استقبلت من
أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أنَّ معي الهدي " وذلك في كتاب الحج باب تقضي الحائض المناسك كلها إلاَّ الطواف من حديث
جابر بن عبد الله ر رقم ١٦٥١ و ٧٨٥ و ٢٥٠٦ و ٧٢٣٠ و بنحوه ٧٢٢٩ و ٧٣٦٧ وعند مسلم برقم ١٢١٦ .
(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج باب تقضي الحائض المناسك كلها إلاَّ الطواف بالبيت من جابر بن عبد الله ، وفي
باب عمرة التنعيم ، وفي كتاب الشركة باب الإشتراك في الهدي من حديث ابن عباس ، وفي كتاب التمني باب قول النبي ﷺ : " لو
استقبلت من أمري ما استدبرت " من حديث جابر أيضاً ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب النهي عن التحريم إلاَّ ما تعرف
إباحته من حديث جابر أيضاً ، وأخرجه الإمام مسلم بهذا اللفظ في كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام ، وأنه يجوز إفراد الحج
والتمتع والقران ، وجواز إدخال الحج على العمرة ، ومتى يحل القارن من نسكه من حديث أم المؤمنين

والأمر الثاني : شرعية العمرة لمن لم يسق الهدي ليكون متمتعاً بها إلى الحج ، فتعارض هنا أمران محبوبان إلى الله عز وجل ، فكان تمني رسول الله ﷺ لترك سوق الهدي وجعل نسكه عمره متمتعاً بها إلى الحج فيه ترجيح للتمتع في حق من لم يكن له قدرة على سوق الهدي ولكونه أيسر على أكثر الناس ، فكان تمنييه لعدم سوق الهدي ، وجعلها عمرة ؛ ترجيح لأمر مشروع على أمر مشروع ، فدل على جواز اللو في مثل ذلك ، وأن النهي خاص باللو التي يكون فيها اعتراض على القدر أو تمني معصية في المستقبل ، وبالله التوفيق .

(٥٧) باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب **ط** أنَّ رسول الله **ﷺ** قال : « لاتسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشرت ما أمرت به » صححه الترمذي .

الشرح : يؤخذ من هذا الحديث النهي عن سب الريح ؛ لأنَّ الريح مأمورة فمن سبها فقد سبَّ الأمر لها ، والمصرف لها ، وهذا مثل النهي عن سب الدهر ؛ لأنَّ التسخط من الفعل تسخط من الفاعل ؛ لذلك فإنه من تمام التوحيد أن نؤمن بأنَّ الريح ، والدهر كلاهما مأمورٌ ؛ مصرفٌ ومدير . فمن تمام توحيدنا لربنا أن نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل في هبوبها خيراً لنا ؛ ولذلك أرشدنا النبي **ﷺ** أن نسأل خالقها ، ومصرفها ، ومديرها سبحانه وتعالى أن نسأله جل شأنه أن يجعل في تصرفها ، وتديرها خيراً لنا في ديننا ، ودنيانا ، وأن نعوذ به من شر ما أمرت به ، وأن لا يجعلها عذاباً علينا ؛ كما جعلها عذاباً على قوم عاد .

وينبغي للناس أن يفعلوا ما أمر به النبي **ﷺ** إذا رأوا شيئاً من ذلك ؛ فقد أرشد النبي **ﷺ** الناس إذا رأوا هبوب الرياح أن يستقبلوها ، ويحثو الشخص على ركبته ؛ ويقول : « اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها وشرت ما أمرت به » فإنَّ هذا فيه دفعٌ لمضرتها ، واستجلابٌ لخيرها ، وكم سمعنا في هذا الزمن من كوارث بسبب الأعاصير أو الفيضانات أو الزلازل أو غير ذلك من الأشياء المدمرة ، ولكن لجهل الناس ، وعدم علمهم لا يأتون بالأسباب التي أمر الله بها في كتابه ، وعلى لسان رسوله **ﷺ** ليستدفعوا بذلك شرّاً نزل أو متوقعاً نزوله ، ويستجلب بذلك خيراً ينزل أو يتوقع نزوله .

١ (الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأدب باب النهي عن سب الريح والإمام أحمد في ج ٥ / ١٢٣ برقم الحديث ٢١١٧٦ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٦ / ٢٣١ برقم ١٠٧٦٩ والبخاري في الأدب المفرد في ج ١ / ٢٥١ برقم ٧١٩ وابن أبي شيبه في مصنفه في ج ٦ / ٢٧ برقم الحديث ٢٩٢١٩ وأصل الحديث بغير هذا اللفظ في صحيح مسلم في كتاب الاستسقاء باب التعوذ عند رؤية الريح وفي كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل .

وردت الريح موحدة في ريح العذاب ، ووردت الرياح مجموعة في الرياح المبشرة بالخير ؛ كما قال تعالى : [وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ & سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاويةٍ] [الحاقة : ٦ - ٧] وقال تعالى : [وأرسلنا الرياح لواقح] [الحجر : ٢٢] وقال سبحانه : [ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته] [الروم : ٤٦] ومن هنا نعلم أنَّ الريح إذا أفردت قصد بها الريح التي تأتي بالعذاب ، وإذا جمعت قصد بها الريح التي تأتي بالرحمة ، وبالله التوفيق .

الشرح : يخبر الله عز وجل في هذه الآيات عمّا كان يدور في أنفس المنافقين من أنّ الله لا ينصر رسوله ، وأنّ الله لا يتم له أمره ؛ إذ كانوا يظنون هكذا ، وبالأخص إذا وقعت على الرسول **ﷺ** وأصحابه أزمة أو ناكبة ، وقد جاء في الآية الأخرى في سورة الفتح : [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً] وقد ذكر عن الجدّ بن قيس أنّه قال حين خرج النبي **ﷺ** وأصحابه إلى تبوك : " لكأني بمحمدٍ وأصحابه مقرنين بالجلال " وفي هذه الآيات نزلت في سورة آل عمران في موقعة أحد يخبر الله عن المنافقين بأنّ حالتهم كانت بخلاف حال المؤمنين ، فالمؤمنون عندما اشتدت الأزمة أوقع الله عليهم النعاس أمانةً منه ، فكان الواحد منهم يسقط سيفه من يده ؛ أمّا المنافقون فقد كانوا بخلاف ذلك يتملكهم الانزعاج ، والخوف ، والجزع ، والقلق ، فلم يغشهم النعاس كما غشي المؤمنين ؛ لأنّ المؤمنين كانت نفوسهم مطمئنة إلى أنّ الله سينصر رسوله **ﷺ** وأصحابه ، وستكون العاقبة لهم .

أمّا المنافقون فإذا حصلت على الرسول **ﷺ** أزمة أو وقع قتل في أصحابه ؛ فإنّهم يظنون أنّ الإسلام قد انتهى ، والرسول **ﷺ** قد هلك هو وأصحابه ، فكانت نفوسهم متوقّعة استعلاء المشركين ، وإبادة الإسلام وأهله ، فعابهم الله بهذا الظن ، وذمهم به في مواقع كثيرة من كتابه منها قوله تعالى : [من كان يظن أن لن ينصره الله فليمدد بسبب إلى السماء ثمّ ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ] [الحج : ١٥] وردّ عليهم في زعمهم أنّهم لو كانوا في بيوتهم ما قتلوا قال الله عز وجل : [قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليمٌ بذات الصدور] فأخبر سبحانه وتعالى أنّ ما يقع على رسله ، وأتباع رسله يقع لحكمٍ منها : أنّ الله سبحانه وتعالى يكتب الشهادة لمن شاء من عباده المؤمنين ، ويبتلي المنافقين ؛ ليخرج من صدورهم بعض ما كانوا يكتُمونه ويمحص

١) انظر تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى في ج ٦ / ٩١ باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه وفي شرح مشكل الآثار في ج ٦ / ٩١ والطبقات الكبرى لابن سعد في ج ٧ / ١٥٣

المؤمنين الذين يقون على قيد الحياة بالابتلاءات ؛ التي يضاعف لهم فيها الحسنات ، ويكتب لهم فيها الأجر والثوبة ، ثم تكون العاقبة بعد ذلك للرسول **ﷺ** ، والرسول **ﷺ** قد كانت العاقبة له نصره الله على أعدائه ، وأظهر دينه ، وأعلى كلمته ، وخيّب آمال المعتدين الظالمين من المشركين والمنافقين ، فالحمد على ذلك .

ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أنَّ أهل الظَّن السيء ليسوا من أهل التوحيد القائمين به وليسوا من أهل الإيمان الذين تيقنت قلوبهم ظهور هذا الدين بعد شيءٍ من الابتلاءات ، وهكذا ينبغي أن يكون أهل الإيمان في كل زمنٍ ؛ ينبغي أن يعتقدوا بأنَّ الله سيظهر دينه ، ويعلي كلمته وأنَّ الابتلاءات ، والأزمات قد تكون هي الطريق إلى النصر ، والعاقبة الحميدة ، وبالله التوفيق .

(٥٩) باب ما جاء في منكري القدر

و قال ابن عمر **ر** : " والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قيله الله منه حتى يؤمن بالقدر " .

ثم استدل بقول النبي **ﷺ** : « الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت **ر** أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ؛ سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : « إنَّ أول ما

خلق الله القلم فقال له : اكتب فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

وفي رواية لأحمد : « إنَّ أول ما خلق الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » .
وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » .

وفي المسند ، والسنن عن ابن الديلمى ؛ قال : أتيت أبي بن كعب ؓ فقلت : في نفسي شيءٌ من القدر فحدثني بشيءٍ لعلَّ الله يذهبه من قلبي ، فقال : " لو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام .
(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه في كتاب السنة باب في القدر كلها من حديث عبادة ؓ وقد أشار إلى صحته الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح ج ١ / ٣٤ برقم الحديث ٩٤ وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين في ج ١ / ٥٧ برقم ٥٨ وفي ج ٣ / ١٣٨ برقم ١٩٤٩ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ١٠ / ٢٠٤ برقم الحديث ٢٠٦٤ .
(٣) هذه الرواية أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في باقي مسند الانتصار بهذا اللفظ برقم ٢٢١٩٧ من حديث عبادة بن الصامت ؓ وقد صححها الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني برقم الحديث ١٠٤ ج ١ / ٤٨ وأخرجها الإمام الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء بلفظ { إن أول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، فقال ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد } وكذا أخرجه في كتاب تفسير القرآن باب سورة ن * والقلم .
(٤) أخرج هذه الرواية ابن وهب في القدر رقم (٢٦) وابن أبي عاصم في كتاب السنة رقم (١١١) والأجري في الشريعة (١٨٦) كما قال الدكتور آل فريان .

وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطئك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار" قال : فاتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ؓ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ حديث صحيح ؛ رواه الحاكم في صحيحه .

الشرح : **باب ما جاء في منكري القدر** أي من الوعيد الشديد ونحو ذلك .^(٢)

اعلم أنَّ القدر قد هلك في فئتان : -

الفئة الأولى : فئة أنكرته بالكلية أو أنكرت بعضه ، والمشهور أنَّ هذه الفئة أنكرت الشر أن يكون من قدر الله ، فأنكروا أن يكون الكفر قدراً من الله أو المعاصي قدراً من الله أو الشرك الأكبر قدراً من الله ؛ زاعمين أنَّ الله لا يقدر ذلك ، ويعذب عليه ، زاعمين بأنه لو عذب العباد عليه كان تعذيبه لهم ظلماً منه لهم ، وبهذا القول قالت المعتزلة ؛ وهو ما قرره أئمتهم ؛ وهم واصل بن عطاء ،

وعمر بن عبيد ، والجبائي ، وأبو هاشم ، والنَّظَّام ، وأمثالهم ، وقد ظهرت هذه البدعة في آخر زمن الصحابة وجاء رجالان من الذين أنكروا على النفاة ؛ فذكروا لعبد الله ابن عمر قائلين أنه قد ظهر قِبَلَنَا قومٌ يقرأون القرآن ، ويتقفرون العلم ، ويقولون لا قدر ، فقال لهم عبد الله بن عمر أي قال للسائل : " إذا لقيت أولئك فأخبرهم أي بريء منهم ، وأنهم براء مني والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً ، ثم أنفق في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره . " الفئة الثانية : تقابل أهل هذا المذهب قومٌ أثبتوا القدر ، وبالغوا فيه حتى جعلوا الإنسان بمنزلة الحجر الذي يُدْهَدُه أو الغصن الذي يحرك حتى قال قائلهم :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبطل بالماء

وكلا الفريقين مبطلٌ ، وظالم ، وجاهل .

(١) الحديث أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين في ج ٣ / ٦٢٤ برقم الحديث ٦٣٠٤ وأخرجه الإمام أبو داود في ج ٤ / ٢٢٥ برقم الحديث ٤٦٩٩ وابن ماجه في ج ١ / ٢٩ برقم ٧٧ والإمام أحمد في المسند في ج ٥ / ١٨٢ برقم ٢١٢٩ و٢١٦٩٦ وابن حبان في صحيحه في ج ٢ / ٥٠٥ برقم ٧٢٧ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ١٠ / ٢٠٤ برقم ٢٠٦٦٣ .
(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ((القدرية مجوس هذه الأمة ؛ إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)) وعن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة وهو ابن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ، ومن مرض منهم فلا تعودوه ؛ وهم شيعة الدجال ، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال " اهـ رواه أبو داود في السنن (٤٦٩٢) وأحمد في المسند (٤٠٦ / ٥ ، ٤٠٧) وغيرهما .

والحق أن الله عز وجل قدر مقادير العباد قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ، وأن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، وأن العباد لا يتجاوزوا ما قدر لهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ويجب أن نعلم أن الله في عباده الحكمة البالغة ، وأن الله سبحانه لا يظلم أحداً من خلقه ، وأن الله سبحانه وتعالى جعل للعباد عقولاً ، وأفهاماً ، وأسماعاً ، وأبصاراً ، وألسنة ، وجوارح ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل إليهم الكتب ، ووعد بالجنة للمطيعين ، والنار للعاصين ، وأجرى ذلك على ألسنة رسله ، وأنزله في كتبه ، فمن كفر ، فلله الحجة عليه ، والله سبحانه وتعالى يقول : [إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم] [الزمر : ٧] والنبي ﷺ سأل عمر فقال : « رأيت ما نعمل فيه ؛ أمرٌ مبتدع أو مبتدأ أو أمرٌ قد فرغ منه ؟ قال : أمرٌ قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب ؛ فإن كلاً ميسر ؛ أمّا من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، وأمّا من كان من أهل الشقاوة فإنه يعمل للشقاء » رواه أحمد .

فالقدر سرٌّ من أسرار الله عز وجل يجب علينا أن نؤمن به ؛ قال سبحانه وتعالى : [إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] [القمر : ٤٩] وقال سبحانه وتعالى : [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] [الحديد : ٢٢] فيجب على كل مسلم أن يؤمن بقدر الله عز وجل ، وفي المسند ، وسنن أبي داود عن ابن الدليمي ، واسمه عبد الله بن فيروز ، ولفظ أبي داود كما قال ذلك صاحب فتح المجيد : « لو أَنَّ الله عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ ؛ وَأَهْلَ أَرْضِهِ ؛ عَذَبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تَتُومِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا ؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ قَالَ : فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ؓ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ؛ قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ؛ قَالَ : فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ » وأخرجه ابن ماجة " اهـ .

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْقَدَرَ قَدَرَهُ اللَّهُ : " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ ؛ قَالَ : الْقَدَرُ قَدَرُهُ الرَّحْمَنُ

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في مسند الكثيرين من الصحابة برقم إحياء التراث ٥٧٤٥٤ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبنحوه ورد عنه في رقم ١٩٧ و ١١٨٥ وورد بمثله عن ذي اللحية الكلابي برقم ١٦١٩٤ و ١٦١٩٥ في مسند المدنيين ، وعن أبي بكر في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ٢٠ وعن جابر بن عبد الله في مسند الكثيرين من الصحابة برقم ١٣٧٠٢ بغير هذا اللفظ في ١٤١٩٠ وعن سراقفة بن مالك في مسند الكثيرين من الصحابة برقم ١٣٨٤٦ بنحو هذا اللفظ وكلها بترقيم إحياء التراث ، وأورد نحوه أيضاً الإمام الترمذي في القدر باب ما جاء في الشقاء والسعادة وفي تفسير القرآن باب ومن سورة هود عن عمر وابن ماجة في المقدمة باب في القدر بغير هذا اللفظ عن سراقفة ؓ وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي برقم ٢١٣٥ وابن ماجة برقم (٧٨) .

واستحسن هذا ابن عقيل من أحمد رحمه الله تعالى ، والمعنى : أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ شَيْءٌ ، وَنِفَاةُ الْقَدَرِ قَدْ جَحَدُوا كَمَالَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : نَظَرُوهُمْ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنْ أَقْرَأُوا بِهِ خَصَمُوا ، وَإِنْ جَحَدُوهُ كَفَرُوا " اهـ .

والمهم أَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْقَدَرِ : النَّافِينَ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يَقَالُ لَهُمُ الْقُدْرِيَّةُ النِّفَاةُ ، وَالْقُدْرِيَّةُ الْجَبْرَةُ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ مُجْبُورٌ عَلَى الْكُفْرِ أَوْ عَلَى الْمَعَاصِي ؛ كُلُّهُمْ مَخْطُؤُونَ خَطْئًا فَاحِشًا ، وَالْحَقُّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَالتَّابِعِينَ ؛ وَهُوَ مَا وَرَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَغَيْرُهُ فِي حَدِيثِ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ : « وَأَنْ تَتُومِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرُّهُ » وَمَا قَرَّرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَحَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ٧ : « لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ ؛ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ » قُلْتُ : مَعْنَى ذَلِكَ لِعَذَابِهِمْ بِحُجَّةٍ ، وَاللَّهُ قَدْ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ الظُّلْمَ فَقَالَ : [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] [يونس : ٤٤] وَقَالَ سَبْحَانَهُ : [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ] [فصلت : ٤٦] وَقَالَ تَعَالَى : [وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

حاضراً ولا يظلم ربك أحداً [[الكهف : ٤٩] فسر أيها المسلم على هذا المبدأ ، واسأل الله أن يوفقك إلى الحق ، وأن يشبكك عليه حتى تلقاه ، وبالله التوفيق .

(٦٠) باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة **ر** قال : قال رسول الله **ﷺ** قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه .

ولهما عن عائشة **رضي الله عنها** : أن رسول الله **ﷺ** قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يظاهئون بخلق الله » .

ولهما عن ابن عباس **رضي الله عنهما** : سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم » ولهما عنه مرفوعاً : « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » .^(٤)

ولمسلم : عن أبي الهياج قال : قال لي علي **ر** : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله **ﷺ** ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » .

الشرح : **باب ما جاء في المصورين** أي من النهي ، والزجر ، والإخبار بما يلقيه من العذاب في البرزخ ، ويوم القيامة .

عن أبي هريرة **ر** قال : قال رسول الله **ﷺ** قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » أخرجاه .

في هذا الحديث يخبر النبي **ﷺ** بما بلغه عن ربه بقوله قال الله تعالى : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » أولاً : أن هذا الحديث حديث قدسي ؛ فإن هذا وأمثاله مما يبلغنا به النبي **ﷺ** عن ربه بأنه كذا ؛ فإن هذا الحديث وأمثاله يقال له حديث قدسي .

-
- ١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب اللباس باب نقض الصور ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
 - ٢ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب اللباس باب ما وطئ من التصاوير ، والإمام مسلم في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
 - ٣ (الحديث أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع التصاوير ، ومسلم في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
 - ٤ (أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب من لعن المصور ، ومسلم في الموضع السابق .
 - ٥ (أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

ثانياً : يؤخذ من قوله : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي » الاستفهام هنا استفهام إنكاري أي لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؛ أي كخلق الله سبحانه وتعالى .

ثالثاً : يؤخذ من هذا تحريم التصوير وبشاعته ؛ حيث أنه مضاهاة لخلق الله تعالى ، وذلك فيه من التشبه برب العزة ما يجعل هذا الذنب من أشد الذنوب .

رابعاً : يؤخذ من قوله : « فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » المراد بالخلق هنا إيجاد ذرة فيها روح أو حبة أو شعيرة تؤكل ، ويجد فيها الآكل ما يجد في الحبة الحقيقية والشعيرة الحقيقية ؛ من الغذاء أو أن التصوير هو جعل صورة مشابة لصورة ما خلق الله عز وجل ، ولكن لا يقدر أن يوجدوا فيها ماهية يكون لها نفع كماهية الذرة الحقيقية ؛ أو الحبة الحقيقية ؛ وإذا نظرنا في عناقيد العنب المصورة أو عناقيد الموز ؛ نجد أن هؤلاء الذين صوروا تلك الأشياء لا يستطيعون ، ولا يستطيع أمثالهم بالملايين ، والمليارات ؛ ولو اجتمعت حكماء الجن والإنس ، ومفكروهم ؛ لما استطاعوا أن يوجدوا في عنقود العنب المصور ماهية العنب الحقيقي مهما كانت قدراتهم ؛ فإنهم لا يستطيعون ذلك ؛ بل لا يستطيعون أن يوجدوا في حبة واحدة الشيء الذي يوجده الله في ماهية العنب الحقيقي أو الموز الحقيقي ، فما هي إلا الصورة يضاؤون بها ، ولذلك فإن الله عز وجل يعاقب من فعل ذلك بتكليفه ؛ أي بتكليف المصور أن يوجد في ذات الروح روحاً ، وذات الماهية

النافعة ؛ ماهية نافعة ، والله سبحانه وتعالى يقول : [يا أيها الذين آمنوا ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له] [الحج : ٧٣] فهو الخلاق العظيم ، والقادر على كل ما يريد سبحانه وتعالى .

أما حديث عائشة الذي ذكره المؤلف بقوله : ولهما عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يظاهئون بخلق الله » .

المضاهاة هي المشاكلة ، والمشابهة ، فالله سبحانه وتعالى يخلق خلقاً حقيقياً ؛ وهؤلاء يظاهئون بخلق الله ، ويجعلون شيئاً يشابهون به خلق الله سبحانه وتعالى ؛ فلكونهم يفعلون ذلك ؛ تشبهاً بالله الذي يخلق ؛ فإن نوع هذه المشابهة موجبة لغضب الله عليهم ؛ فلذلك كانوا أشد الناس عذاباً يوم القيامة ؛ لكونهم يظاهئون بخلق الله ؛ أي يجعلون للشيء شكلاً كشكل الخلق ؛ كما قلنا في شرح الحديث السابق ؛ لكنهم لا يوجدون فيه الحقيقة ؛ التي خلق الله الشيء لها ؛ سواء كان مأكولاً أو غير مأكول ، فالمأكول يوجد فيه لذة ، ونفع يعود على العبد في صحته ، وعقله ، وسمعه

وبصره ، وقوته ، فلما حصلت منهم المشاكلة لخلق الله عز وجل عوقبوا أشد العقوبة ، وعذبوا أشد العذاب على كونهم يظاهئون بخلق الله ، ويجعلون له شكلاً إدعاءً للمشاركة في الخالقية التي اختص الله بها .

وكذلك ما ورد في حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم » .
فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله ؛ من إنسان أو بهيمة أو شيء من الأطعمة فإنه يعتبر قد ضاهاها الله عز وجل ؛ لهذا يجعل له بكل صورة صورها نفساً يعذب بها .

ومثل ذلك في الحديث الرابع : ولهما عنه مرفوعاً : « من صور صورة في الدنيا كيّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » .

كل هذه الأحاديث دالة على عقوبة من ضاهاها خلق الله ؛ وهو يعتبر نوعاً من الشرك ؛ قال في فتح المجيد : " فإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى ؛ من الحيوان ، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين ، وشبهه بخلقه ، وصرف له شيئاً من العبادة ؛ التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه ؟ " اهـ .

قلت ويشهد لهذا قول الله تعالى : [الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون] [أول سورة الأنعام] أي يعدلون به غيره ، ويسوون الخلق به فيجعلون لهم نصيباً من العبادة يشركونهم فيها مع الله .

ولذلك كان المشرك أشد عقوبة ؛ لأنه جعل شريكاً مع الله ، وهذا هو نهاية ما يكون في الذنوب ، فلذلك أوجب الله إحباط العمل ، والخلود في النار ، وحرمان الجنة ؛ فالمشرك لا تغفر له سيئة ، ولا تقبل منه حسنة : [ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق] [الحج : ٣١] نعوذ بالله من ذلك .

ثم الحديث الأخير : عن أبي الهياج قال : قال لي علي ؑ : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » .

قوله : « ولا صورة إلا طمستها » ومعنى طمستها أزالتها ، ومن هذا يؤخذ : وجوب طمس الصور ؛ لأن فيها مضاهاةً لخلق الله ؛ لذلك أمر النبي ﷺ بطمسها ؛ وهو إزالة معالمها .

كذلك قوله : « ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » في هذه الفقرة النهي عن رفع القبور ؛ لأن في رفعها ذريعةً إلى عبادتها ، فلذلك نهى عن رفعها ، ونهى عن البناء عليها ، ونهى عن تشييدها ونهى عن إسراجها ؛ كل ذلك محافظةً على التوحيد ، وإمعاناً في إزالة أسباب الشرك ؛ اللهم نسألك بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العليا ؛ أن تجعلنا من المؤمنين بك الموحدين لك ؛ المخلصين لجلالك ؛ القائمين بحق العبودية لربوبيتك ، وأن تصرف عنا كل سبب من أسباب الشرك وذريعة من ذرائعه ، وعمل من أعماله ؛ إنك القادر على ذلك ، وبالله التوفيق .

ملحوظة :

ويؤخذ مما تقدم تحريم التصوير بجميع أنواعه ؛ سواء كان نقشاً باليد أو تصويراً بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير ، فكله حرام ، ولا يستثنى من ذلك حبس الظل كما قاله بعض الفضلاء لأن الأحاديث في ذلك عامة ؛ فهي تعم كل أنواع التصوير ، وأشدُّ التصوير ما كان فيه حركة وكلام ، ودونه ما كان فيه الصورة بدون حركة ، ولا كلام ، فكلها متوعدٌ فاعلها بالعذاب الذي ورد في النصوص .

وهل يجوز تصوير الشجر ، والجبال ، وما لاروح فيه ؟ هذا محل نظر ، فمن أهل العلم من أجاز به بناءً على قول ابن عباس رضي الله عنهما لذلك المصور سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور

في النار يجعل له بكل صور صورها نفساً فتعذبه في جهنم ، فإن كنت لابد فاعلاً ، فاصنع الشجر ، وما لانفس له « ومن أهل العلم من منع ذلك ، واستدل بالحديث الذي سبق ذكره وهو حديث متفق عليه : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة » الحديث فقالوا : أن الحبة ، والشعيرة لأروح فيها ، وقد نهي النبي **ﷺ** عن تصويرها ، وجعله مضاهاةً لخلق الله تعالى .

وأما فعل التصوير فلا يجوز ، وأما حمل الصورة ، وطلبها ، وأخذها إذا اضطر إليها ؛ فإن ذلك يجوز للضرورة ؛ التي يلجئ إليها النظام كصورة البطاقة ، والرخصة ، والجواز ، وما إلى ذلك فيعفى عما كان كذلك للضرورة الملحة في أخذه في حق الآخذين ، وبالله التوفيق .

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتثلة بالفرش ونحوه وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب ، ونحوه عند البخاري في كتاب اللباس وقول الله تعالى : [قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده] وقال النبي **ﷺ** : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة وقال بن عباس كل ما شئت والبس واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة " باب عذاب المصورين يوم القيامة

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١٩٣

(٦١) باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى : [واحفظوا أيمانكم] [المائدة : ٨٩] . وعن أبي هريرة **ؓ** سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : « الحلف منفقة للسلعة ؛ ممحقة للكسب » أخرجاه . وعن سلمان الفارسي **ؓ** أن رسول الله **ﷺ** قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ؛ ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زاني ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ؛ لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه » رواه الطبراني بسند صحيح .

وفي الصحيح عن عمران بن حصين **ؓ** قال : قال رسول الله **ﷺ** : « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم - قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً - ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

وفيه عن ابن مسعود **ؓ** أن النبي **ﷺ** قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » قال إبراهيم : " كانوا يضرّبوننا على الشهادة والعهد ، ونحن صغار " .

(٤)

- ١ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب البيوع باب يحق الله الربا ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب النهي عن الحلف في البيع .
- ٢ (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ج ٦ / ٢٤٦ برقم ٦١١١ وفي المعجم الصغير في ج ٢ / ٨٢ برقم الحديث ٨٢١ وفي المعجم الأوسط في ج ٥ / ٣٦٧ برقم الحديث ٥٥٧٧ إلا أنه جاء بلفظ : " أشمط زان " .
- ٣ (الحديث أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم .
- ٤ (أخرجه أيضاً الإمام البخاري في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور ، وفي كتاب فضائل الصحابة برقم الحديث ٣٦٥١ وفي كتاب الرقاق برقم ٦٤٢٩ وفي كتاب الأيمان برقم ٦٦٥٨ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم .

الشرح : الكلام على الباب ، وعلاقته بكتاب التوحيد ؛ أقول علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد أنه لا ينبغي للمسلم كثرة الحلف ؛ حتى ولو كان صادقاً ؛ لأن ذلك يؤدي إلى امتهان اسم الله تعالى ، فربما أنه إذا أكثر الحلف يحنث في بعض أيمانه أو كثيراً منها ، فلا يكفر ، ويكون ذلك من امتهان اسم الله تعالى ، وعدم التعظيم لجلاله .

أمّا قوله تعالى : **[واحفظوا أيمانكم]** فإن معناه لا تكثروا من اليمين ، فيؤدي ذلك منكم إلى الحنث في الأيمان ، وعدم تكفيرها ، ويكون ذلك مؤدياً إلى الإستخفاف بالأيمان ، وذلك ينافي كمال التوحيد .

أمّا حديث أبي هريرة **ﷺ** ففيه أن الحلف على الكذب مذموم ؛ العلة يكون فيه منفقة للسلعة لكنّه يكون ممّ حقة للكسب ؛ لأنّ الحالف أنفق سلعته بيمين كاذبة ، وكان كسبه محق من أجل ذلك ، وفيه كراهة كثرة الأيمان ، وبالأخص في البيع والشراء .

أمّا حديث سلمان **ﷺ** ففيه الذم لثلاثة ، وأهم : « لا يكلمهم الله » أي يوم القيامة « ولا يزيكهم » أي لا يطهرهم من الذنوب « ولهم عذاب أليم » أليم بمعنى مؤلم « أشيمط زان » المراد به الرجل الطاعن في السن ؛ وهو مع ذلك يقارف جريمة الزنا « وعائل مستكبر » المراد بالعائل الفقير وهو مع ذلك مستكبر ؛ أي مع فقره فهو مستكبر ومتعال على الناس ، وكان من حقّه أن يتواضع « ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه » فيه دليل على فضاة جرم هؤلاء الثلاثة ، فالأشيمط الذي قد وضح الشيب في رأسه أكثر ؛ وهو مع ذلك يستخف بجريمة الزنا ، ويواقعها ؛ هذا دليل على خسة النفس ، ودناءتها ، واستخفافها بالمعاصي والثالث : « من جعل الله بضاعته » فكأنّه جعل اليمين سلعة لا يبيع ، ولا يشتري إلا بيمينه ، وهذا استخفاف بعظمة الله ، وقلة احترامه له ، ومن لا يكلمه

الله ولا ينظر إليه ، ولا يزكّيه ؛ فإنّه سيناله العذاب الأليم ؛ الذي أعدّه الله لمن يستخف بمعاصيه ويقارفها غير مبالٍ بما يترتب على ذلك من غضب الله ، وأليم عقابه .

أمّا حديث عمران بن حصين ، وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما في خير القرون ، وكلاهما في الصحيحين ؛ فقد ذكر في حديث عمران بن حصين : ثلاثة قرون ، وشك في الرابع ، وفي

حديث ابن مسعود ذكر أربعة قرون حيث قال النبي **ﷺ** : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » والقرن يطلق تارة ويراد به مائة سنة ، ويطلق تارة أخرى ويراد به الجماعة ؛ الذين يشتركون في زمن ، وحمله على الجماعة الذين يشتركون في زمن لعلّه هو الأولى ، وإذا قلنا بهذا ؛ فإنّ الثلاثة القرون قد انقضت بمائتين وعشرة ؛ لأنّ النبي **ﷺ** قال : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك » فإذا كان كل قرن له سبعون سنة ؛ فإنّ القرن الثالث ينتهي عند المائتين وعشر سنين ، وبعد المائتين وعشر حدث في الأمة ما حدث ، فقد كان الولاة يقتلون الزنادقة ؛ والذين يخرجون على الأمة الإسلامية بالبدع ؛ فقد ضحى خالد القسري بالجعد بن درهم ، وهكذا من بعده من الولاة ؛ قتلوا كثيراً من المبتدعة ولما تولى المأمون ، وخدع بقبول آراء المعتزلة ، وحمل الناس على القول بخلق القرآن ؛ تغيرت الحال وصارت الأمة من ضعف إلى ضعف ، وجاء تحقيق قول النبي **ﷺ** : « فإنّه لا يأتي عليكم زمانٌ إلّا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم » فالنقص في التزام عموم أمة محمد **ﷺ** بالدين حصل كثيراً بعد القرون الثلاثة ، ولهذا جاء في حديث عمران بن حصين « ثم إنّ بعدكم قومٌ يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

وفي حديث ابن مسعود **ﷺ** : « ثمّ يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » وكلاهما دل على تغير الأنفس ، وقلة اصطباغها بالدين ؛ بحيث أنّ ذلك

يضعف في نفوسهم ، وهذا ما

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه باب ذكر الأخبار عن وصف العدد في ج ٧ / ٢٤٦ رقم ٢٩٨٠ وفي المستدرک على الصحيحين برقم الحديث ٣٥٩٨ في ج ٢ / ٤٦٣ وأخرجه الترمذي في باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين برقم الحديث ٢٣ في ج ٤ / ٥٦٦ وفي ج ٥ / ٥٥٣ باب في دعاء النبي ﷺ ، وأخرجه ابن ماجة في باب الأمل والأجل في ج ٢ / ١٤١٥ برقم الحديث ٤٢٣٦ ، وأخرج في سنن البيهقي باب من بلغ سنه ستين سنة فقد أعذر الله إليه برقم الحديث ٦٣١٤ في ج ٣ / ٣٧٠ ، وفي مسند أبي يعلى في ج ١٠ / ٣٩٠ برقم الحديث ٥٩٩٠ ، وفي المعجم الأوسط في ج ٦ / ٨٥ باب من اسمه محمد ، وفي مسند الشهاب في ج ١ / ١٧٢ برقم الحديث ٢٥٠ وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج ١ / ٢٤٣ برقم الحديث ١٠٧٣ وأما رواية : " معترك المنايا بين الستين إلى السبعين " فقد أخرجه أبو يعلى في مسنده في ج ١١ / ٤٢٢ برقم الحديث ٦٥٤٣ والحديث بروايته رواها الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه **ﷺ** .

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الفتن باب لا يأتي زمانٌ إلّا الذي بعده شرٌّ منه بلفظ : " عن الزبير بن عدي قال : اتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما تلقى من الحجاج فقال : (اصبروا ؛ فإنّه لا يأتي زمانٌ إلّا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم **ﷺ** " هـ) .

يشاهد في الكثرة الكاثرة ؛ من انتشار الخيانات ، وضعف الأمانات ، وقلة الالتزام بالأوامر الشرعية ؛ وما ذلك إلا لضعف الإيمان في النفوس ، والله تعالى يقول : [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ] [الرعد : ١١] فينبغي لك يا عبد الله أن تحرص على المتابعة ، والامتثال لأوامر الله .

قوله : « قومٌ يشهدون ولا يستشهدون » لاستخفافهم بأمر الشارع ، وعدم تحليهم بالصدق بل قد جعلت الشهادة مرتبطة بالدفع عن القرابة ، والأصدقاء ؛ فإن كانت عليهم فإنهم يمنعون أداءها ، وكم رأينا من هذا القبيل ؛ نسأل الله السلامة ، والتوفيق .

(٦٢) باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله

وقول الله تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إِنَّ الله يعلم ما تفعلون] النحل : ٩١ .

وعن بريدة τ قال : « كان رسول الله ρ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ؛ فقال : اغزوا بسم الله ؛ في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ؛ اغزوا ، ولا تغلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوّك من المشركين ؛ فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهم ما أجابوك ، فاقبل منهم ، وكفّ عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ؛ فإن أجابوك فاقبل منهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم : أنّهم إن فعلوا ذلك ؛ فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها ، فأخبرهم : أنّهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفبيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ؛ فإن هم أبوا ، فاسألهم الجزية ؛ فإن هم أجابوك ، فاقبل منهم ، وكفّ عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله ، وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ؛ فإنّكم أن تخفروا ذممكم ، وذمة أصحابكم ؛ أهون من أن تخفروا ذمة الله ، وذمة نبيه ؛ وإذا حاصرت أهل حصن ؛ فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم ، ولكن أنزلهم على حكمك فإنّك لاتدري : أتصيب فيهم حكم الله أم لا » رواه مسلم .

(١) وفي رواية أبي داود في سننه في ج ٣ / ٣٧ برقم ٢٦١٢ والبيهقي في السنن الكبرى في ج ٩ / ٩٧ برقم ١٧٩٦٥ و ١٨٤١١ : " أوصاه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين " .

(٢) وفي رواية مسلم في كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها : " فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله =

الشرح : فقوله : **باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله** أي من النهي عن إخفار ذمة الله وذمة نبيه ، وأن نحتاط لذلك .

وقول الله تعالى : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إِنَّ الله يعلم ما تفعلون] قال العماد ابن كثير رحمه الله : " وهذا مما يأمر الله تعالى به ؛ وهو الوفاء بالعهود ، والمواثيق ، والحفاظة على الأيمان المؤكدة ، ولهذا قال : [ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها] ولا تعارض بين هذا ، وقوله تعالى : [ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم] وبين قوله : [ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم] أي لا تتركوها بلا تكفير " اهـ وأقول : إِنَّ هذه الآيات لا يعارض بعضها بعضاً ، فقد أمر الله عز وجل بالوفاء بالعقود ، والعهود ، فقال سبحانه وتعالى : [يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود] وقال جل من قائل : [وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها] أي أوفوا بما عاهدتم عليه الناس كالعقود التي أمر الله بالوفاء بها ، وأوفوا بما عاهدتم عليه ؛ سواء كان العهد لله أو مع المخلوقين ، وأوفوا بأيمانكم المؤكدة ؛ التي عقدتم قلوبكم عليها ، وأقلوا من الحلف بالله عز وجل حتى لا يكون ذلك امتهاناً منكم لاسمه ، فإن حلفتم على شيءٍ يمين لم تعقدوها ؛ بل جرت على ألسنتكم ؛ فإنه يجب عليكم أن تكفروه ؛ كما قال تعالى : [لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين] إلى أن قال : [ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم] .

وقد تبين من هذا أولاً : أَنَّ لغو اليمين لا يؤاخذ الله به ، ولم يشرع فيه الكفارة ؛ وهو ما جرى على اللسان من غير عقد للقلب عليه .

ثانياً : اليمين المعقود عليها في المستقبل ؛ وذلك في قوله تعالى : [ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان] فهذه يلزم الوفاء بها ؛ إذا كان المحلوف عليه طاعة ؛ أو مباحاً وكان في المستقبل ؛ أي في الأمور الآتية :

= وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل ذمتك وذمة أصحابك " .

٣ (وفي رواية مسلم السابقة : " فلا تنزلهم على حكم الله " .

٤ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها ، وأخرجه أيضاً الترمذي برقم ١٦١٧ وابن ماجه برقم ٢٨٥٨ والبيهقي في السنن الكبرى برقم ٨٧٦٥ و ٨٧٨٢ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

١- إذا عقدت اليمين على فعل شيءٍ معصيةً لله ؛ فإنه لا يجب الوفاء بهذا اليمين ، ولا كفارةً فيها على القول الأصح .

٢- إذا كانت اليمين معقودةً على فعل شيءٍ في المستقبل ؛ ولم يتمكن العاقد من فعله ؛ وهو من الطاعة أو المباح ، فهذه التي تلزم فيها الكفارة .

ثالثاً : من لزمته كفارة في يمين ، ولم يكفرها فهو آثم ، وفعله معصية من المعاصي .

رابعاً : إذا حلف على شيء مما مضى وهو كاذبٌ في يمينه ، فهذه اليمين لا تشرع فيها الكفارة والحالف مستحقٌ للعقوبة فيها ؛ وهي التي تسمى اليمين الغموس .

خامساً : اختلف أهل العلم في العهد إذا كان عازماً فيه على الوفاء ولم يتمكن ؛ فهل تلزمه كفارة في ذلك أم لا ؟

سادساً : يؤخذ من هذا أنَّ الغدر بالعهود من الأمور المحرمة أشد التحريم .

وعن بريدة τ قال : « كان رسول الله ρ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ؛ فقال : اغزوا بسم الله ... » الحديث .

يؤخذ من هذا الحديث مسائل :

الأولى : أنه مما يجب على الإمام أن يوصي به أمير الجيش أو أمير السرية ، ومن معه بتقوى الله .

ثانياً : يوصيه أيضاً بحسن التصرف ، والرفق بمن تحت يده ؛ لقوله : « أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً » .

ثالثاً : يوصيه ، ومن معه بوصية النبي ρ : « اغزوا بسم الله في سبيل الله » .

رابعاً : في قوله ρ : « اغزوا بسم الله في سبيل الله » أمرٌ بإخلاص النية ، وأن تكون النية أي نية القتال ؛ أن يكون ذلك في سبيل الله ؛ لا لغرضٍ من أغراض الدنيا ؛ كامتلاك الأراضي ؛ أو غلب القوم الذين يغزوهم ؛ أو الحصول على الغنائم ؛ كل ذلك لا يجوز أن يكون من مقاصد المجاهدين .

خامساً : في قوله ρ : « قاتلوا من كفر بالله » أمرٌ بقتال الكفار ؛ سواءً كانوا مشركين أو ملحدين أو أهل كتاب ، وكلٌّ منهم قد ورد فيه ما يدل على قتالهم حتى يدعونا للحق قال تعالى : [وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة] [التوبة : ٣٦] وقوله تعالى : [قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون] [التوبة : ٢٩] .

سادساً : يؤخذ من قوله ρ : « اغزوا ، ولا تغلوا » أمرٌ بالغزو ، ونهيٌ عن الغلول ؛ وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها .

سابعاً : قوله ρ : « ولا تغدروا » نهيٌ عن الغدر ، والغدر هو الخيانة ؛ وهو الانطواء على شيء من الخيانة التي لا تجوز .

ثامناً : أنَّ من الغدر ما يفعله أصحاب العمليات الانتحارية ؛ وهو أن يأتي الشخص بسيارة مفخخة ، ويفجرها في نفسه ، وفي قوم غافلين ليس عندهم علم عن القتال ، وأنَّ هذه العمليات من أعظم الغدر ؛ ومن وسائل الإرهاب ، وأنَّها لا تجوز ، ومن أجازها ممن يفتون هؤلاء فإنَّه قد ارتكب خطأً عظيماً ، وإثماً كبيراً .

تاسعاً : يؤخذ من قوله : « ولا تمثلوا » التمثيل هو قطع الأطراف والتشويه لمن قتل وهذا لا يجوز وقد اختلف أهل العلم فيمن مثَّل هو في قتله هل يمثل به في القصاص أم أنَّ النهي عن التمثيل كان بعد قتل المحاربين ، وسمل أعينهم ؟ فإن كان كذلك فإنَّ التمثيل في القصاص يكون منسوخاً .

عاشراً : يؤخذ من قوله **p** : « ولا تقتلوا وليداً » وفي رواية : « ولا امرأة » وقد نهي عن قتل الشيوخ الكبار الذين لا يقاتلون ، والرهبان المنقطعين للعبادة ، وأنَّ العمليات الانتحارية تستهدف النساء ، والأطفال ؛ ولا تبقي أحداً ؛ فهي منكراً من المناكر ؛ التي يجب إنكارها .

الحادية عشر : قوله **p** : « وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فآيتهم ما أجابوك ، فاقبل منهم ، وكف عنهم » وقد فصل هذه الثلاث فيما يأتي : وهي أولاً : الدعوة إلى الإسلام فإن أجابوا إلى ذلك وجب على قائد الجيش القبول منهم والكف عن قتالهم .

ثانياً : دعوتهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وهذه قد انتهت في زمن الفتح حينما استولى صلوات الله وسلامه عليه على مكة ، وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية »^(١) . ثالثاً : فإن هم أبوا فیسألهم الجزية أي إذا أبوا أن يقبلوا الإسلام فاطلب منهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنه « أي إذا أعطوا الجزية : « فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » . الثانية عشر : قوله **p** : « إذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل الجهاد والسير وفي باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية ، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير .

فلا تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك ، وذمة أصحابك ، فإنَّكم أن تخفروا ذممكم ، وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله ، وذمة نبيه » .

الثالثة عشر : قوله **p** : « وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك فإنَّك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا ؟ » .

الرابعة عشر : ويؤخذ من المسألة الأخيرة أيضاً كما قال المصنف ؛ الفرق بين حكم الله ، وحكم العلماء ومعنى ذلك أنّ حكم العلماء اجتهداً قد يصيب حكم الله أو لا يصيب ، وبالله التوفيق .

(٦٣) باب ما جاء في حكم الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله **ط** قال : قال رسول الله **ﷺ** : « قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان ؟ إني غفرت له وأحببت عملك » رواه مسلم .
وفي حديث أبي هريرة **ط** : أنّ القائل رجلٌ عابد ؛ قال أبو هريرة **ط** : تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته .

الشرح : الاقسام على الله ربما يكون تجرؤ على حقه سبحانه وتعالى ، وحينئذ يكون فيه تجرؤ على مقام الربوبية ؛ إذ أنّ الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أحد أن يفرض عليه شيئاً ؛ لأنّه هو رب كل شيء ، ومالكة .

فمن حلف أنّ الله لا يغفر لفلان ؛ فإنّه قد تجرأ على مقام الألوهية ، وظنّ أنّ الأمر في ذلك سهل ، وكأنّه أراد أن يفرض على مقام الربوبية ما يشاء ، فلذلك غضب الله عليه ، فأحبط عمله وغفر لذلك الفاسق ، فالله سبحانه وتعالى لا يتعاطمه ذنب ، ولا ينبغي للعبد أن يتجرأ على مقام الألوهية بمثل هذا التآلي .

فمن هنا جاءت مناسبة لكتاب التوحيد ؛ وقد يأتي الاقسام مبني على الرجاء ، ومن ذلك حديث محمد بن عبد الله الأنصاري ؛ قال : حدثني حميداً أنّ أنساً حدثهم أنّ الرّبّيع ؛ وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية ، فطلبوا الأرش ، وطلبوا العفو ، فأبوا ، فأتوا النبي **ﷺ** فأمرهم بالقصاص ، فقال : أنس بن النضر : أتكسر ثنية الرّبّيع يا رسول الله !! لا ؛ والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيته ، فقال يا أنس : كتاب الله القصاص ، فرضي القوم ، وعفوا ، فقال النبي **ﷺ** : إنّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه ؛ زاد الفزاري عن حميد عن أنس : فرضي القوم ، وقبلوا الأرش .

(٣)

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب البر والصلة باب النهي عن تقطيع الإنسان من رحمة الله .
٢ (الأثر أورده الإمام ابن حبان في صحيحه في ج ١٣ / ٢٠ برقم الحديث ٥٧١٢ وأخرجه الإمام أحمد في المسند في ج ٢ / ٣٢٣ برقم ٨٢٧٥ والإمام أبو داود في سننه في ج ٤ / ٢٧٥ برقم ٤٩٠١ وورد في كتاب حسن الظن بالله لعبد الله بن محمد أبو بكر القرشي في ج ١ / ٥٤ حديث رقم ٤٥ .

٣ (الحديث أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الصلح باب الصلح في الدية ، أخرجه بنجوه في كتاب الجهاد والسير باب قول الله تعالى : [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ..] وفي كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا

كتب عليكم القصاص في القتلى] وفي باب قول الله تعالى : [وأخرجوا من الدين أموالهم] وأخرج الإمام مسلم في كتاب القسامة والمحاريب والقصاص والديات باب إثبات القصاص في الشنن في الله في هذا المصنف لتوحيد الخالق الممجد

وقد كان من السلف من يطلب منه أن يقسم على الله أن يمنح المجاهدين رقاب العدو ، فيحقق الله لهم ما أرادوا ؛ إمّا أن يكون ذلك بدعاء : " اللهم امنحنا رقابهم " وإمّا أن يكون بطريق الإقسام ، والفارق بين الأمرين :

الأمر الأول : أنّ الاقسام على الله ألاّ يفعل كذا على سبيل التحقيق لا يجوز ؛ لكونه فيه استخفاف بمقام الألوهية .

والأمر الثاني المباح : إذا كان المقسم راجياً من الله أن يحقق له ما يريد ، وكان من أهل القرية إلى الله سبحانه وتعالى .

فهذا الحديث حديث جندب بن عبد الله **رضي الله عنه** صحّ من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** بأطول من هذا كما نقله صاحب فتح المجيد من شرح السنة للبغوي ؛ قال : " وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال

: دخلت مسجد المدينة ، فناداني شيخ ، فقال : يا يمامي تعال ، وما أعرفه ؛ قال : لاتقولنَّ لرجل : والله لا يغفر الله لك أبداً ، ولا يدخلك الجنة ؛ قلت : ومن أنت يرحمك الله ؟ قال أبو هريرة **٢** : قال : فقلت : إنَّ هذه كلمة يقولها أحدنا لأهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه ؛ قال : فإني سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : إنَّ رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين ؛ أحدهما مجتهدٌ في العبادة ، والآخر كائنٌ يقول مذب ، فجعل يقول : أقصر عما أنت فيه ؟ قال : فيقول : خلي وربي ؛ حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه ، فقال : أقصر ، فقال : خلي وربي ؛ أبعثت عليّ رقيباً ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، ولا يدخلك الجنة أبداً ؛ قال : فبعث الله إليهما ملكاً ، فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عنده ، فقال للمذب : ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر : أتستطيع أن تحظر علي عبدي رحمتي ؟ قال : لا يارب ؛ قال : اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة **٢** : والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت ديناه وآخرته **»** وعزاه إلى أبي دؤاد في سننه مختصراً .

ويؤخذ من هذا : -

١- أنه لا يجوز الإقسام على الله بأنه لا يغفر لفلان ؛ إذ أن الله قد أخبر أن رحمته سبقت غضبه كما جاء في الحديث القدسي : **«** إنَّ الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إنَّ رحمتي سبقت غضبي **»** ^(١) .

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري بهذا اللفظ في كتاب التوحيد باب : " وكان عرشه على الماء " من حديث أبي هريرة **٢** وفي باب قول الله تعالى : [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين] وفي باب قول الله تعالى : [بل هو قرآنٌ مجيد * في لوحٍ محفوظ] وأخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله **»** وجاء الحديث أيضاً بلفظ : " إنَّ رحمتي تغلب غضبي " ووردت عند البخاري في كتاب التوبة باب : " وأدخلك الجنة بلا عذاب ، وإن شاء عذبه بقدر جنايته ، ثم أدخله الجنة . " باللفظين المذكورين .

٢- يؤخذ منه أنه لا يجوز لنا أن نحكم على أحدٍ بجنة ، ولا نار من خلال الأعمال ، ولكن نقول من مات على الكفر دخل النار ، ومن مات على الشرك الأكبر أو النفاق الأكبر دخل النار ومن مات على فسقٍ ، وعنده أصل الإسلام والتوحيد ؛ فهو بين الرجاء والخوف ؛ وهو تحت مشيئة الله ؛ إن شاء غفر له ، وأدخله الجنة بلا عذاب ، وإن شاء عذبه بقدر جنايته ، ثم أدخله الجنة .

٣- يؤخذ منه أنه لا يجوز الاعتراض على الله في ملكه .

٤- أن الجنة والنار كلاً منهما أدنى إلى أحدنا من شرك نعله ؛ أسأل الله أن يختم لنا بخير .

٥- يؤخذ منه أنه لا ينبغي للعاقل أن يستخف بالكلام ؛ فرمى أن كلمة أوبقت ، ودخل بسببها النار وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي **ﷺ** أنه قال : **«** إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب **»** نسأل الله أن يختم لنا بخير ، وبالله التوفيق . ^(١)

١ (الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد باب يتكلم بالكلمة يهوي بها في النار ، وفي نسخة باب حفظ اللسان من حديث أبي هريرة ٢ .

(٦٤) باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم ٣ قال : « جاء أعرابي إلى النبي ٤ فقال : يا رسول الله : تُهكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فإننا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله فقال النبي ٥ : سبحان الله ؛ سبحان الله ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال : ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد » وذكر الحديث ، رواه أبو داود .

الشرح : تمام الحديث : « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ؛ شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدري ما الله ؟ إنَّ عرشه على سماواته هكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة عليه ، وإنَّه لينط به أطيظ الرجل بالراكب » قال عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : " قال الحافظ الذهبي : رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار قوله : « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » فإنه تعالى رب كل شيء ، ومليكه ، والخير كله

بيده ؛ لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، ولا راد لما قضى ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ، ولا في الأرض ؛ إنه كان عليمًا قديرًا ؛ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، والخلق وما في أيديهم ملكه ؛ يتصرف فيه كيف يشاء ، وهو الذي يشفع الشافع إليه ، ولهذا أنكر على الأعرابي قوله هذا ، وسبَّح الله كثيراً ، وعظَّمه ؛ لأنَّ هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده ؛ إنَّ شأن الله أعظم من ذلك " اهـ .

وفي هذا الحديث أولاً : إثبات علو الله على خلقه .

ثانياً : أنه مستوٍ على عرشه .

ثالثاً : أنَّ عرشه فوق سماواته .

رابعاً : أنَّ الله في العلو إذا السماء ما علا ، وقوله تعالى : [أأمنتم من في السماء] [الملك : ١٦] دليل على ذلك .

خامساً : يعلم من هذا ضلال من يقولون : أنَّ الله لافوق العرش ، ولاتحتة ، ولاداخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ، ولا منفصل عنه ، وضلال من يقول : أنَّ الله في كل مكان .

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة باب في الجهمية ، وأخرجه أيضاً الإمام الطبراني في المعجم الكبير في ج ٢ / ١٢٨ برقم الحديث ١٥٤٧ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

سادساً : أنَّ النبي **p** وصف العرش فوق السماوات بأنه عليها كالقبة حتى وصف ذلك بكفه .
سابعاً : أنَّ هذا القول وهو الاستشفاع بالله على خلقه قولٌ باطل ؛ لا يجوز لأحد أن يقول ، فإِنَّه لا يجوز أن يقال في حقه إنَّنا نستشفع بالله على فلان ، فهل يصح في عقل عاقل أن يستشفع بمن يملك إلى من هو مملوك له هو وكل ما ملكه .

ثامناً : وهذا هو الذي أثار غضب رسول الله **p** أي يقال في حق من تعنوا له رقاب الجبابرة وتذل له ، ولعزته عظماء الخلق ، فهل يعقل في حقه أن يقال بأنه يستشفع على خلقه ؟! الجواب : لا ، فشأن الله عظيم كما قال رسول الله **p** شأن الله أعظم من ذلك ، وبالله التوفيق .

(٦٥) **باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد ، وسده طرق الشرك**

عن عبد الله بن الشخير **٢** قال : « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله **ﷺ** فقلنا : أنت سيدنا ؛ فقال : السيد الله تبارك وتعالى ؛ قلنا وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً ، فقال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولايستجريتنكم الشيطان » رواه أبو داود بسندٍ جيد .
وعن أنس **٢** أنّا ناساً قالوا : يا رسول الله : يا خيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا ، وابن سيدنا فقال : يا أيها الناس ؛ قولوا بقولكم ، ولايستهوئكم الشيطان ؛ أنا محمد بن عبد الله ورسوله ؛ ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسندٍ جيد .

الشرح : وأقول : إنّ الأولى أن يقال وسده الطرق الموصلة إلى الشرك .

عن عبد الله بن الشخير **٢** قال : « انطلقت في وفود بني عامر إلى رسول الله **ﷺ** فقلنا : أنت سيدنا ؛ فقال : السيد الله تبارك وتعالى » الحديث .

قوله : « أنت سيدنا » السيد عند العرب هو المطاع في القبيلة المتبع فيها .
فقال **p** : « السيد الله تبارك وتعالى » هذا من النبي **p** تواضعاً ؛ وهو من الهضم لنفسه ، وإلاً فهو سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر .

قوله : « وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً » الطول هو السيادة ، والكرم ؛ وهذه كلها لاثقة بالنبي **p** لكنه صلوات الله وسلامه عليه أحب أن يُقتدى به في رد مدح المادح ؛ لأنَّ المدح مما يجعل النفوس تتعاضم ، وتخرج عن طورها ، وذلك يتنافى مع مقام العبودية للإنسان ، فردع المادح بأن يرد عليه مدحه ، والنبي **p** أراد أن تقتدي أمته في تجاوز ذلك ، وعدم قبوله ، وأن يقابل

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب في كراهية التمدح ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في ج ٤ / ٢٤ برقم الحديث ١٦٣٥٠ و ١٦٣٥٩ وأخرجه الإمام الطبراني في السنن الكبرى في ج ٦ / ٧٠ برقم الحديث ١٠٠٧٦ وبنحوه أيضاً في السنن الكبرى برقم ١٠٠٧٤ وأخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد في ج ١ / ٨٣ برقم الحديث ٢١١ .
(٢) أخرجه الإمام الطبراني في السنن الكبرى في ج ٦ / ٧١ برقم الحديث ١٠٠٧٨ والإمام أحمد في ج ٣ / ١٥٣ برقم ١٢٥٧٣ وعبد بن حميد في مسنده في ج ١ / ٣٩٠ برقم ١٣٠٩ وابن الجعد أيضاً في مسنده في ج ١ / ٤٧٣ برقم الحديث ٣٢٩٠ وقال الدكتور الوليد آل فريان على فتح المجيد ج ٢ / ٨٣٥ الحديث : " أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٤٨) ، ٢٤٩ هـ .

المادح بما يرده ، ويمنعه عن المدح .
وكذلك الحديث الثاني عن أنس **r** أن ناساً قالوا : يا رسول الله : يا خيرنا ، وابن خيرنا وسيدنا ، وابن سيدنا ، وابن خيرنا ، وابن سيدنا » الحديث .

قولهم : « يا خيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا ، وابن سيدنا » لاشك أن أهل بيت النبي **p** كانوا أصحاب شرف ، ونبل في زمن الجاهلية ، ولكن الخيرية ؛ التي ترتبت على النبوة لم تنلهم ، ففي ذلك مجاوزة للحق ، والله أعلم ؛ علماً أن النبي **p** كان يكره المدح ، وينهى عنه ، وقال للمادح : « وبلك قطعت عنق صاحبك - ثلاثاً^(١) » وقال : « إذا لقيتم المداحين ؛ فاحتوا في وجوههم التراب » أخرجه مسلم^(٢) ، والترمذي ، وابن ماجه عن المقداد بن الأسود .

فيؤخذ أولاً من هذا : النهي عن المدح .

ثانياً : قطع أسباب الغلو .

ثالثاً : تواضع النبي **p** .

رابعاً : كونه **p** حمى جانب التوحيد ، وقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله »^(٣) .

خامساً : أراد أن يبين لهم أن السيادة المطلقة هي للرب تبارك وتعالى ، وفي الحديث القدسي : «^(٤) الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار » .

إذن فهذا من حماية جناب التوحيد ، وقطع أسباب الغلو ، وقد قال النبي **ﷺ** حين جاء سعد بن معاذ **ؓ** ليحكم في بني قريظة ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « قوموا إلى سيدكم » .

- ١ (الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات باب إذا زكّي رجل رجلاً كفاه ، وفي كتاب الأدب باب قول الرجل ويلك ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرفاق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما .
- ٢ (أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرفاق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما .
- ٣ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : [واذكر في الكتاب مريم] وفي كتاب الحدود باب رجم الحبل من الزنا إذا أحصنت .
- ٤ (الحديث أصله عند مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الكبر بلفظ : " العز إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن نازعني عذبتة " وينحو هذا اللفظ ورد بالفاظ أخرى كما ورد في الشرح ، ولفظ : " ألفيته في جهنم " وفي لفظ : " قذفته في النار " وفي لفظ : " أدخلته جهنم " كما عند ابن ماجة برقم ٤١٧٤ و ٤١٧٥ وأبو داود برقم ٤٠٩٠ وأحمد في مسند باقي المكثرين من الصحابة برقم ٧٣٣٥ و ٩٢٢٤ و ٩٤١٠ و ٩٠٩٠ و ٨٦٧٧ ومصنف ابن أبي شيبة رقم ١٩٥٤٧ ومسند الشهاب برقم ١٤٦٤ وفي الأدب المفرد برقم ٤٠٩٠ و ٥٥٢ وفي مسند إسحاق بن راهوية برقم ٢٨٨٥ وفي صحيح ابن حبان برقم ٣٢٨ وفي المستدرک على الصحيحين برقم ٢٠٣ وفي المعجم الأوسط برقم ٩٢٥٣ وفي المسند للحميدي برقم ١١٤٩ وفي معرفة الآثار والسنن برقم ٦١٥٤ وفي التواضع والخمول لعبد الله بن محمد القرشي برقم الحديث ١٩٥ .
- ٥ (الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي **ﷺ** من الأحزاب عن أبي سعيد **ؓ** وأخرجه الإمام مسلم في كتابه **الفتح** .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق المجدد

٢٠٩

سادساً : يؤخذ من قوله : « لا يستجربنكم الشيطان » أنَّ الشيطان يستجري بني آدم بمعنى أنَّه ينزلهم درجةً درجةً ؛ ليقعهم في الشرك ؛ كما فعل مع قوم نوح ، وكما يفعل مع الناس في إيقاعهم في المعاصي ، والله سبحانه وتعالى يقول : [يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنَّه لكم عدوٌّ مبين &] إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [البقرة : ١٦٨ - ١٦٩] .

تنبيه :

بعد أن أملت ما حضرنى في شرح هذا الباب ، وكنت متذكراً أنَّه قد سبق باب شبيهه ؛ لهذا نبهني أحد الإخوة جزاه الله خيراً بأنَّه في بعض الأسئلة التي قدمت للطلاب في بعض المدارس : ما هو الفرق بين الباب باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ، وبين هذا الباب الذي هو باب ما جاء في حماية المصطفى **ﷺ** حمى التوحيد وسده طرق الشرك ؟ وأنَّه قد اطلع هو وبعض زملائه على شرح الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : " وأنَّه فرق بين البابين : أنَّ الأول في الأفعال ، وهذا في الأقوال " وبعد التأمل فيما أورده المؤلف رحمه الله وجدنا أنَّ قول السعدي رحمه الله هو الحقيقة ، والكل مقصودٌ به حماية التوحيد مما يחדشه ، فنسأل الله أن يفقهنا في دينه ، وأن يهدينا صراطه المستقيم ، وأن يعلمنا ما لم نكن نعلم ويرزقنا العمل به ، وبالله التوفيق .

(٦٦) **باب ما جاء في قول الله تعالى : [وما قدروا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته**

يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون] . ^(١)

وعن ابن مسعود **ؓ** قال : جاء حُبْرٌ من الأَحبار إلى رسول الله **ﷺ** فقال : يا محمد إنا نجد أنَّ الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك فضحك النبي **ﷺ** حتى بدت نواجذه تصديقا ؛ لقول الحبر ، ثمَّ قرأ : **[وما قدروا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة]** متفقٌ عليه .

وفي رواية لمسلم : **« والجال ، والشجر على إصبع ، ثمَّ يهزهنَّ ؛ فيقول : أنا الملك ؛ أنا الله »** .

وفي رواية للبخاري : **« يجعل السموات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع »** أخرجاه .

ولمسلم : عن ابن عمر **رضي الله عنهما** مرفوعاً : **« يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى ، ثمَّ يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثمَّ يطوي الأرضين السبع ، ثمَّ يأخذهنَّ بشماله ، ثمَّ يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ »** . ^(٢)

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما السماوات السبع ، والأرضون السبع

- (١) سورة الزمر ٦٧ .
- (٢) وفي لفظ " والماء والثرى على إصبع " كما رواها البخاري في كتاب التفسير باب " وما قدروا الله حق قدره " وفي كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .
- (٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب في تفسير سورة الزمر باب قول الله تعالى : [وما قدروا الله حق قدره] وفي كتاب باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، والإمام مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار .
- (٤) أخرج هذه الرواية مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار .
- (٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب : [وما قدروا الله حق قدره] .
- (٦) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

٢١١

في كف الرحمن إلّا كخردلة في يد أحدكم » .
 وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد :
 حدثني أبي قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السماوات السبع في الكرسي
 إلّا كدراهم سبعة ألقيت في ترس » .
 قال : وقال : أبو ذر ؓ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسي في
 العرش إلّا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » .
 وعن ابن مسعود ؓ قال : « بين السماء الدنيا ، والتي تليها خمسمائة
 عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة
 والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ،
 والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ؛ لا يخفى عليه شيء من
 أعمالكم » أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زبّ عن
 عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد
 الله قاله الحافظ الذهبي رحمه

- (١) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره في ج ٢٤ / ٢٥ في سورة الزمر عند قوله تعالى : [وما قدروا الله حق قدره] والأرض جميعا قبضته يوم القيامة] قالوا محققا القول المفيد : " وفي إسناده : عمرو بن مالك النكري قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٨ / ٩٦ : (ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : مات سنة تسع وعشرين ومائة ، وقال : يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه يخطيء ويغرب) وقال الشيخ سليمان بن عبد الله كما في إبطال التنديد ص (١٧٠) : (وهذا الإسناد في نقدي صحيح) " اهـ قلت : وأخرج بنحوه مختصراً الإمام ابن أبي شيبه في مصنفه في ج ٧ / ١٨٦ برقم الحديث ٣٥١٨٤ .
- (٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله في ج ٣ / ١٠ في سورة البقرة عند قول الله تعالى : [وسع كرسية السماوات والأرض] وقال الشيخ سليمان بن عبد الله كما في إبطال التنديد ص (١٧٠) : (رواه إصبع بن الفرج بهذا الطريق واللفظ له ؛ وهو مرسل ، وعبد الرحمن بن زيد ضعيف) " اهـ .
- (٣) انظر أيضاً تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله في ج ٣ / ١٠ في سورة البقرة عند قول الله تعالى : [وسع كرسية السماوات والأرض] قال الدكتور آل فريان وأخرجه : " وأخرجه أبو الشيخ في العظمة رقم (٢٢٠ ، ٢٥٢) قال ابن كثير في التاريخ (١ / ١١) : (أول الحديث مرسل ، وعن أبي ذر منقطع ، وقد روي عنه من طريق أخرى موصولاً) وأخرجه من هذا الطريق : أبو الشيخ في العظمة (٢٠٦ ، ٢٥٩) وابن مردويه في التفسير كما في الدر المنثور (٢ / ١٧) وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٠) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٤١١) : (صححه ابن حبان ، وله شاهد عن مجاهد ؛ أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢١٨ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩) وعبد الله بن أحمد في السنة رقم (٥٩١) " اهـ قال محققا القول المفيد : " أخرجه محمد بن أبي شيبه في العرش (٥٨) وفي إسناده إسماعيل بن مسلم المكي كما في السلسلة (١٠٩) وهو متروك ، وفيه أيضاً : المختار بن عسان مجهول لا يعرف بجرح ولا تعديل . انظر التهذيب ١٠ / ٦٨ وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٠٤ - ٤٠٥) وفيه يحيى بن سعيد ٣ / ١٢٩ : (يروي

المقلوبات والملزقات لايحوز الاحتجاج إذا انفرد) وفيه أيضاً ابن جريج وهو مدلس ، وقد عنعنه ، وقد أخرجه أيضاً من طريق آخر ، وفيه
: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني كذبته أبو حاتم ، وأبو زرعة كما في الميزان ١ / ٧٢ - ٧٣ وأخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وفيه مجهولان ، وضعيفان " اهـ .

الشرح الموجز للمصنف لتوحيد الخالق الممجد

٢١٢

الله تعالى : قال : وله طرق .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثيف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » أخرجه أبو داود وغيره (٢) .

الشرح : في هذه الآية [وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] ردُّ على المشركين في زعمهم أنَّ عبادة غير الله جائزة ؛ حين طلبوا التصالح مع النبي ﷺ بأن يعبدوا إلهه سنة ؛ وهو يعبد إلههم سنة ، فأنزل الله عز وجل إنكاراً عليهم : [قل يا أيها الكافرون & لا أعبد ما تعبدون & ولا أنتم عابدون ما أعبد & ولا أنا عابدٌ ما عبدتم & ولا أنتم عابدون ما أعبد & لكم دينكم ولي دين] [سورة الكافرون] .

وفي هذه الآيات يقول الله عز وجل : قل لهم يا محمد [أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون

(١) الأثر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ج ٩ / ٢٠٢ برقم الحديث ٨٩٨٧ وابن حجر في فتح الباري في ج ١٣ / ٤١٣ في كتاب التفسير باب قوله : " وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم " وقال الشيخ آل فريان : " أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٦) وابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٥٩٤) وأبو الشيخ في العظمة رقم (٢٠٣ ، ٢٧٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٠٧) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٥٩) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٨٦) رجاله رجال الصحيح " اهـ وقال محققا القول المفيد : " وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٦) وفي النقض على المريسي ص (٧٣ ، ٩٠ ، ١٠٥) والخطيب في الموضح ٢ / ٤٧ وقد صححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص (١٠٠) والذهبي في العلو ص (٦٤) " اهـ مختصراً .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين عند تفسير سورة آل عمران برقم ٣١٣٧ وطه برقم ٣٤٢٨ والحاقة برقم ٣٨٤٩ والسجدة برقم ٣٥٤٧ وأخرجه أبو يعلى في مسنده في ج ١٢ / ٧٥ برقم ٦٧١٣ وأحمد في ج ١ / ٢٠٦ برقم ١٧٧٠ و ٨٨١٤ وأخرجه عبد الله بن عدي الجرجاني في كامل ضعفاء الرجال في ج ٧ / ٢٠٠ باب من اسمه يحيى ، وينحوه عند أبي داود في سننه في ج ٤ / ٢١٣ برقم ٤٧٢٣ والترمذي في سننه أيضاً في ج ٥ / ٤٠٣ برقم ٣٢٩٨ و ٣٣٢٠ وقال محققا القول المفيد في هذا الحديث : " وأخرجه عثمان الدارمي في الرد على الجهمية ص (٢٤) وفي النقض على المريسي ص (٩٠) وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٧) وابن خزيمة في التوحيد (١٠١ ، ١٠٢) والأجري في الشريعة (٢٩٢ ، ٢٩٣) ومحمد بن أبي شعبة في العرش (١٠٩) واللالكائي (٦٥١) وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٢ / ٢ والبيهقي في الأسماء ص (٣٩٨) وابن عبد البر في التمهيد ٧ / ١٤٠ وابن حزم في الفصل ١٠٠ / ٢ وابن قدامة في العلو ص (٧) والمزي في تهذيب الكمال ٢ / ٧١٩ والذهبي في العلو (٤٩ - ٥٠) من طريق عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس ، وقال الذهبي في الميزان ٢ / ٤٦٩ : (وفيه - أي عبد الله - فيه جهالة ؛ قال البخاري لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس) وهذا الحديث يعرف بحديث الأوعال ، وقد قال ابن العربي في عارضته : (إنَّ خير الأوعال متلفَّت من الإسرائيليات) وانظر تهذيب السنن لابن القيم ٧ / ٩٢ ، ٩٣ " اهـ وقال الدكتور الوليد : " وأخرجه أبو الشيخ في العظمة رقم (٢٠٤) وابن منده في التوحيد (٢١) وابن أبي حاتم ، والبزار كما في تفسير ابن كثير (٨ / ٣٣) " اهـ مختصراً .

& ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين & بل الله فاعبد وكن من الشاكرين [ثم قال بعد ذلك : [وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون] [الزمر: ٦٤ - ٦٧] ففي هذا ردٌ عليهم في زعمهم جواز عبادة غير الله ، وبيان عظمة الله في هذه الآيات حيث بين سبحانه وتعالى أنَّ جميع الأرض تكون [قبضته يوم القيامة] أي مقبوضة في كفه ، وأنَّ السموات مطويات كلها بيمينه ، وذلك دليل على عظمة الله الرب جل شأنه ، وتعالى أسمائه وصفاته ، فلمن تأمروني أن أصرف العبادة ؛ مع أنَّ إلهي من وصف نفسه بهذا الوصف ؛ أصرف العبادة للمخلوقين الضعاف ؛ الذين لا يقومون بحاجة أنفسهم : [قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون] فسبحان الله العظيم ؛ الذي لم يقدر الخلق قدره ؛ لجهلهم به ، وبِعظمتِهِ ، ولذلك يقول : [وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] .

ومن هنا تبين أنَّ الشرك محبَطٌ للأعمال ؛ لأنَّ المشرك ساوى المخلوق الضعيف بالرب الجليل فإذا كان الرسل ؛ بل أفضلهم محمدٌ ﷺ توعده بإحباط العمل إن هو أشرك بربه ، وحاشاه أن يكون منه ذلك ، فإذا كان الرسل توعدهوا بذلك ، فغيرهم من باب أولى ، وقد أعقب الله ذلك بقوله : [بل الله فاعبد وكن من الشاكرين] لأنَّه أهلٌ للعبادة ؛ أمّا من سواه ، فمن حقه أن يكون عابداً لربه لا معبوداً ، والله تعالى الذي عظمتُهُ لا تتوازى ، وقدرُهُ كما وصف سبحانه نفسه بأنَّه يوم القيامة يطوي السموات السبع بيمينه ، والأرضين السبع بيده الأخرى ، فمن أحق بالعبادة ؛ صاحب هذه القدرة التي لا يتعاضى عليها شيء ؟ !! الجواب : لا أحد ، فهو الحقيق بالعبادة ، والجدير بها . ولمسلم : عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك .. » في هذا الحديث ، والذي قبله إثبات اليمين لله سبحانه وتعالى ، وفي الحديث الأول إثبات الأصابع لله سبحانه وتعالى .

وفي قوله : [والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة] إثبات الكف لله سبحانه وتعالى ، وإثبات القبضة لله سبحانه وتعالى ، ونؤمن بأنَّ الله يفعل ما يشاء ، وأنَّ بيده ملك الأشياء جميعاً والتصرف فيها كما يشاء .

ويؤخذ منه أنَّ الله يطوي السموات السبع كلهنَّ ، ويطوي الأرضين السبع كلهنَّ .

ويؤخذ من الحديث الأول : أنَّ النبي **p** ضحك تصديقاً لقول الخبر ، وقد يكون تعجبه من كون الخبر يعلم هذا ، ولا يؤمن بالقرآن الذي نزل فيه تصديق ما وصف في هذا الحديث ، والله تعالى يقول : [يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلقٍ نعيده] سبحانه الله العظيم ؛ السماوات بسعتها ، وكثافتها ، وارتفاعها يطويها الله عز وجل كطي السجل للكتب ما أعظم قدرة الله !! .

لذلك فإنَّ الواجب على جميع المخلوقين أن يوحده بالعبادة ، وأن يفردوه بها ، وأن لا يجعلوا معه شريكاً ؛ فهو الإله الحق الذي تنبغي له العبادة ؛ خضوعاً لجلاله ، وإيماناً بعظمته ، وقدرته .

ثم أورد بصفة التضعيف وروي عن ابن عباس **رضي الله عنهما** قال : « ما السموات السبع ، والأرضون السبع في كف الرحمن إلّا كخردلة في يد أحدكم »

وقال ابن زيد : حدثني أبي قال : قال رسول الله **p** : « ما السموات السبع في الكرسي إلّا كدراهم سبعة ألقيت في ترس » .
قال : وقال : أبو ذر **ؓ** سمعت رسول الله **p** يقول : « ما الكرسي في العرش إلّا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض » .
وعن ابن مسعود **ؓ** قال : « بين السماء الدنيا ، والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام .. » .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله **p** : « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة .. » .

أقول : في هذه الأحاديث إثبات سعة العرش ، وأنَّ كل شيءٍ دونه ، فالكرسي والسماوات والبحر الذي فوق السماء السابعة ؛ كل هذه تدل على سعة خلق الله عز وجل وقدرته ، فينبغي أن نتأمل كيف هذا البحر الذي جعله الله في الهواء فوق السماء السابعة ، وما بين أسفله وأعلاه كما بين سماء وسماء ؛ ما أجلَّ عظمة الله ؟ ! .

إذا فكرنا في مخلوقات الله هذه كيف عظمتها ! كيف عظمة حملة العرش ! كيف عظمة ذلك

الملك ؛ الذي بين عاتقه وشحمة أذنه مخفق الطير سبعين عاما ، وإذا كان الملائكة الحفظة يعرجون إلى السماء السابعة ، ويطلعون على ما كتب في اللوح المحفوظ عن كل شخص ، ويقابلون ما بينه وبين الأعمال المنسوخة من أفعالهم ، فيجدونها متساوية ، وإذا كان من الأرض إلى ما فوق السماء السابعة مسيرة سبعة آلاف عام ، وهم يقطعونها في بضع ساعات ؛ كيف أن الله سبحانه وتعالى مكنهم من قطع هذه المسافة العظيمة ، فيجب أن نتأمل في هذه الأمور ، وما ثبت في هذه الأحاديث من الصفات الدالة على قدرة الله عز وجل ، فمن عرف الله بهذه الصفات حق المعرفة ووحدته حق التوحيد ؛ عبده حقَّ العبادة ؛ لما له من كمال القدرة ، والعظمة ، والجلال .

قال في فتح المجيد : " وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة r وفيه : » بعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام » ولا منافاة بينهما ؛ لأنَّ تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً ونيف وسبعون سنة على سير البريد ؛ لأنَّه يصح أن يقال : بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة ، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد ، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه هذا آخر كلامه " .

وأقول : في هذه الأحاديث إثبات علو الله عز وجل على عرشه سبحانه وتعالى ، وإثبات هذه المسافات بالنسبة لسيرنا نحن بني آدم ، وقد أنكرت الجهمية علو الله على عرشه يقول الحافظ الذهبي في فتح المجيد : " وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش : هو الجعد ابن درهم ، وكذلك أنكر جميع الصفات ، فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة وأخذ عنه هذه المقالة : الجهم بن صفون إمام الجهمية ، فأظهرها ، واحتج لها بالشبهات ، وكان ذلك في آخر عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر ؛ مثل الأوزاعي ، وأبي حنيفة ومالك ، والليث بن سعد ، والثوري ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، ومن بعدهم من أئمة الهدى " إلى أن قال : " وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : لله أسماءٌ ، وصفات لا يسع أحداً رُدُّها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة ؛ فإنه يعذر بالجهل ، ونثبت هذه الصفات ، ونفي عنه التشبيه ؛ كما نفى عن نفسه فقال : [ليس كمثله شيء] " انتهى .

والواجب أن نؤمن بما جاء في هذه الأحاديث من الصفات ؛ التي ثبتت لله عز وجل ، فنؤمن

١ (قال الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان على تحقيقه لفتح المجيد على كتاب التوحيد انظر فتح الباري ج ١٣ / ٤٠٧ .

بذلك حق الإيمان ، ونستيقنه حق اليقين ، وما ذكر من الأبعاد - ما بين السموات والأرض - في هذه الأحاديث نؤمن بها ، ونعلم أنَّ عظم مخلوقات الله دالة على كماله ، فنسأل الله أن يرزقنا الإيمان ، واليقين ، والثبات على الحق حتى نلقاه على ذلك ، وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه .

انتهى من إملاءه على الطلاب

في ١١/٦/١٤٢٥ هـ

المؤلف

أحمد بن يحيى بن محمد شبير النّجمي

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد الموحدين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين : إني لأشكر الله دائماً وأبداً على أفضاله ونعمه المتوالية ، ثم أتقدم بالشكر لوالدنا وشيخنا الفقيه الحدث / أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي على تكممه بشرح كتاب التوحيد للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهبي التميمي ، والمولود في العينة بوسط الجزيرة العربية سنة ١١١٥ هـ والمتوفى في أواخر سنة ١٢٠٦ هـ عن إحدى وتسعين قضاها في ميدان العلم ، والجهاد ، والدعوة ، وقد ترك للمسلمين بعده مؤلفات عظيمة وفنوناً كثيرة في التفسير ، والحديث ، والعقيدة ، والفقه ، والوعظ مع ما كان فيه من انشغال بأعباء الدعوة والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والمشاركة في الجهاد كما هو دأب علماء الدعوة . ومن ضمن المؤلفات التي خلفها لمن بعده كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وقد عني أهل العلم المتقدمين والمعاصرين بشرح هذا الكتاب ، ومن شارك في شرحه شيخنا العلامة / أحمد بن يحيى النجمي حفظه الله ، وقد انتهى من شرحه على طلابه في : ١١/٦/١٤٢٥ هـ . ثم أشكر الطلاب الذين حرصوا كل الحرص على الاستفادة من شيخنا أحمد النجمي في شرحه لهذا الكتاب ، وعلى رأسهم الشيخ : جابر بن منصور العنزي الذي أتقنا بملاحظاته وتوجيهاته زاده الله تقى وعلمنا . وختاماً أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب وإظهاره بالمظهر الحسن ؛ وقد استعنت بعد الله تعالى في تخريج أحاديث الكتاب على تعليقات الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل والدكتور خالد بن علي المشيقح من كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ العلامة محمد ابن صالح العثيمين واعتمدت أيضاً على تعليقات الدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان من كتاب فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ واستعنت كذلك بالموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه بإصداريهما الأول والثاني ، فعلت ذلك توفيراً للجهد ، ولقلة المراجع التي أعتمد عليها في البحث والتخريج ، ولكثرت وجود بحوث أخرى لشيخنا أحمد النجمي حفظه الله تحتاج مني ومن غيري من طلاب العلم إلى ترتيب ، وتحقيق وأسأل الله أن يجبر كسرنا ، ويعفو عن تقصيرنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أخوكم في الله

حسن بن محمد بن منصور بن يحيى مخزم دغريري

- (١) باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ٧
- (٢) باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ١١
- (٣) باب الخوف من الشرك ١٥
- (٤) باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ١٨
- (٥) باب تفسير التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله ٢٣
- (٦) باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ٢٧
- (٧) باب ما جاء في الرقى والتمايم ٣١
- (٨) باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما ٣٦
- (٩) باب ما جاء في الذبح لغير الله ٣٩
- (١٠) باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ٤٣
- (١١) باب من الشرك النذر لغير الله ٤٥
- (١٢) باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ٤٧
- (١٣) باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ٥١
- (١٤) باب قول الله تعالى : [أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون] ٥٤
- (١٥) باب قول الله تعالى : [حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم] ٥٩
- (١٦) باب الشفاعة ٦٢
- (١٧) باب قول الله تعالى : [إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين] ٦٦
- (١٨) باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ٦٨
- (١٩) باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف إذا عبده ٧١
- (٢٠) باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله ٧٤
- (٢١) باب ما جاء في حماية المصطفى p جناب التوحيد ٧٤

الرقم والباب	الصفحة
وسده كل طريق يوصل إلى الشرك	٧٨
(٢٢) باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان	٨٢
(٢٣) باب ما جاء في السحر	٨٨

٩٢	(٢٤) باب بيان شيءٍ من أنواع السحر
٩٥	(٢٥) باب ما جاء في الكهان ونحوهم
٩٩	(٢٦) باب ما جاء في النشرة
١٠٠	(٢٧) باب ما جاء في التطير
١٠٤	(٢٨) باب ما جاء في التنجيم
١٠٧	(٢٩) باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء
	(٣٠) باب قول الله تعالى : [ومن الناس من يتخذ من دون الله
١١١	أندادا يحبوهم كحب الله]
	(٣١) باب قول الله تعالى : [إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه
١١٦	فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين]
١٢٠	(٣٢) باب قول الله تعالى : [وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين]
١٢٢	(٣٣) باب قوله تعالى : [أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون]
١٢٥	(٣٤) باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله
١٢٩	(٣٥) باب ما جاء في الرياء
١٣٢	(٣٦) باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا
	(٣٧) باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله
١٣٥	فقد اتخذهم أربابا من دون الله
	(٣٨) باب قول الله تعالى : [ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك
١٣٩	وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت]
١٤٤	(٣٩) باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات
١٤٧	(٤٠) باب قول الله تعالى : [يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون]

الرقم والباب	الصفحة
(٤١) باب قول الله تعالى : [فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون]	١٤٨
(٤٢) باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله	١٥١
(٤٣) باب قول ما شاء الله وشئت	١٥٢
(٤٤) باب من سب الدهر فقد آذى الله	١٥٥

١٥٧	(٤٥) باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه
١٥٨	(٤٦) باب احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك
١٥٩	(٤٧) باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول
	(٤٨) باب قول الله تعالى : [ولئن أذقناه رحمةً منّا من بعد ضراء مسته
١٦١	ليقولنّ هذا لي]
	(٤٩) باب قول الله تعالى : [فلما آتاها صالِحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها
١٦٤	فتعالى الله عما يشركون]
	(٥٠) باب قول الله تعالى : [ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
١٦٦	وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون]
١٦٩	(٥١) باب لا يقال السلام على الله
١٧٠	(٥٢) باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت
١٧٢	(٥٣) باب لا يقول عبدي وأمتي
١٧٣	(٥٤) باب لا يرد من سأل بالله
١٧٥	(٥٥) باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة
١٧٧	(٥٦) باب ما جاء في اللو
١٨٠	(٥٧) باب النهي عن سب الريح
١٨٢	(٥٨) باب قول الله تعالى : [يظنون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية]
١٨٥	(٥٩) باب ما جاء في منكري القدر
١٨٩	(٦٠) باب ما جاء في المصورين
١٩٣	(٦١) باب ما جاء في كثرة الحلف

الرقم والباب	الصفحة
(٦٢) باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله	١٩٧
(٦٣) باب ما جاء في حكم الإقسام على الله	٢٠٢
(٦٤) باب لا يستشفع بالله على خلقه	٢٠٥
(٦٥) باب ما جاء في حماية المصطفى (النبي) p حمى التوحيد ، وسده طرق الشرك	٢٠٧
(٦٦) باب ما جاء في قول الله تعالى : [وما قدروا الله حقّ قدره	

والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى

عمّا يشركون]

٢١٠

الخاتمة

٢١٧

الفهرس

٢١٨

الشرح الموجز الممهد
لتوحيد الخالق الممجد
الذي أَلَفَهُ شيخ الإسلام محمد

رحمه الله

تأليف الشيخ العلامة / أحمد بن يحيى

بن محمد

النجمي حفظه الله

اعتنى به / حسن بن محمد بن منصور الدغيري